الشيخ عباس أمين حرب العاملي

الفقيه العاملي

الإمام السيّد موسى الصدر

دراسة موضوعية عند الإمام الصدر في:

تفسير القرآن
التعايش بين الطوائف
ولاية الفقيه
عاشوراء
العمل الإجتماعي



دار الكاتب العربي

الفقيه العاملي

1431 هـ - 2010 م



هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت

Daralkatebalarabi@hotmail.com

الفقيه العاملي

الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه

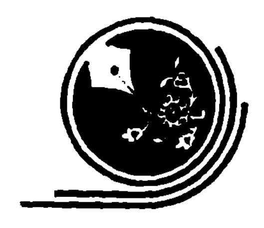
دراسة موضوعية في فكر الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه

في الأبحاث التالية

تفسير القرآن * التعايش بين المذاهب *

ولاية الفقيه عاشوراء * العمل الإجتماعي

السيد عبد الرسول الموسوي الكاظمي



الطبعة الأولى ٢٠١٠

الإهداء

إلى السيدة رباب الصدر:

التي ابتليت فصبرت، فنالت رتبة الشاكرات الصابرات، فكانت الأخت الصالحة والمعلمة والمربية والأم الرحيمة العطوفة...

طـــه الــرســالــي جـابــهــا

وحــيـــدر أســد مــحــرابـــهـــا

والــصــدر فــي صــدرو حــمــل

عــلــم الــمــديــنــة وبـــابـــهـــا

(*) هذه القصيدة قالها الشيخ عباس محمد حرقوص (الحاروفي) عندما زار الإمام موسى الصدر بلدة حاروف عام ١٩٧٧.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قدم له:

الباحث المؤرخ السيد

عبد الرسول الموسوي الكاظمي

الحمد لله الذي فضّل مداد العلماء على دماء الشهداء، حيث قال عزّ من قائل في محكم كتابه الحكيم وبيان خطابه العظيم: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[1].

وقال رسول الله الحبيب المصطفى محمدﷺ: **«أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله»**.

وقال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالبعليه السلام: **«العلماء باقون ما بقي الليل والنهار أو الدهر»**.

وقال الإمام جعفر الصادقعليه السلام: **«إذا كان يوم القيامة جمع الله في صعيد واحد ووضعت الموازين فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»**.

وبعد: فنحن أمام كتاب يؤرخ لعلمٍ فذٍ من أعلام الإمامية الأثناء عشرية ألا وهو: الإمام المجاهد السيد موسى صدر الدين الصدر، العاملي الجذور، القمي المولد، الكاظمي الأب.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

فوالده آية الله العظمى السيد صدر الدين الكاظمي الصدر، ابن الكاظمية البار، الذي حّق أن نفخر به على العالم، فهو أحد الأركان الثلاثة الذين حفظوا الحوزة العلمية في قم المقدسة من الإندثار والبقاء لهذا اليوم والتي أنتجت زعيمين عظيمين للعالم الشيعي هما:

مفجر ثورة إيران الإسلامية الإمام روح الله الخميني قدس سره، والإمام موسى الصدر الحاضر الغائب مؤسس حركة المحرومين في لبنان وحركة أمل، أمل الشيعة التي وضعت شيعة لبنان في الصدارة أمام العالم المتمدن، ولم لأفهم أصحاب العقول المنيرة والعلوم المتميزة، والتي تألق الكثير منها على الساحات الإسلامية في القرون المنصرمة.

الحديث عن الإمام موسى الصدر له أبعاد وجوانب مختلفة على صعيد لبنان، فهو لم يأتي كي ينصف شيعة لبنان فحسب بل كرس جهوده من أجل تلاحم كل شرائح المجتمع اللبناني، فهو صاحب فكر ومدرسة متميزة وأسلوب رائع، ترك أطيب الأثر على الساحة الفكرية والعلمية بما وضعه من أسس رصينة لتجديد الفكر الإسلامي من خلال ما تركه من خطابات منهجية أوجدت على الساحة الإنسانية في لبنان تحولاً كبيراً على مختلف الأصعدة.

لقد شكّل الإمام موسى الصدر علامة فارقة على الساحة اللبنانية في فكره ونهجه وأسلوبه الذي ميزّه عن باقي المفكرين في لبنان، من خلال طرحه للتعايش الإسلامي المسيحي، فهو عبّر في خطاباته: إنها ثروة يجب التمسك بها، وإن لبنان لا يعيش إلا بجناحيه المسلم والمسيحي.

فالكتاب في فصوله التسعة الذي سلط الأضواء على الكثير من المناحي الفكرية التي أرسى دعائمها الإمام موسى الصدر، والتي لا تزال موقع بحث ودراسة للكثيرين من الأكاديميين في الأوساط العلمية.

وحق للشيخ عباس أمين حرب العاملي دام عزه أن يفخر بإصداره الجديد الذي أتحف به المكتبة العربية والإسلامية، فلا غرو ولا عجب ممن تخرج من حوزة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف، وهو ابن جبل عامل الذي أنجب الأبطال الأبدال مفاخر الإسلام والإنسانية جمعاء.

أحيي المؤلف على جهد الكبير في لملمة ما تناثر من خطب الإمام والزعيم الروحي الكبير السيد موسى صدر الدين الصدر وحفظ آثاره بين دفتي هذا الكتاب من الضياع وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق لتقديم المزيد من العطاءات العلمية بمختلف مجالاتها ومناحيها، وأدعو جلت الأمر، أن يمّن على شيعة جبل عامل بعودة إمامه المغيّب منذ أكثر من ثلاثة عقود، كي يعيد لمّ شمل هذه الطائفة الحقة من التشتت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب بيمينه الداثرة
من جوار مليكة بيت الوحي والإمامة
الحوراء زينب بنت علي أمير المؤمنين عليهما السلام

السيد عبد الرسول الموسوي الكاظمي

في ليلة شهادة الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وآله لعام: ١٤٣١هـ

تمهيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آل بيته الطاهرين ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين.

أحببت في هذا الكتاب أن أعرض للعالم أجمع صورة عظيمة ومشرقة من حياة الفقيه العاملي التي أشرقت أنوارها في الوطن العربي والإسلامي، الصورة المشرقة تبدا فصولاً منذ ولادته الميمونة، ونشأته المباركة، ومرحلة دراسته الحوزوية حتى مرحلة الإجتهاد ودعوته إلى الشباب للإلتحاق بالحوزات العلمية من أجل تجديد الدم العلماني ومتابعة المسيرة والسير على خطى ونهج أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين.

ودعوته كافة المسلمين إلى إقامة صلاة الجمعة وتصديه للظلم وللطاغوت حتى تاريخ إختفائه على يد طغاة العصر في ملحمة كبرى من ملاحم النزال المستمر بين الحق والباطل ويزيد متكرر، لكل يزيد حسين. . . ولكل فرعون موسى . . . . هذه الملحمة التي

تذكرنا بتصدي الأئمة المعصومين عليهم السلام للطغاة والقتلة وللفساد والظلم والانحراف في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله النهج المحمدي الأصيل والحفاظ عليه.

وإن كان إخواننا المؤمنين في لبنان من أبناء وتلامذة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه قد عاشوا أحداث تلك الملحمة وشاركوا في صنع فصولها وقدموا التضحيات في سبيل قضيتها من خلال تصديهم للأحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، فأنها لا تزال غامضة بالنسبة للكثيرين من المؤمنين في خارج لبنان والوطن العربي.

وهذا الدين الإسلامي الذي ضحى من أجله الإمام موسى الصدر قد يكون دفع حياته ثمناً، هو منهج رب العالمين وهو النظام الكامل الشامل المنظم لشؤون الحياة في كل زمان ومكان، ومهمة الفقهاء والعلماء العاملين في سبيل الله هي بيان ما تضمنته نصوص الكتاب والسنة من أحكام وشرحها، وقيام الفقهاء بهذه المهمة يتم عبر منهجية منضبطة مستمدة من خصائص التشريع الإسلامي.

وحقاً أقول: «الفقيه العاملي» الإمام السيد موسى الصدر كان موسوعة فقيهة وعلمية وفكرية وسياسية كبيرة.

وهذا الكتاب الذي أقدمه لأصحاب الفكر المتزن هو موسوعة من الأبحاث ذات أهمية بالغة، أخذت على عاتقي القيام بشرحها وتحقيقها والتعليق عليها من حيث أن هذه الأبحاث منها :

تفسير حركي للقرآن - ونظريته حول ولاية الفقيه - والإجتهاد - وعلاقة المذاهب الإسلامية مع بعضها - تعتبر في أوساط الحوزات العلمية والجامعات وفي ميادين الندوات الفكرية والثقافية من أهم المطالب العلمية

التي يطمح لها الكثير من أبناء الفكر المتزن بالوقوف على معانيها وأبعادها ولما لها إرتباط فيما يتعلق بحياتهم الدينية والإجتماعية والسياسية.

ومن هنا أرتأيت أن أقوم بهذا الجهد المتواضع هو عربون وفاء وتقدير إلى الإمام المغيب السيد موسى الصدر رضوان الله عليه هذا المتواضع لله وللمؤمنين، متكبر على المتكبرين والطغاة والظالمين.

عرفته من خلال كتاباته وآثاره فرأيت فيه الجنان فأنساني مشقة الكتابة والسفر والحرمان.

أخوكم الأقل

الشيخ عباس أمين حرب العاملي



المبحث الأول

تاريخ جبل عامل

١ – نبذة عن تاريخ جبل عامل.

٢ – حدود جبل عامل التاريخية.

٣ – سبب التسمية» بـ«جبل عامل».

٤ – الجنوب دائماً.

٥ – تاريخية العمل الجهادي.

٦ – الدور الحضاري والعلمي لجبل عامل.




«نبذة تاريخية عن جبل عامل»

١ - موطن العلماء والشهداء

الحديث عن جبل عامل، حديث ممتع وشيق ولا يخلو من شجون..

هذا الجبل الأشم الذي توالت عليه الخطوب والنكبات وتعاقب عليه الغزاة، هذا الجبل، جبل الصحابي أبي ذر الغفاري ما قصده جبار بسوء إلا وقصم الله ظهره، فكان ساحة مقاومة مستمرة ضد الطامعين بأرضه وخيراته، ولم يمنع ذلك اهتمام ساكنيه بالعلم والأدب والفن..

فكانت ربوعه نبراساً للمعرفة والعطاء...

والباحث في تاريخ جبل عامل لا بد وأن يلحظ الغموض الذي يخيم على الكثير من الأحداث، وقلة المصادر والوثائق المتعلقة به.

وهذا ما صرح به أكثر من مؤرخ وباحث، وما كتب المؤرخ محمد جابر آل صفا حيث قال: لا أكتم أن البحث في تاريخ جبل عامل بوجه خاص عسير جداً وعمل شاق يكتنفه الغموض.. لقلة المستندات وضياع الوثائق(١).

وما كتبه المؤرخ الشيخ جعفر المهاجر حيث قال:

---

(١) المؤرخ محمد جابر آل صفا: كتاب تاريخ جبل عامل، ص١٥.

(إن تاريخ جبل عامل كله أي الثقافي والسياسي والاجتماعي قبل القرن جميعاً لم يتعرضوا له بإسهاب ولا تفصيل)[١].

ونذكر القارىء الكريم أن هناك عدة عوامل ساعدت على إخفاء المعالم الحقيقية لنوابغ جبل عامل من العلماء والأدباء والشعراء وأهل الفن.

العامل الأول: ومن العوامل التي أدت إلى هذا الغموض، والتي ذكرها الباحثون في تاريخ وأحوال جبل عامل، من حرق ونهب لمكتبات جبل عامل على يد الغزاة وجلاوزتهم مما أدى إلى ضياع الكثير من النفائس والمؤلفات ومن ذلك - مثلاً - إحراق الجزار ونهبه لمكتبات العامليين بعد معركة يارون عام ١٧٨٠م، يقال أن أفران مدينة عكا في فلسطين بقيت مشتعلة مدة ٧ أيام من جراء إلقاء الكتب العلمية المنهوبة فيها[٢].

العامل الثاني: إن النزوح المتكرر والفتن المتتالية ربما تكون أودت ولا شك بالكثير من الوثائق لا سيما وأن: تاريخ التشيع في المنطقة (أي في بلاد الشام) هو تاريخ قلق سمته الكبرى النزوح الجماعي المتكرر بسبب أحداث عنيفة.

وما قد يؤكد الإضطهاد والإستبداد الذين كانا سمة السلاطين والحكام تجاه الشيعة، نص أورده المقدسي في كتابه وفيه يقول: وأهل طبرية ونصف نابلس والقدس وأكثر عمان شيعة[٣].

والسؤال هو: ماذا حل بهؤلاء الشيعة؟

ولم لا نجدهم الآن في تلك المناطق؟!

---

(١) جعفر المهاجر: كتاب التأسيس لتاريخ الشيعة في سوريا ولبنان، ص ٢١١.
(٢) كتاب جبل عامل في التاريخ، ص١٣٣.
(٣) نقله الشيخ المهاجر في كتابه الأنف الذكر عن كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي.

ولماذا لا نجدهم في جزين بلدة الشهيد الأول؟!

وسوف نتناول بالحديث في الصفحات التالية، عراقة العمل المقاوم في جبل العلماء والشهداء جبل عامل، وما جلبت عليه طبائع سكانه من أنفة وشجاعة وإباء، وبعض مواقف علمائه الجهادية، وطرفاً من الدور الحضاري والعلمي لجبل عامل..

ولنبدأ أولاً بالحديث عن حدود جبل عامل التاريخية وسبب تسميته.






«حدود جبل عامل التاريخية»

يتفق معظم مؤرخي جبل عامل على أن حدوده التاريخية تختلف عن حدود محافظة جنوب لبنان حالياً، حيث تمتد جنوباً لتشمل العديد من القرى داخل فلسطين المحتلة، ويبين لنا السيد محسن الأمين (قده) حدود عاملة بقوله: إن حده من جهة الغرب شاطىء البحر المتوسط.. ومن الجنوب فلسطين ومن الشرق الأردن (الحولة) ووادي التيم وبلاد البقاع وقسم من جبل لبنان الذي هو وراء جبل الريحان ووراء إقليم جزين ومن الشمال نهر الأولي أو ما يقرب منه[١].

ومما يعزز ذلك التحديد تعريف الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل لجبل عامل حيث قال: أنه يقع بين صفد جنوباً ونهر الأولي شمالاً ونهر الحولة وما حاذاه إلى أرض البقاع شرقاً والبحر المتوسط غرباً[٢].

ومن القرى العاملية داخل فلسطين المحتلة نذكر منها: الجادرية، هونين، قدس، مالكية الجبل، صالحاً، حانوتاً، تربيخاً، أقراط[٣].

كما أن بلدة جزين الجنوبية كانت من المعاقل الشيعية العلمية الزاهرة والتي أبعد منها الشيعة عام ١٢٥٥هـ ولكن ما هو سبب تسميته بجبل عامل؟!..

---

(١) السيد محسن الأمين (قده): كتاب خطط جبل عامل، ص٦١.
(٢) الشهرستاني: كتاب الملل والنحل ص٥٧.
(٣) كتاب تاريخ جبل عامل، ص١٦.




«سبب التسمية بـ جبل عامل»

عرفت منطقة جبل عامل العديد من الأسماء أشهرها:

«بلاد بشارة» «وجبل عاملة» وحديثاً اسم «الجنوب» تلك التسمية التي تفصل جبل عامل عن ماضيه الرفيع ويحول بينه وبين تذكر الخوالي من الأيام، أيام الشعر والأدب والفقه واللغة والصلاح والإصلاح وإرشاد الأمم.

ويعود سبب تسمية جبل عامل نسبة إلى قبيلة عاملة الذين سكنوه، أما سبب تسميته بجبل عامل بحذف الهاء فهو تخفيف لكثرة الإستعمال وأطلق عليه قديماً إسم بلاد بشارة وذلك: نسبة إلى الأمير حسام الدين بشارة بن أسد الدين العاملي(١).

ومن الجدير بالذكر هنا تباين الآراء حول أهل سكان جبل عامل، ففي الوقت الذي يرجع فيه السيد محسن الأمين (قده) أصلهم إلى قبيلة عاملة بن سبأ(٢)، ويوافقه محمد جابر آل صفا(٣).

وأما المؤرخ الشيخ جعفر المهاجر ينفي ذلك ويرى بأن قبيلة عاملة بن سبأ، والتي كانت موجودة فعلاً في جبل عامل، رحلت - أو رحل قسم لا

---

(١) كتاب خطط جبل عامل، ص٥٠.
(٢) راجع كتاب جبل عامل في التاريخ، ص٧٦.
(٣) كتاب تاريخ جبل عامل، ص٢٨.

يستهان به من أفرادها - مع الرومانيين المتقهقرين أمام الزحف الإسلامي[١].

إلا أن الجميع يتفق إجمالاً على الأصول العربية لسكان جبل عامل.



(١) راجع الشيخ جعفر المهاجر: كتاب التأسيس لتاريخ الشيعة في سوريا ولبنان.




«الجنوب دائماً»

لأن الحديث عن الجنوب اليوم يطغى على كل حديث سواه، ولأن الأحوال العامة فيه تلفت إليه أنظار العرب جميعاً وتدور مباحثاتهم ومقالاتهم وإهتماماتهم...

أقول: يبدو أن بعض الجهات الأربع كتب عليه أن يكون مظلوماً، والجهة المظلومة دائماً في معظم أقاليم الأرض هي الجنوب.

فجنوب فرنسا، ومنه راسين، ولامارتين، ورودان، ونابليون، وديغول، وفلاسفة الثورة الفرنسية الكبرى التي حولت مسيرة التاريخ من إتجاه إلى آخر في خدمة الإنسان، تراه مغبوناً ومهملاً بالقياس إلى سائر الجهات هناك.

وجنوبي إيطاليا ومنه دانتي، ودافنشي، وميكالانج، وغاليليو أبو العلم الحديث، وكولومبس مكتشف العالم الجديد، وماركوني مخترع اللاسلكي، وفيرمي أبو علم الذرة، ومنه الكابوني الذين حيروا تجار الأسلحة في بلد الدولار.. حماهم الله ورعاهم وقواهم ليواصلوا أعمالهم الإنسانية هذه..

جنوبي إيطاليا هذا كان في سالف الزمان منكوباً ومضروباً ومهملاً وكأنه إقليم عدّو! وجنوبي الولايات المتحدة ظل وحده في أيام إبراهام لنكولن سوقاً للنخاسة يباع فيها بؤساء الأرض عبيداً أرّقاء.

وجنوبي القارة الأمريكية في زماننا هذا هو الأقليم الوحيد من أقاليمها الذي نزلت به الصواعق عندما نظرت مارغريت تاتشر إلى الأرجنتين فعقدت حاجبيها «وفتلت شاربيها» وهجمت عليها!

وجنوبي الهند كان على مدى التاريخ مسرحاً للقراصنة النخاسين يخطفون أبناءه وبناته ويحملونهم إلى البلاد البعيدة حيث يبيعونهم عبيداً وإماء لكل من يريد أن يتسلى ويتحلى بمآسي الآخرين.

وكذلك كان جنوبي كل من اسبانيا، والبرتغال، وروسيا، واليونان.

وجنوبي إيران ومنه الملوك وحكام بلاد فارس على مدى أكثر من ثلاثة قرون، ومنه المراجع والفقهاء والأدباء والقادة وفيه مقام الرضا والمعصومة عليهما السلام ومنه محقق حلم الأنبياء الإمام الخميني، الشهيد مرتضى مطهري، والشهيد بهشتي، علي شريعتي، مصطفى شمران، ونوابغ العلم آل الشيرازي، والإمام الخامنئي والكثير...

وجنوبي الجزيرة العربية ومنه أكبر شعرائها أمرؤ القيس، وأشهر أبطالها الزير أبو ليلى المهلهل... أكله الجراد، على ذمة المؤرخين، ثلاثة آلاف مرة، دون سائر أقاليم الجزيرة.

وقبائل الجنوبي العربي في قديم الزمان كانت أكثر شعوب المنطقة تحضراً، وقد سلّط الله عليها الطاغية وأهلكها بريح صرصر عاتية، أبيدت وصار أسمها في التاريخ، العرب البائدة!

وجنوب العراق كان على مر الزمن مقبر الغزاة.. وفيه مقام العديد من الأنبياء ومقام أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب والحسين والعباس عليهم السلام، وعدد كبير من الصحابة.. وفيه وادي السلام، ومنه المراجع والفقهاء في ميادين العلم كافة واللغة، وعشائر الجنوب عشائر الغيرة والحمية وإكرام الضيف، وحسن البصري، والمتنبي، وبدر شاكر

السياب، والحبوبي، والجواهري، والشهيدين السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد صادق الصدر، وآل الحكيم، وآل بحر العلوم والحكيم، وغيرهم.

وأهل الجنوب من قبائل أفريقيا، يأكلهم أهل الشمال!

والقطب الجنوبي لم يحظ بعشر الإهتمام الذي حظي به القطب الشمالي من رواد المجاهل وعشاق المغامرات بين الثلوج المتراكمة والبحار المتلاطمة، مع أن ثلوجه أكثر وبحاره أخطر.

وجنوبي لبنان لا يشذ عن هذه القاعدة، ومنه عمالقة العلم والأدب والشعر ومنه الشهيد الأول، والشهيد الثاني، والحر العاملي، وعبد الحسين شرف الدين، وعدد من مراجع التقليد، والمطران خريش، والمخترع حسن كامل الصباح، والشيخ محمد علي الحوماني، والمهندس إبراهيم عبد العال، والعالم رمال رمال، والمؤرخ سلام الراسي، وحسن حمدان مهدي عامل، والشيخ راغب حرب، والفقيه العاملي الإمام موسى الصدر ضمير لبنان النابض.. فعلى الرغم من أن أبناءه أذكى الناس وأفصحهم لساناً، وأوضحهم بياناً وأنقاهم وجداناً وأشدهم ميلاً للكتاب، خزانة المعارف..

وعلى الرغم من أن أرضهم هي أحفل أقاليم الأرض بأحداث التاريخ على إختلاف صورها وأسبابها ونتائجها، وأكثرها إختزاناً لعبق الزمان، تراه لا يحظى بكثير أو قليل من رعاية الحكام واهتمام النظام، وقد حولته الظروف إلى دار حرب ودمار وهوَ أجدر بأن يكون دار محبة وسلام.

وأقسى ما خصته به التقادير، أن جاءته بجار هو الوباء السائر والشر الطائر حسب تعبيري.. والشر المطلق حسب تعبير الإمام الصدر.

غير أن هذا الجوار ما كان إلا ليذكي في الجنوب ما اتّسم به أبناؤه الطيّبون الخيّرون من إباء وشعور بالكرامة، فإذا بهم يضرمون ثورة تهزّ

ضمير العالم لما تمثله من غضبة العدل على الظلم، والخير على الشر، ويخطىء من يظن أن العدل والخير لا يثوران!

وعلى هذا، أقول: العنف، ومن مظاهره الصراع المسلح بين فريقين، لا مبرر له في المفهوم الديني والإنساني إلا في حالة واحدة هي اللجوء إليه اضطراراً، دفاعاً عن النفس، رداً للمعتدي الظالم، ورغبة في الإستقرار على أسس من الأمن والطمأنينة، وإحتفاظاً بالكرامة وحق الإنسان فرداً وجماعة بالحرية وبسائر الأحوال التي لا تستقيم إلا في مناخ لا قاهر فيه ولا مقهور.

وكما عرف العالم قديماً وحديثاً في كل مراحل التاريخ الملأى بالمآسي، أعمال عنف ظالمة ومنكرة بأسبابها ونتائجها هي تلك التي يقوم بها القوي لقهر الضعيف، والغني لإستغلال الفقير، والكثير لإبتلاع القليل، والغاصب لإذلال من لا يخضع لأوامره ونواهيه، والتي يمارسها معتدون متجبّرون قساة إندكت قواعد الرحمة وزالت معاني العدالة في نفوسهم فباتوا لا يبغون إلا الغوائل المهلكة لأشباههم الآدميين، عرف كذلك أعمال عنف مناهضة ومقاومة أولائك القساة الظالمين أصحاب العنف القائم على الإفتراء والإعتداء وفساد الأهواء.

ومن صيغ المناهضة للعدوان والشر وثبة الجنوبيين على المحتل الغاصب وثبة كريمة أعدت لها المقاومة، وأذكت نارها، وأدارت فصولها في شجاعة وحكمة وإيمان بحقها الطبيعي في ما تفعل، فكان عملها هذا سيفاً بيد الحق في مواجهة الباطل، وصموداً في أرض الذكريات والمخزونات الإنسانية، وتهديماً للشر وأسبابه، وتدعيماً للخير وأصحابه.

والعنف المدافع رداً للعنف المعتدي، هو حق مشروع من الناحية

الدينية والقانونية، بل هو إباء وأنفة وشرف وسمو وأعتزاز بالنفس عن مواطن الذل والهوان. . .

وهنا لا بد من أن يقال :

لا شك في أن لدى المعتدين الظلمة من أدوات القتال التي تمكن أصحابها من خوض المعارك والإستمرار فيها، ما ليس لدى المقاومة في الجنوب اللبناني.

ولا شك كذلك في أن لدى المعتدين من وفرة العدد في صفوف المقاتلين ما ليس لهذه المقاومة التي تتألف من عدد قليل من المقاتلين بصورة نسبية.

ومع ذلك أنتصر الحق على الباطل. . الدم على السيف. . أنتصر القليل على الكثير، وصاحب الآلة القتالية البسيطة على صاحب الآلة المركبة، الغاطس في دروع الحديد والنار وبحوزته أدوات القتال من كل نوع، فأي معنى نستخلص من هذا الواقع السعيد؟

لكل من الناس ما يراه في هذا الشأن، أما أنا فلا أرى في هذا نصر الجنوبيون على الأعداء إلا معنى واحداً هو أصدق المعاني، وأسبقها إلى خاطر المتأمل الواعي وأدلهّا على الحقيقة الواضحة كالشمس في رابعة النهار. .

أن عملية القتال تقوم على عنصرين أثنين هما :

الآلة التي يستخدمها المقاتل غازياً ومعتدياً أو مدافعاً عن حقه في الحرية والحياة، والإنسان الذي يستخدم هذه الآلة.

في نظر بعضهم أن الآلة هي العنصر الأهم والأفعل والأوعى إلى النصر. . وفي نظر بعضهم الآخر أن العنصر الأهم والأفعل والأوعى إلى

النصر هو الإنسان نفسه بما يحمله في أعماقه من عقيدة وإيمان بعدالة قضيّته، ومن شعور بنبل مسعاه، ومن ثقة واعية بحقه في الحرية والحياة، وفي هذا الواقع يكمن شرف المقاوم وتكون عظمة المقاومة مسنونة في ضمائر الأغلبية الساحقة من البشر، فإن كل مقاوم للشر في كل مراحل التاريخ ولدى جميع الأمم، هو عامل لخير الإنسانية كلها في معنى من المعاني، بل في أجل المعاني، وكل شهيد للمقاومة هو شهيد الإنسانية جمعاء.

على هذا، يكون الجنوب اللبناني المقاوم قد قدم دفاعاً عن المحرومين والمظلومين في كل زمان ومكان، وللإنسانية التائقة إلى العدالة والكرامة والحرية، الساخطة على الظلم والقهر والعدوان، شهداء يفخر بهم التاريخ ويقوى بسيرتهم الشعور بكرامة الإنسان!






«تاريخية العمل الجهادي»

عاش سكان جبل عامل، وعلى امتداد عدة قرون، من الجور والظلم من جانب الحكام والسلاطين، ولأسباب مذهبية، ومن الإعتداءات والغزوات من جانب أهل الإقطاعات المجاورة في فلسطين وفي منطقة الشوف ووادي التيم..

لذا فقد أنصرف الشعب العاملي إلى ممارسة أساليب الحرب: وإحكام خطتي الدفاع والهجوم وكان لا هم لهم في فترات السلم إلا شحذ السيوف وتسديد المرمى، والكر على ظهور الخيل يعلمونها لأولادهم من الصغر لا يعبأون بذهب يجمع، أو ذخر يرفع، أو قصر يبنى[1]...

وقد خاض العامليون من المعارك، التي خسروا بعضها.. وفازوا في معظمها...

والتي لجأ فيها العامليون إلى حرب العصابات ضد الطغاة وجنود الجزار وأتباعه..

وكما أنه يستفاد من النصر، أيضاً يستفاد من الخسارة والهزيمة باستلهام الدروس والعظات..

وننهي حديثنا حول تاريخية العمل الجهادي في جبل عامل، بالإشارة إلى الدور الريادي لعلماء الدين الأجلاء في الذود عن معالم الشريعة

---

(١) كتاب تاريخ جبل عامل، ص٨٣.

السمحاء وحياض الإسلام وفي وقوفهم بوجه الظلم والإستبداد ونورد - كمثال - المواقف التالية:

- موقف الإمام المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين (قده) تجاه الإحتلال الفرنسي، مما أدى إلى مهاجمة بيته في ١٤ كانون الثاني عام ١٩١٩، وفيما بعد إحراق مكتبته.

وموقفه تجاه أحداث جنوب لبنان عام ١٩٤٨، حيث وجه رسالة إلى رئيس الجمهورية اللبنانية جاء فيها:

وحسبنا الأن نكبة جبل عامل في حدوده المتاحة ودمائه المباحة.. هذا الجبل المرابط يدفع الدم لشذاذ الآفاق..)[1].

- موقف العالم الجليل السيد محسن الأمين(قده) والذي أصدر عدة بيانات موجهة إلى العرب كافة يدعوهم فيها إلى دعم ونصرة شعب فلسطين عام ١٩٤٨..)[2].

ومن هذه المواقف المشرفة رفضه منصب (رئيس العلماء والإفتاء) الذي عرضه الفرنسيون عليه.



(١) عن مجلة العرفان الإسلامية، العدد ٢٧، ص٤٧.

(٢) د. علي مرتضى الأمين: السيد محسن الأمين سيرته ونتاجه، ص١٥.




«الدور الحضاري والعلمي لجبل عامل»

جبل عامل، ذو تاريخ عريق حافل بالعلم والمدارس، نبغ فيه الكثير من أفذاذ العلماء الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم، وأسدوا للبشرية جميلاً أرتسم على جبين التاريخ.. وهو موطن الأدباء والشعراء والمبدعين، قديماً وحديثاً.

وعدد النابغين منهم بالنسبة إلى السكان هذا القطر أكثر بكثير من النابغين من غيرهم بالنسبة إلى سكان أقطارهم)[١].

وقد وصلت فيه النهضة العلمية والفكرية إلى مستوى راق وسام، ويكفي دلالة على ذلك بقاء أفران عكا في فلسطين مشتعلة سبعة أيام وهي تحرق كتب العامليين عقب عزو الجزار الذي:

صادر المكتبات الثمينة كمتبة آل خاتون (التي كانت تحتوي على خمسة آلاف مجلد) آل الصغير وآل الأمين ونور الدين وشرف الدين وفضل الله وآل الحر وآل نعمة وآل يحيى وآل السبيتي والقبيسي وآل إبراهيم وآل مروة وآل الزين وغيرهم من بيوتات العلم)[٢].

كما يقدم لنا النص الذي يقول بأنه أجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر المقدس الشهيد الثاني زين الدين بن

---

(١) كتاب خطط جبل عامل، ص٧٣.

(٢) كتاب تاريخ جبل عامل، ص١٧.

نور الدين العاملي)[1]، فكرة عن كثرة العلماء العامليين وعن الحركة العلمية النشطة في ربوع جبل عامل، وفيما يلي أستعراض سريع لأهم الشخصيات والكواكب العلمية التي نبغت فيه:

١ - الشهيد الأول الشهيد السعيد شمس الدين محمد بن مكي الجزيني، صاحب كتاب اللمعة الدمشقية والتي لا تزال حتى اليوم تدرس في الحوزات العلمية.

٢ - الشهيد الثاني زين الدين بن نور الدين علي الجبعي العاملي صاحب كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية والذي أستشهد عام ٩٦٥هـ.

٣ - المحقق الميسي الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (المحقق الكركي) والذي أسس مدرسة علمية في ميس الجبل، وتوفي عام ١٥٢٦م.

٤ - الشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ) . . والذي تولى مشيخة الإسلام في أصفهان في دولة الشاه عباس الصفوي.

٥ - الشيخ المحدث الجليل محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي (ت ١٠٤هـ) مصنف كتاب وسائل الشيعة وكتاب أمل الآمل ذكر أنه له أكثر من (١٩٤ كتاباً ومؤلفاً).

٦ - الشيخ حسن زين الدين (ت ١٠١١هـ) الجبعي العاملي ابن الشهيد الثاني، وهو صاحب المعالم في الأصول المعتمد في التدريس في حوزاتنا العلمية حتى الآن.

٧ - الشيخ تقي الدين الكفعمي صاحب كتاب: «المصباح» في الأدعية.

---

(١) كتاب تاريخ جبل عامل، ص٧٦.

٨ - السيد جواد العاملي صاحب كتاب مفتاح الكرامة.

٩ - المرجع الديني الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب «المراجعات» الشهير والذي أسس مدرسة عصرية في مدينة صور الساحلية، وكان يطمح إلى بناء جامعة لجميع أنواع الثقافات العالية في العلوم الإسلامية وغيرها.. وهو القائل: أن إعمار المدارس.. يغني عن إعمار السجون..

١٠ - المرجع الديني الكبير السيد صدر الدين الصدر والد الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر.

١١ - العلامة السيد محسن الأمين، صاحب موسوعة أعيان الشيعة.

١٢ - العلامة الشيخ محمد جواد مغنية مؤلف كتاب «فقه الإمام الصادق» والعديد من المؤلفات القيمة.

١٣ - المرجع الديني الشيخ محمد تقي الفقيه (قده) صاحب العديد من المؤلفات التي أغنت المكتبة العلمية.

١٤ - المخترع والعالم الكبير حسن كامل الصباح.

١٥ - شاعر العروبة والإسلام الشيخ محمد علي الحوماني ابن بلدة حاروف الجنوبية، رجل دين وشاعر وأديب له عدة مؤلفات منها: دين وتمدين، ديوان الحوماني، ديوان القنابل، ديوان نقد السائس والمسوس، ديوان النخيل، ديوان أنت أنت، ديوان حواء، معلقات العصر، وحي الرافدين، بين النهرين، المآسي، ومجلة العروبة.

١٦ - المخترع والعالم الكبير رمال حسن رمال.

١٧ - المفكر الدكتور حسن سامي حمدان ابن بلدة حاروف الجنوبية المعروف (مهدي عامل).

ولا يتسع المجال هنا لذكر أبرز الشعراء والأدباء والنوابغ في باقي مجالات الفكر والمعرفة..

ولا لتناول أبرز المدارس والحوزات العلمية التي نشأت في حواضر وبلدات جبل عامل.

وفي الختام من خلال الإستقراء الشامل لتاريخ جبل عامل، على الصعد السياسية والعلمية والإجتماعية، فان الباحث لا بد أن يصل إلى النتائج التالية:

أولاً: كان جبل عامل ولا يزال، عرضة لهجمات الغزاة، ولم يترك العامليون السيف قط إلا وأصابهم التشرد والذل..

بينما أرتبط إستقلالهم وعزتهم وصيانة حرماتهم بمقاومتهم وجهادهم وإستعدادهم الدائم للذود بالدم وبالأنفس عن دينهم وعن كرامتهم..

وذات المعادلة تتكرر الآن في تاريخنا المعاصر...

وبالتالي فلا بد لنا من الإستناد إلى قوة الإيمان وعدم الإستسلام أمام التحديات المعاصرة...

ثانياً: الدور الأساسي الذيأضطلع به علماء الدين وقيادتهم الرائدة.

ثالثاً: كان الإنقسام بين زعماء جبل عامل، من أهم العوامل المؤدية لإضعافه في وجه خصومه، بينما توافقت الفترات الذهبية لجبل عامل مع وجود قيادة موحدة له سواء في عصر المجاهد ناصيف النصار (ت ١١٩٥هـ) أو أحمد البيك الأول (حكم بين ١٢٥٦هـ، ١٢٦٩هـ).



المبحث الثاني

لمحة عن الإمام موسى الصدر

١ – إنتماء الإمام الصدر.

٢ – الشجرة الطيبة.

٣ – مولده وعلومه.

٤ – في لبنان.

٥ – النشاة والتربية.

٦ – العشرة المميزون.

٧ – المخزون العلمي.

٨ – سلوكه وأخلاقه.

٩ – دراسته وأساتذته.

١٠ – خطواته الكبيرة.




«إنتماء الإمام الصدر»

هو السيد موسى بن السيد صدر الدين بن السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين بن السيد صالح شرف الدين الذي ولد في قرية شحور قضاء صور (جنوب لبنان) سنة ١٧٠٢م وسكن فيها وكان عالماً دينياً جليلاً بالفقه والأصول وله باع طولى في الطب والرياضيات يملك مزرعة بالقرب من بلدة معركة الجنوبية تدعى «شدغيت» ولد فيها ابنه السيد صدر الدين رضوان الله عليه.

وحين شنّ والي عكا أحمد الجزار حملة شاملة ضد علماء المسلمين الشيعة في جبل عامل حيث إضطهدهم وقتلهم وأحرق المكتبات العاملية في أفران عكا تعرض السيد صالح شرف الدين للإضطهاد وقتل ابنه الأكبر السيد هبة الدين (كان في الحادية والعشرين من عمره) أمامه ظلماً وعدواناً وألقى الجزار القبض عليه وحكم عليه بالإعدام وسجنه في عكا مدة تسعة أشهر حيث إستطاع الفرار إلى العراق وأستوطن بجوار جده أمير المؤمنين في النجف الأشرف، وبعد فترة تبعه شقيقه السيد محمد الذي ألحق به زوجته وولديه صدر الدين وعمره ست سنوات ومحمد علي وعمره أربع سنوات.

يقول الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: (في العراق أسس جدي «السيد صالح» عائلة معروفة ببيت الصدر ثم سافر ولده السيد

صدر الدين إلى إيران لزيارة الإمام علي الرضا عليه السلام وحينما مر على أصفهان استبقاه أهلها حسب عاداتهم في أحترام العلماء العامليين اللبنانيين فبقي هناك حيث أسس عائلة كبيرة، والطروف أن العائلتين في العراق[١] وفي إيران تحتفظان إلى الآن بلقب العامليين[٢].

بعد فترة من الزمن أصبح السيد صدر الدين ابن السيد صالح من جهابذة العلماء في العراق وقبل نزوحه إلى أصفهان في إيران كان قد تزوج ابنة المجتهد الشيخ الكبير كاشف الغطاء ورزق منها خمسة علماء دين كان أصغرهم السيد إسماعيل الذي غادر أصفهان إلى النجف الأشرف يطلب العلم وعرف باسم السيد الصدر.

وكان السيد إسماعيل من رجال الزهد والورع والعلم، درس على السيد ميرزا الشيرازي وانعقدت له المرجعية الدينية العامة الشيعية حتى وفاته في النجف الأشرف سنة ١٩١٩م تاركاً أربعة أولاد هم:

السيد مهدي الذي شارك في الثورة العراقية ضد البريطانيين سنة ١٩٢٠ والسيد صدر الدين والد الإمام الصدر (ولد سنة ١٨٨٢م) والسيد محمد جواد والسيد حيدر وجميعهم من العلماء الدين الأفاضل.

أمضى السيد صدر الدين فترة شبابه في العراق حيث قاد حركة دينية تقدمية وأرتبط اسمه بالنهضة الأدبية العراقية إذ شارك في تأسيس الهيئات الثقافية وكتب في العديد من الصحف والمجلات العراقية.

تزوج من السيدة صفية (والدة الإمام الصدر) كريمة المرجع الديني

---

(١) الإمام موسى الصدر في حديث خاص عن عائلته نشرة في جريدة السفير اللبنانية عام ١٩٧٦.

(٢) في العراق أبناء عمه هم: السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قده) - والسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (قده) والسيد حسين حسن الصدر.

للشيعة حسين القمي (قده) ثم هاجر إلى خراسان حيث يقع حرم الإمام علي الرضا عليه السلام طلباً للراحة ولكنه ما لبث أن أستدعي إلى قم من جانب أستاذه الكبير الإمام عبد الكريم اليزدي ليعاونه في إدارة الحوزة العلمية الدينية (كان أحد المساهمين في هذه الحوزة) فلبى الدعوة وأصبح من العلماء البارزين في هذه الحوزة العلمية.

وبعد وفاة الإمام يزدي رفض السيد صدر الدين زعامة الحوزة بصفته عميدها، «ولكنه بالرغم من إبائه تقدمت به مكانته» فأقبل عليه الناس ساخطاً كان أم راضياً وحين رأى نفسه إزاء الأمر الواقع تولاها زعامة درس وخطابة وجماعة وقياماً بأمور العامة في سنة نبوية وهو في طبعه ووضعه زهداً وتواضعاً.






«الشجرة الطيبة»

قد يعتبر من الأمور التقليدية الشروع بذكر الولادة والبيت في كتب تراجم الرجال، ولكن بالنسبة للإمام موسى الصدر رضوان الله عليه، فالأمر مختلف، إذ أن فرعاً تلك جذوره، هي المقدمة على كل ذكر لأن ما سواها نتيجة في تنامي الجذور، ورشح من شجرة الطيبة الثابتة الأصل، والمتفرعة صعداً نحو السماء، ولو لم يكن الأمر كذلك، لتخلفت الولادة والبيت في الذكر، إذ لا تفرق عن ملايين الولادات والبيوتات، التي يضفي مولودها معنى عليها لبصمات يتركونها، بينما بالنسبة للإمام الصدر، فكل ما صدر عنه هو نتيجة لتجذر بيته وتقلب الطهر في الأصلاب والأرحام.

قد يحسن بنا أن نستقي الهجرة من بيت الإمام موسى الصدر، الهجرة في جذوره يتماهى وجهاها: الجسدي والروحي، والضرب في الآفاق، سلوك وطابع إنحدرا إليه من آبائه، فتأصلا مكانياً وأنفسياً وإتحدا في الهدف، فكان ما هو مادي تخالطه الروح في كامل ثناياه، لخلوصهما كليهما لله تبارك وتعالى.

تعود بهجرة آباء الإمام الصدر من لبنان وفيه، إلى سنة ١٢٩٢م، سنة بدأت الحملة الأولى على شيعة كسروان، وبلغت حدها الأقصى بصدور فتوى ابن تيمية المشهورة التي قضت على شيعة كسروان بالتشرد أو الذوبان في المحيط، فالمظنون من قرائن ومقارنة تواريخ، أن السيد تاج الدين أبو

الحسن كان من المهاجرين على أثر هذه الفتوى[1] المسببة للحملة الرابعة سنة ١٣٠٥م، وسميت حملة فتوح كسروان، ومن هنا كانت تسمية المنطقة فتوح كسروان.

نأخذ بهذا التاريخ، وإن كان على الظن، لأن الشخص المهاجر محدد، ولأن فيها هجرة تخليص الكرامة والنفس من الجور والظلم، وبلاد الله واسعة... بينما هجرات الشيعية أمواج استمرت مكثفة طوال عهود الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وليس في ما بين أيدينا ما يحدد في أي منها كانت هجرة آباء الإمام موسى الصدر إلى كسروان، ومن هم الأوائل.. ممن كانوا يلاحقون ويقتلون على الظن والشبهة.

أستقر السيد تاج الدين في جبع، ونمت له فيها ذرية، ومنها السيد علي نور الدين، الذي برز في علمه وصواب رأيه، وإمتداد علاقاته، فذاع صيته، وكان من أصحاب الرأي عند الأمير فخر الدين المعني، ما أحفظ من يتوقون إلى مقامه فأحدثوا ما حمل السيد على الهجرة إلى مكة المكرمة، فلا تطاله عين فخر الدين، فجاور هناك خادماً للشريعة، وكان ذلك سنة ١٠٤٠هـ (١٦٣٠ - ١٦٣١)[2].

هذه مرحلة في الهجرة توزعت بعضاً من الأبناء والأحفاد على مناطق مختلفة من إيران والعراق والهند، وكان منهم من هاجر من جبع إلى شحور، بعد أن عانى الكثير من ضغط آل منكر، بعد هجرة أبيه وجده إلى مكة المكرمة، حتى لم يعد مجال للصمود فأستقر في شحور السيد إبراهيم المعروف والملقب بشرف الدين، وكانت ذريته المنتسبة إليه، ومنهم حفيده

---

(١) السيد عبد الله شرف الدين: مؤرخ ونسابة، مقابلة خاصة مع السيد حسين شرف الدين مؤلف كتاب محطات تاريخية - الإمام الصدر.

(٢) الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين: كتاب بغية الراغبين، الدار الإسلامية، ج١، ص١٠٢.

السيد صالح، وإليه تنتسب عائلة الصدر في العراق وإيران، وعائلات: صدر عاملي، وخاتمي، ومستجابي، وفصولي، وصدر زاده، وجمال زاده في إيران.

من صفات السيد صالح أنه كان كثير البر والصدقة سراً وعلانية، رؤوفاً بالمؤمنين يحنو على اليتامى، ويعطف على الأيامى، ويرق للفقراء والمساكين، ويبادر بنفسه إلى إعطاء السائل يؤثره على نفسه، فإن لم يجد له شيئاً أعطاه خاتمه أو قباءه أو بعض أواني بيته.

ولد السيد صالح في شحور سنة ١١٢٢هـ (١٧١٠م)، (أمه ابنة الحر العاملي صاحب - أمل الأمل - وموسوعة وسائل الشيعة)، وبلغ الأوج في الفقه والعلوم الإسلامية والفلسفة وآداب اللغة وعلومها، وحفظ السنن النبوية وحوادث السنين وأخبار الماضيين، كما درس الطب والرياضيات.

تلقى العلوم هذه في (عاملة) وهاجر في سبيلها إلى مصر وبلاد الحجار والعراق، وعاد إلى شحور كبيراً علماً وثقافة وطيب خلق ومعشر، يقف على شؤون البلاد وشجونها إلى أن كانت أطماع الجزار في جبل عامل، بعد أن أستولى على عكا، فكانت وقائع عدة بين العامليين وجيش الجزار، ومنها موقعة شحور يوم الثلاثاء ١٣ رجب ١١٩٨هـ (٢ حزيران ١٧٨٤م)، وقد أنتهت بأن تحمل رؤوس الشهداء إلى الجزار، وكان التنكيل والتشريد ومن فظائعها أن ألقوا القبض على السيد صالح وابنه هبه الله، وهو في الواحد والعشرين من عمره، ومن الفضلاء البلغاء، فقتله الظالمون نصب عيني أبيه وساقوا الأب إلى السجن في عكا.

دخل السيد صالح في هجرة نفسية، تضيء جوانب ذاته، وأقبية سجنه حتى فرج الله كربته بعد تسعة أشهر، بتسخير السجانين المؤمنين أو أي

سبيل آخر، وأمّن طريقه إلى العراق حيث أستقر في النجف الأشرف بعيداً عن أن تناله يد الجزار.

وإن أستقر الأمر بالسيد صالح في المكان، ولكن نفسه بقيت في هجرة إلى الله حتى لاقت ربها، وقد بنى الله ذرية تتابع طريقه، تتسلل من ولديه السيد صدر الدين والسيد محمد علي[١].

وقد تسامى إسميهما في عالم العلم، وبالخصوص السيد صدر الدين (**أمه في رتبة أحد أحفاد الشهيد الثاني**) الذي يهاجر إلى كل إسم يرى فيه إمكانية إستزادة، فهاجر إلى أصفهان، وهناك أستقر بناء لطلب الأفاضل من العلماء، وهذا من تقاليد الحوزات العلمية، تدعو من تأنس فيه التمايز علماً وخلقاً ونهجاً وأسلوباً.

من هنا، فإن الهجرة العلمية تقوم على إستجابة لطلب أو اختيار لمقام، وليست قسرية كالهجرة خلاصاً من الظلم، فالوطن عند العلماء الرواد هو حيث يفيدون ويعطون، فالسيد صدر الدين ابن صالح هاجر وإستقر في أصفهان، بينما ابنه السيد إسماعيل[٢] (**أمه من عائلة نمازي التي لا تزال تحافظ على مكانتها الإجتماعية في أصفهان وشيراز حتى الآن**) عاد إلى العراق بعد أن بلغ الإجتهاد، فتولى المرجعية العامة بعد وفاة أستاذه ومرجع الأمة في حينه الشيرازي الكبير، ونجد السيد صدر الدين بن إسماعيل (**والد الإمام موسى الصدر**) يهاجر إلى إيران وهو في الدرجات العليا علمياً ونجد أشقاءه الثلاثة يستمرون في العراق، ولهم تعقد الرايات، (أمهم ابنة السيد هادي الصدر من مراجع التقليد في العراق)[٣].

---

(١) بإيجاز عن بغية الراغبين بتصرف بسيط من المؤلف.

(٢) السيد إسماعيل الصدر ما زال أولاده وأحفاده في العراق يسكنون النجف الأشرف ومدينة الكاظمية في بغداد ومنهم السيد حسين حسن الصدر.

(٣) إن كان المتعارف عليه الافتخار بالآباء، فإنني لا أجد الأمهات أقل قدراً ولذلك ذكرت الأمهات=

وإذا أمعنا بحركة الهجرة في هذه السلالة المباركة، نجدها وكأنها جزء من تقاليدها، ومن أمثلتها الأجداد المباشرون للسيد صالح فجده شرف الدين سكن شحور وأخوه شرف الدين سكن أحدهما بجوار السيدة زينب عليها السلام في الشام والآخر في جبع جنوب لبنان، وثالث سكن حيدر آباد بعد أن ترك ذرية في الشام، ورابع في جبع.

عرضنا لحركة الهجرة في آباء الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر، ولم نعرض لمواقعهم الإجتماعية والعلمية، وحسبنا القول أنهم كانوا مراجع تقليد كباراً، وجل ما يهمنا الإشارة إليه هو الجذور التي تفرع منها الإمام الصدر، إن كان الجانب العلمي أو السلوك الأخلاقي، أو الإهتمام الإجتماعي، أو الصبر على المكاره، كما نلفت أن الهجرات هي المفاصل للتحول والتغيير، إن كانت مكانية أم عروجاً روحياً.

وما عودة الإمام الصدر إلى بلاد الآباء، ثم التنقل اليومي بين الدساكر والقرى والمدن، والضرب في الآفاق العربية والأوروبية والآسيوية والإفريقية، وهو يحمل في كل مرة هماً من هموم العباد والبلاد.

إن ضاق المقام عن سيرة موجزة لأجداد الفقيه العاملي لبيان مكتسباته التراثية فإننا لا نستطيع إلا أن نذكر ملامح من أبيه، وقد تربى الإبن على يديه خلقاً ودراسة كما رافقه في حله وترحاله حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، وعاش مصاعبه ومتاعبه، وهذه الملامح نجدها طابعاً للإمام موسى الصدر. . .

= لحلقات السلسلة المباركة، فابنة السيد هادي هذه قد أنجبت أربعة من كبار المجتهدين والمراجع (السيد محمد مهدي والسيد صدر الدين والسيد حيدر)، وكذلك شقيقتها الزهراء والدة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، وهو وحيدها، وشقيقة أخرى أنجبت الكبار من آل ياسين (الشيخ محمد رضا، والشيخ مرتضى، والشيخ راضي)، شقيقات ثلاث زحمن ساحة الجهاد والعلم والعمل بثمانية فرسان للأمة في عصرنا الحاضر.

ذكر في كتاب (نقباء البشر) لدى ترجمته لآية الله السيد صدر الدين الصدر[١]: كان الحائري زعيم الحوزة في مدينة قم، رهن عوارض الشيخوخة، وكان يخاف على جهوده من الضياع والإنهيار، فأمر بعض تجار[٢] قم بالإتصال بالمترجم له، وهبط قم، وقرت عين الحائري، وجعله مع السيد محمد الحجة محل إعتماده وثقته..

ونهض المترجم له وزميله المذكور بأعباء الزعامة، وتوليا إدارة الأمور، وحفظ نظام الهيئة العلمية بلباقة ورصانة أنضم إليهما السيد محمد تقي الخوانساري، فكان هؤلاء الثلاثة دعامة الحوزة وحصنها، وقادتها وموجهيها، وقد عملوا بإخلاص وتضحية فوزعوا الأعمال والمسؤوليات والمهام والنفقات، وتعهد كل واحد بشيء وأخذ على عاتقه، غير أن الرأي في كل الأعمال كان موحداً ومدروساً من قبل الجميع[٣].

كان هذا العالم الجليل السيد صدر الدين الصدر مخلصاً في أعماله وأقواله ويدعو للإصلاح كثيراً، وكان كثير التواضع يجالس سواد الناس ويبدأ من لقيه بالسلام والتحية، وظل كذلك بعد أن رجع الناس إليه في التقليد، وأصبح من أكابر العلماء المدرسين فلم تتبدل عاداته، ولم تتغير أخلاقه، ولذلك كانت له مكانة سامية جداً في نفوس الجميع ولعل أكبر دليل على إخلاصه، هو تكتمه في أكثر أعماله، إلا ما كان ظاهراً للعيان

(١) كتاب نقباء البشر ج٣ ص ٩٤٣ وما بعدها.

(٢) يروي أحد المقربين من آية الله الحائري يقول: المرجع الحائري لم يكن يتسلم أي مبلغ مالي وإنما يحول المبالغ إلى أمين مال من التجار الموثوقين المقلدين له، وهذا يقوم بدوره بتنظيم قيود الداخل والخارج والاشراف على وجهات القبض والصرف، وتأمين متطلبات الإسكان والسفر.

(٣) وهذا الأسلوب كان أول عمل جماعي في إدارة الحوزة، وقد اتبعه آية الله صدر الدين الصدر عندما تولى شؤون الحوزة بعد آية الله. الحائري، فنظم رواتب الطلبة واعتنى بتحسين السكن والتعليم في مدرسة فيضية وأناط الاهتمام بهذا وبتنظيم برامج إمتحانات ولم تكن للحوزة سابق نظام امتحانات أناط هذا بلجنة من السيد الخميني والشيخ صدوقي والسيد عبد الجواد أصفهاني.

كتشييد المدارس والمساجد وإثارة بعض الأماكن المقدسة، وتقديم الرواتب والمخصصات لطلاب العلم والمحتاجين، فقد ترك من الباقيات الصالحات كثيراً في مشهد الرضا عليه السلام وقم وغيرهما.







«مولده وعلومه»

في مدينة قم الإيرانية المقدسة وفي بيت أصيل عرف بالعلم والإجتهاد والجهاد في سبيل الله ولد (الفقيه العاملي) سماحة الإمام السيد موسى صدر الدين الصدر في ١٥ آذار سنة ١٩٢٨.

درس علومه الإبتدائية والثانوية في مدارسها وتلقى دروسه الدينية والفقهية في كلية قم للفقه، ثم التحق بجامعة طهران كلية الحقوق - فرع العلوم الإقتصادية وكانت عمامته أول عمامة دخلت حرم تلك الجامعة، حيث نال شهادة جامعية في القانون.

وفي عام ١٩٥٤ أنتقل إلى النجف الأشرف بالعراق وبقي فيها أربع سنوات لإتمام دراسته الدينية والتخصص في حقل التشريع الإسلامي حضر فيها دروس الفقه على المرجع السيد محسن الحكيم والمرجع الشيخ محمد رضا آل ياسين ودروس الأصول على المرجع السيد أبو القاسم الخوئي رضوان الله عليهم أجمعين.

وخلال وجوده في النجف الأشرف اشترك في «جمعية منتدى النشر» حيث شارك في الندوات والمحاضرات والكتابة وكان عضواً فكرياً فعالاً في تلك الجمعية إلى جانب وجوده في هيئتها الإدارية.

حاضر «الفقيه العاملي» في الفقه والمنطق في كلية قم الدينية كما أصدر مجلة في مدينة قم باسم «مكتب إسلام» أي المدرسة الإسلامية، كان

صاحب إمتيازها وقد أدارها عدة سنوات حتى غدت أكبر مجلة دينية في إيران وما تزال تصدر حتى اليوم، ومع أن أحاديث الإمام وندواته ومحاضراته لم تنشر بأكملها فإن هناك كتباً عديدة جمعت بعض محاضراته، وقد كتب الإمام موسى الصدر في مواضيع إجتماعية وسياسية وفقهية وغيرها كان أبرزها: الإسلام وثقافة القرن العشرين - الإسلام والعبادات - الإسلام والتطور - المعاملات الحديثة في ضوء الفقه الإسلامي - تأملات حول بعث تعاليم الإسلام - الإسلام والمرأة.

كما قدم للعديد من المؤلفات كان أهمها مقدمة لكتاب تاريخ الفلسفة الإسلامية للبروفسور الفرنسي هنري كوريان.

ومقدمة أخرى لكتاب القرآن الكريم والعلوم الطبيعية للمهندس العالم يوسف مروة.

ومقدمة لكتاب فاطمة الزهراء عليها السلام «وتر في غمد» للأديب سليمان كتاني.

إضافة لما تقدم فقد قصد عدة بلدان عربية وأفريقية وأوربية محاضراً ومطلعاً على معالم الحياة في تلك البلدان كما ألقى مئات المحاضرات في الجامعات والمعاهد العلمية اللبنانية وفي الندوة اللبنانية وفي المؤسسات والمراكز الدينية والثقافية والإجتماعية الإسلامية والمسيحية وفي مؤتمرات البحوث الإسلامية وكانت محاضراته في مواضيع مختلفة: دينية، سياسية، تربوية، ثقافية، إجتماعية، وطنية، قومية وإنسانية.

وأتقن اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم والبيت والجامعة الدينية في قم المقدسة، والفارسية لغة السكن، وألمّ باللغات الفرنسية والإنكليزية خلال دراسته الجامعية إضافة إلى لغات أخرى كالأوردية ألمَّ بها فيما بعد.

تزوج «**الفقيه العاملي**» سنة ١٩٥٤ من السيدة بروين خليلي ورزق بأربعة أولاد صبيان وبنتان، هم: صدري، حميد، حوراء، مليحة.

غادر الإمام موسى الصدر مع رفيقيه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين إلى ليبيا تلبية لدعوة رسمية من رئيس الدولة، وأعلن عن إختفائه في ٣١ آب عام ١٩٧٨ ولم يعرف عنه شيء حتى الآن.






«في لبنان»

زار «**الفقيه العاملي**» الإمام السيد موسى الصدر أقرباءه في لبنان الجنوبي (في مدينة صور وشحور ومعركة) أول مرة سنة ١٩٥٥ حيث حلَ ضيفاً على نسيبه المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين الذي تعرَف إلى شخصية الإمام موسى الصدر الحافلة بالمواهب والمناقب وصار يتحدث في مجالسه عن مزايا الإمام الصدر وعصاميته بما يوحي بجدارته لأن يخلفه في مركزه بعد وفاته.

وعقب وفاة المغفور له الإمام شرف الدين في عام ١٩٥٨م كتب أهالي مدينة صور رسالة إلى الإمام موسى الصدر في قم المقدسة يدعوه فيها للعودة إلى لبنان ويومها كان السيد البروجوردي (قده) «**من كبار مراجع الشيعة آنذاك**» «أستاذ الإمام الصدر في قم فلفت نظر الإمام إلى ضرورة تلبية الدعوة وكذلك المراجع الدينية الكبرى «**لا سيما الإمام السيد محسن الحكيم (قده) أستاذ السيد موسى الصدر وزعيم الحوزة العلمية في النجف**» وقتذاك الذي نصحه بالسفر إلى لبنان تلبية لنداء الجماهير المؤمنة.

فعاد «**الفقيه العاملي**» الإمام موسى الصدر إلى لبنان في أواخر سنة ١٩٥٩ وأقام في مدينة صور الساحلية وتم إختياره خلفاً لنسيبه الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قده) الذي أنتقل إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالنضال والتوجيه والتدريس والكتابة.

وهكذا فإن الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه الذي ولد في كنف عائلة علمائية عاملية من جنوب لبنان في قم المقدسة قدم إلى لبنان بعد أن تبوأت هذه العائلة الكريمة مكانة دينية وفكرية وجهادية وإجتماعية مميزة في العالمين العربي والإسلامي.






«النشأة والتربية»

نشأ سماحة السيد في أسرة علمية معروفة بالتقوى والعلم والفضل، ضمت مجموعة من فطاحل العلماء منهم والده آية الله العظمى السيد صدر الدين الصدر(قده) وشقيقه آية الله السيد محمد رضا الصدر(قده). .

هنا يتحدث آية الله السيد محمد باقر سلطاني ويقول:

أن آية الله السيد محمد كاظم شريعتمداري (قده) عندما حل مدينة قم المقدسة قادماً من تبريز، ظهر إنطباع عنه أن عنده طروحات من شأنها أن تعدل من مسار الأسلوب التعليم ونمط العلاقات العلمية في قم المقدسة، الذي كان يقول عن تلميذه السيد موسى الصدر: آية في التقوى والتواضع والزهد والورع[١].

وإذا كان أحد يوصف بأنه قليل النظير في ذلك فان هذا الوصف ينطبق تماماً على الإمام السيد موسى الصدر رضوان الله عليه.

لذلك أختير الأميز من شبان الحوزة، دراسة وتفتح ذهن وتطور نظرة، وأستقر على عشرة منهم تلقى إليهم المهام التي تحقق نظرته، وكان الإمام موسى رضوان الله عليه في طليعتهم.

ويتابع السيد سلطاني: من الأمور الطبيعية أن يخرج من كل جيل مميز

(١) صحيفة سيروش الإيرانية حديث السيد سلطاني في ذكرى الإمام الصدر عام ١٩٨٥.

واحد أو إثنان، أما أن ينتج جيل من هذا العدد فهو ملفت، فكيف إذا أنتج جيل عشرة مميزين؟[١].

ومن هذه اللمح المضيئة، أو بعض ما أستقر في الذهن أو دون من شهادات عن الفقيه العاملي سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه في فترة وجوده في مدينة قم المقدسة..

بعد مدينة قم المقدسة أتى النجف الأشرف هذه المدينة المقدسة التي تعطي دون حدود لمن يطلب منها لبن التقوى والمعرفة لأنها تضم باب مدينة العلم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الذي لا ينضب نبعه ولا يجف غديره، ومن هنا كانت بيئة النجف سبباً آخر ترك آثاره على شخصيته فتجد مجموعه من الخصال والفضائل تتجسد فيه دون رياء أو تصنع.



(١) صحيفة سيروش الإيرانية حديث السيد سلطاني في ذكرى الإمام الصدر عام ١٩٨٥.




«العشرة المميزون»

إنهم عشرة من المميزين، أحدهم الإمام موسى الصدر، فمن هم التسعة الآخرون، يقول السيد سلطاني:

١ - الشهيد الدكتور محمد بهشتي، أبرز شخصية في قيادة الثورة الإسلامية، فقيه وأستاذ فلسفة، رئيس حزب الجمهورية الإسلامية.

٢ - السيد موسى شبيري زنجاني: فقيه وأستاذ من الدرجة الأول.

٣ - الشيخ أحمد آذري قمي: فقيه وأستاذ حوزة، صاحب جريدة الرسالة - له آراؤه السياسية - تولى الإدعاء العام لمحاكم الثورة وكان نائباً في مجلس النواب.

٤ - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: فقيه - فيلسوف - مفسر قرآني تفسير الأمثل - مدرس حوزة من الدرجة الأولى - باحث ومؤلف - مرجع تقليد.

٥ - الشيخ جليلي: إعتزل الشؤون العامة في طهران ليقيم في منطقة كرمن شاه، رجل له موقعه الإجتماعي والديني، ومتفرغ للتأليف.

٦ - الشيخ مجد الدين محلاتي: من أبرز شخصيات الحوزة العلمية في محافظة شيراز وينشط في مكتبه ومسجده.

٧ - السيد مرتضى الجزائري: من العلماء الأفاضل البارزين المتفرغين للمهام الدينية.

٨ - السيد عبد الكريم موسوي أردبيلي، رئيس مجلس القضاء الأعلى للثورة الإسلامية في إيران.

٩ - السيد مهدي روحاني: عضو مجلس الخبراء - مدرس في الحوزة العلمية من الدرجة الأولى[١].



(١) صحيفة سيروش الإيرانية حديث السيد سلطاني في ذكرى الإمام الصدر عام ١٩٨٥.




«المخزون العلمي
معرفة - عميقة الأغوار - إطلاع واسع الأبعاد»

في الفقه، وأصول الفقه، والتفسير والقرآن وعلومه، والعقائد ومعظم آفاق المعرفة الدينية والحوزوية والثقافة العامة بمختلف أشكالها وألوانها، إضافه إلى العلوم العصرية الحديثة.

ولا نعجب من ذلك فسماحته كان من أفضل طلاب الحوزة العلمية في قم كما أسلفنا فكان مُبرزاً في إستيعاب الثقافة العصرية بأبعادها المختلفة، من تعلم اللغات الأجنبية وغيرها.

أما حوزوياً فبغض النظر عن مراحل دراسته التي تخطاها بتفوق وجدارة، يكفي أن نشير إلى أن سماحة الإمام موسى الصدر يعتبر من أبرز طلاب أستاذه نابغة العصر المرجع السيد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه ومقرري أبحاثه الفقهية والأصولية.

ومن المعروف أن مدرسة السيد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه تعتبر أرقى مدرسة علمية في المعرفة الفقهية والأصولية عمقاً وشمولاً ودقه وإبداعاً.

ويعتبر سماحته علماً من أعلام تلك المدرسة المتفوقة والمتميزة.

يُضاف إلى ذلك ما سطره ذراعه الشريف من مؤلفات قيمه تشهد على صحة ما نقول رغم إنشغاله بما لا يقل أهمية عن التأليف والكتابة من شؤون المجتمع وإدارة أمور المسلمين.




«سلوكه وأخلاقه»

تجد في سماحته نزعة روحية عميقة، وخلق إسلامي رفيع مستمدة من خلق جده رسول الله ﷺ، وبساطة تحوطها هيبة المتقين، مستمدة من جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

تواضع يشعرك بعظمه الأولياء الصالحين، ونكران للذات يجعلك تحب تلك الذات التي تنكر لها صاحبها، وإنقطاع لله عز وجل تجد فيه نفحات علوية سجادية.

ومن سماته وخصاله: خلقه الرفيع المبرأ من كل رياء أو تصنع ويكفيك أن تعايشه دقائق لتعرف ذلك فيه واضحاً جلياً، يغنيك العيان عن البرهان.






«دراسته وأساتذته»

درس جملة من العلوم والمعارف الدينية عند مجموعة من الأساتذة نذكر أهمهم على نحو الإجمال:

🕮 آية الله العظمى السيد صدر الدين الصدر (قده).

🕮 آية الله العظمى السيد الخميني (قده).

🕮 آية الله السيد محمد كاظم شريعتمداري (قده).

🕮 آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قده).

🕮 آية الله العظمى محمد باقر الصدر (قده).

🕮 آية الله العظمى السيد الخوئي (قده).

فنال على أيدي هؤلاء مرتبة الإجتهاد والفتوى التي أهلته للعمل باستقلالية فكرية وصاحب رأي مستقل.






«خطواته الكبيرة»

من إنجازاته سعى سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه منذ وصوله إلى لبنان إلى تأسيس مجتمع ثقافي فأرسال العلماء والفضلاء إلى كافه أنحاء الأراضي اللبنانية لممارسة مهامهم الثقافية والتبليغية، وتلبية حاجات الأمة المختلفة وعلى هذا الأساس شهدت الساحة اللبنانية حركه لا سابقه لها في هذا المجال رغم الصعاب الكبيرة التي تواجه المراجع في أمثال هذه الأمور إلا إن سماحته إستطاع وبفترة زمنية قياسية ملءَ شواغر وفراغات هائلة لم يكن بالإمكان سدها من دون تصديه للمرجعية الدينية، فكانت مرجعيته مرجعية إجتماعية ثقافية سياسية تتعاطى الشأن العام.

كما نلحظ أن سماحته حرص على إنتقاء النماذج الصالحة من العلماء والمبلغين الذين يمثلون القدوة الطيبة ليمثلوا المرجعية الدينية بما تعنيه من قيم وآمال، وتجنب إرسال من لا يتمتع باللياقة، وحرص كل الحرص على سلوك هذا المنهج رغم ما يسببه ذلك من مشاكل وإحراجات كبيرة.

وسعى سماحته إلى تربيه طلاب الحوزة العلمية وأرسل بعضهم إلى النجف الأشرف وإلى قم المقدسة من أجل أن تكون تربيتهم تربية إسلامية نقية موفراً لهم كل ما هو ممكن من الأسباب المادية والمعنوية التي تتيح لهم جواً دراسياً مريحاً يمكنهم من تخطي المراحل الدراسية بصوره طبيعية.

هذا بالإضافة إلى تلبية إحتياجاتهم المادية المختلفة تطغى رعايته

المعنوية على كل شيء مما يجعل طالب العلم يشعر بالإطمئنان الذي يحقق له الراحة النفسية اللازمة لمواصلة طلب العلم والعمل به ومن ثم هداية الناس إلى ما يرضي الله عزّوجلّ.

وأخيراً تجد من سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه تجاوباً حقيقياً مع الأمة في تطلعاتها وحاجاتها وإدراك مشاكلها وخاصة الطبقة ألمستضعفه منها، يقدم للجميع كل ما هو متاح له من إمكانيات مادية، يساعد الفقراء والمحتاجين ويرعاهم بما عرف عنه من خلق إسلامي رفيع، فجذب قلوبهم دون عناء، وشد إليه عقولهم دون مشقة، وهكذا تفعل مكارم الأخلاق التي هي سلاح الأنبياء والصالحين.

هذه بإختصار بعض النقاط التي سنحت لنا الفرصة الحديث فيها عن سماحة الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر خلال تصديه للمرجعية الإجتماعية والثقافية والسياسية والآثار الإيجابية.. وبقيت أشياء أخرى لعلها أكثر أهميه وبنفس الوقت أكثر (جاذبية) في شخصيته ومرجعيته نتركها للزمن عسى أن يسمح لنا البوح عنها في يوم من الأيام.

فسلام عليك يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً...

مني سلام عليك أيها القمر...

والحمد لله رب العالمين.



المبحث الثالث

وقفات تفسيرية للقرآن الكريم

١ – نظرة في الأسس الفكرية للفقيه العاملي الإمام موسى الصدر

٢ – أرائه والمباني الثابته.

٣ – الإمام موسى الصدر مفسر حركي.

٤ – لمحة عن سورتي الفلق والناس.

٥ – لمحة عن سورتي الماعون والكوثر.

٦ – نظرية بطون القران.

٧ – التدبر في القران..




«نظرة في الأسس الفكرية للفقيه العاملي الإمام موسى الصدر (قده)»

ليس من السهل التعرض للحديث عن السيد موسى الصدر فهو صاحب فكر ومدرسة وأسلوب ترك آثاره الكبيرة على الساحة الفكرية حتى قيل فيه بأنه مجدد الفكر الإسلامي، ذلك بما حملته أفكاره وكتابته ونهجه الخاص مخالفاً للمشهور في الكثير من الأمور أوجدت تحولاً كبيراً على مستوى المعارف والعلوم العقلية.

وهنا نحاول أن نطل ما أمكننا على بعض النقاط التي تميز نهجه ومذهبه الفكري لنستجلي منها هذه الشخصية العظيمة.

لم تكن شخصية الإمام الصدر منسوجة على منوال شخصي، ولم يكن ممن يمرون على عالم الفكر والآراء والنظريات مروراً عادياً يطالع خلالها بعض الأفكار والآراء دون أن تستوقفه وتؤثر فيه، بل كان في تجواله الفكري صاحب رأي ومنهج، حيث كان يطالع ويوضح وينقد ويحلل ويكتب، فكانت آثاره الكثيرة من حيث المحتوى والمضمون خير دليل على هذا الأمر.

حيث كتب سماحة السيد في التفسير القرآني ما تغني شهرته عن توضيحه، وكتب في الفلسفة والأخلاق والفقه فكان صاحب مدرسة لها خصوصياتها حتى أطلق عليه صفة مجدد نهج الحوزة الإسلامية، بالإضافة إلى ما كتبه في العقائد والمعارف الدينية والإجتماعية التي كانت غاية في الدقة والعمق.

وكان طلابه ومن تخرج من مدرسته خير شاهد ودليل على أهمية صاحب هذه المدرسة، فحمل الكثير منهم بعده لواء الفكر والعلم، وتفردوا من بين أقرانهم بالشهرة.

وفي هذه الأجواء نحط الرحال عند المفكر الكبير الفقيه العاملي الإمام السيد موسى الصدر (قده) لنوضح بعض الأمور والنقاط التي شكلت العلامة الفارقة لفكره، والتي ميزته عن المذاهب الفكرية الأخرى. . .






«أرائه والمباني الثابتة»

بداية يلاحظ أن الإمام الصدر كان يعتمد في أفكاره وآرائه ونظرياته على مجموعة من المباني الثابتة يدور حولها وينطلق من خلالها ويستمد من محتواها مضمون مواقفه ونظرياته.

هذه المباني والمبادىء يمكن النظر إليها من زاوية منطقة عقلية بحته فندرك الأهمية المنهجية والإستدلالية التي أتسم بها سماحة السيد، وقد نشاهدها من زاوية معرفية فنطلع على أهم الآثار التي نتجت عن فكره النير.

وهنا نلاحظ أن النهج المنطقي الذي أعتمده سماحته هو الإعتماد على القضايا الأولية التي تتسم بالبداهة والصدق واليقين.

يعتقد الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر كما الكثير من الفلاسفة المسلمين أن القضايا كافة يجب أن ترجع إلى قضايا أولية، هذا في الإصطلاح المنطقي، والمقصود من ذلك أننا أثناء عملية أثبات نظرياتنا وآرائنا يجب أن نقوم بعملية تجزئة وتحليل لهذه القضايا والمفاهيم حيث من الصعب القيام بعملية أثبات لها دون هذه العملية، لا بل إن الكثير من المغالطات العلمية التي تقع، هي نتيجة إهمال جوانب القضايا الأخرى.

أما من خلال تجزئتها والرجوع بها إلى الأوليات والبديهيات، عندها يمكن الوثوق بصدق ويقينية هذه النظريات أو عدم ذلك. وعليه فالمسائل

التي عالجها والتي يمكن الرجوع فيها إلى الأوليات هي الوحيدة الصادقة التي يمكنها تأمين المبادىء النظرية الثابتة.

هذا العمل يحمل في طياته الكثير من المعاني والدلالات، لعل أبرزها أنها تؤكد أن أسلوب الإمام الصدر في تناوله للأمور الفكرية الدينية أسلوب عقلي ذهب فيه إلى نهايات حدود العقل، فأخرج بذلك الغث من السمين، وأستجلى الصحيح من السقيم...

وهذا المخزون العلمي الكبير الذي يملكه الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه والذي إستفاد منه علماً وتعليماً من خلال وجوده في جوار مرجعية أبيه الإمام الحجة صدر الدين الصدر قدس سره، لذلك عندما يقال أن الإمام موسى الصدر مجدد الحوزة والفلسفة الإسلامية فلا يعني هذا أنه أستبدل القديم بالجديد ونفى الإرث القديم وأحل مكانه آرائه الخاصة.

بل المقصود أنه وضع القضايا الفلسفية على المحك، وحاول الرجوع بها إلى مبانيها النظرية ليتضح مدى صحتها، وبذلك تم تشذيب الفكر الفلسفي، وهذا طبعاً لم يبعث على تراجع هذا الفكر، بل العكس من ذلك، إذ أعطى الأمر دفعاً قوياً لتقدم مسيرة الفكر والمعارف الإسلامية حيث أنتبه سماحته إلى ما تقتضيه واقعية هذه المعارف وعدم تعارضها مع أبسط مقدمات العقل وروح العلم والتقدم، فجاءت أعماله لتسد الفراغ الذي كان يجب أن تملاه المعارف العقلية...

ثم من المعاني والدلالات الأخرى التي يحملها هذا العمل هو تمكن الإمام موسى الصدر من التأسيس لمذهب فكري خاص له أسسه ومبانيه وخصائصه وأساليبه، هذه بداية...

أما ثانياً: نلاحظ إصرار سماحته على أعطاء الاصالة للفكر الديني، وهذه النقطة من أهم وأبرز خصائصه، فنلاحظ من خلال كتابته أن الهم

الديني وأصالة المعتقدات الدينية هو المحور الذي تدور حوله أفكاره وآرائه الفلسفية، حتى عندما كتب في الأمور الفلسفة والذهنية البحتة كان الهدف منه التأهيل والإعداد للدخول في الأمور الإعتقادية التي تعتمد في إثباتها على تلك الأمور، وهكذا في آثاره كافة.

وثالثاً: نلاحظ أن الإمام الصدر كان على إطلاع واسع وعميق على المذاهب الأخرى والآراء والنظريات الرائجة بما في ذلك تعمقه في الدراسات العقلية الغربية، وهذا الشيء قد وفر له فرصة كبيرة ليس فقط لمناقشتها وتبيان مواضع خللها أو صحتها، بل فتح آفاقاً منهجية أمام تناول المعرفة الدينية وأسلوب تقديم وتأخير المباني النظرية وكيفية الإستنتاج من المقدمات اليقينية. . .

وفي هذا الإطار تأتي مناظرات وحوارات ومراسلات مع عدد كبير من العلماء لتؤكد تعمق سماحته في الكثير من العلوم الإنسانية والإطلاع على مبادىء المعرفة الإسلامية الإنسانية هذه، فجاءت أبحاثه دقيقة شاملة وكاملة تحتوي على الكثير من الجوانب، بالإضافة إلى أنها أعطته القدرة على النظر للمسائل الإعتقادية من زاويا ورؤى مختلفة.

وهناك العديد من النقاط الأخرى التي يمكن الإشارة إليها هي في مدرسة الإمام الصدر منها:

قراءته للمذاهب والأفكار والنظريات بشكل موضوعي، فهو لا يحاكم الفكرةِ التي يصادفها للوهلة الأولى، لا بل كان يغوص في الأسس التي انقطعت منها والخلفيات التي تقف وراءها وما هي العوامل التي أدت إلى بروزها وظهورها، ومن ثم يعمد بأسلوب ممنهج لتحليلها وتبينها وتوضيح معالمها كافة، ثم يتعرض لها سواء بالتأييد أو النقد أو التصحيح.

وأخيراً... وليس آخراً؟

نقول إن سماحة الإمام موسى الصدر (قده) يعد بحق نابغة من نوابغ العالم الإسلامي، وإن التعرف إلى شخصيته ومدرسته الفكرية يحتاج ليس فقط إلى جهد كبير، بل يحتاج إلى قريحة علمية وأسلوب فكري، وهذه مسؤولية ملقاة على عاتق أصحاب الفكر وعلماء الدين هؤلاء الذين يملكون الأدوات المعرفية للوصول إلى أعماق فكر هذا الإنسان العظيم...






«الإمام موسى الصدر مفسر حركي»

هذا العنوان هو ما جعلنا ننجذب لمحاضراته في تفسير عدد من سور القرآن الكريم، إذ نجد فيها بحثاً قرآنياً علمياً متميزاً بنكهة حركية، يحاول أن يستوحي من القرآن كتاب الله الدروس التربوية لصناعة إنسان هذا العصر، والمبادىء العامة لحركية الإنسان في نظر القرآن الكريم.

ومن هنا حاولت أن أشرك القارىء الكريم في مائدة التفسير القرآني للفقيه العاملي في سلسلة مختارة، نعرض فيها عدداً من محاضرات سماحته التفسيرية، وقد سعيت للحفاظ على النص كما ألقاه سماحة الإمام السيد موسى الصدر رضوان الله عليه.

ملاحظة: قراءت العديد من أبحاث ودروس تفسير القرآن للإمام الصدر فشدني عند تناوله لشرح وتفسير آية كريمة كثيراً ما تصادفنا عناوين أخرى، فتارة يتعرض لبحث تاريخي، وتارة ثانية لبحث فلسفي أو بحث أخلاقي أو روائي أو إجتماعي وما إلى هنالك.

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على سعة وشمولية المعارف التي يملكها الفقيه العاملي الإمام الصدر وقدرته الذهنية على فهم وأدارك الأمور، وسرعته في الحكم عليها والإستنتاج منها...




«لمحة عن سورتي الفلق والناس»

سورة وآيات تربوية، يحاول القرآن الكريم من خلالها أن يعمق في نفوس الناس تربية أن اللجوء أمام الأخطار والشرور لا يكون إلا إلى الله وحده، فحينما يجد الإنسان نفسه أمام شرور لا قبل له فيها:

شرور تأتي من غير أن يدري مكانها، وشرور تفاجئه، وشرور أسطورية لا يعرف حقيقتها، أمام هذه الشرور يجد في نفسه إضطراباً وتردداً وضعفاً، وهذا الإضراب غير مرغوب فيه من قبل الإسلام، فهو يريد أن يكون الإنسان المسلم مطمئناً ثابتاً علمياً، يقف بقوة وإنطلاق، وبحزم وثبات أمام الحياة ومشاكلها.

وعندما نزلت هاتان السورتان، وأمثالهما من آيات الإستعاذة، كان الإنسان - ولا يزال في بعض الأوساط - يخاف من شرور لا يعرف حقيقتها..

من شرور الخلق، ومن شرور الليل والظلام، ومن شرور النفاثات في العقد، ومن شرور الحاسدين واللاعنين، ومن شرور العيون، من شرور الضغينة والحقد، وأمثال ذلك.

سورة الفلق

في هذه السورة المباركة، يحاول القرآن الكريم أن يعالج هذه المشكلة، علاجاً تربوياً.

فيبدأ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ والمقصود من ذلك، أن هذه الشرور، الوهمية أو الحقيقية، إن كانت موجودة، فهي داخل الخلق، ولكن الإنسان يتمكن أن يلجأ إلى خالق الخلق ليهرب من هذه الشرور، ولذلك يعلّمه القرآن الكريم فيقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ تعني: خالق هذا العالم وما فيه.

وفي أختيار كلمة الفلق، والتعبير عن الله، برب الفلق، نكتة لطيفة وموجهة، فالفلق هو الإنفتاح..

✍ ✍

إنفتاح الصبح وفجره..

إنفتاح الحب ونموه وتحوله إلى النبات.. إلى الحياة النباتية، فرب الفلق تعبير عن الجانب الحياتي الذي ينهي الظلام، وينهي الجمود، فيحول الليل إلى نهار، ويحوَّل الجماد إلى نبات.

ونحن نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، الذي ينهي الظلام، وينهي الجمود وهذا التعبير يفتح الأمل، والثقة بالمستقبل في نفس الإنسان.

✍ ✍

الغاسق إذا وقب:

نلجأ إلى رب الفلق من شر كل ما خلق في هذا الكون، ومن شر الظلام وكل ما يجري فيه، فعندما نقرأ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

الغسق: هو الظلام.

ووقب: أي دخل.

إذاً: من شر غاسق إذا وقب، يعني من شر الليل إذا دخل وأظلم.

ولا شك أن الليل هو أحد أنواع الغاسق، ولكننا نجد في حياتنا أنواعاً أخرى من الغسق، فالجهل غاسق يقب، والغفلة غاسق، والموت غاسق، إذاً فنحن في هذه الآية وبناء على أمر من الله وتوجيه من رسول الله ﷺ نلجأ إلى رب الفلق من شر الظلام المسيطر علينا.

✍ ✍

ولكن لماذا نجد في الظلام شراً؟

لأن في الليل والظلام والغفلة يجد الفاسد والمتآمر فرصة للتآمر، وعندما يكون الإنسان غافلاً أو نائماً أو لا يرى، وبهذا نجد معنى أوسع مما قاله المفسرون، فنحن نلجأ عند الشرور التي تأتينا بدون انتباه منا، لليل مسيطر علينا، أو لجهل مخيم علينا، أو لغفلة نعيشها، أو لموت أو شبه موت، إلى رب النهار من شرور الليل، وإلى رب العلم من شرور الجهل...

نلجأ إلى الله من شر الغفلة، وهو تعالى لا يمكن أن يسيطر عليه نوم أو غفلة، وهذا اللجوء تطمين وأمان وقناعة، وفي نفس الوقت تربية للإنسان.

✍ ✍

ما هي النفاثات؟

نلجأ إليه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾.

✍ ✍

ما هي النفاثات في العقد؟

يقول المفسرون: إنهن النساء اللواتي كن يمارسن السحر، فيقرأن أدعية وطلاسم، وينفخن في عقد من الحبل وبذلك يوزعن الشرور ويخلفن المتاعب للإنسان، وهذا المفهوم غير ثابت في مفاهيمنا الدينية، فالدين الإسلامي دين العلم.

أما الواقع والمعنى العلمي لـ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ والذي نكاد لا نشك فيه - دون أن ننكر المعنى الذي يذكره المفسرون، بل نترك علمه لأهله ولمزيد من التفكر - فيمكن فهمه بالنساء اللواتي كن يشعرن بالضعف فيستعملن طرقاً ملتوية للدفاع عن أنفسهن أو لإيذاء الآخرين.

إذن المرأة لأنها كانت ضعيفة كانت تستعمل هذه الطرق، فكل ضعيف هو من جملة النفاثات في العقد.

السؤال المطروح: ما هي الطرق التي كانوا يمارسونها؟

✍ ✍

النفث في العقد:

يعني الفتنة في الأفكار، في الإرادة، في العقيدة، في العلاقات، وذلك عن طريق نقل القضايا لحل العقد أو لتعقيدها، سواء كان من يمارس هذه الطرق المرأة أم الرجل أم المؤسسة، واليوم هو يوم المؤسسات،

فنحن نجد في عالمنا مؤسسات أسست خصيصاً للنفث في العقد، مؤسسات للفتنة وللتضليل ولقلب الأنكار ولخلق الشقاق بين الأهل وبين أبناء الأمة والوطن، ولا زلنا نعاني من جراء هذا الكثير.

القرآن الكريم يعلمنا فيقول: أستعيذوا من شر النفاثات في العقد برب الفلق، رب الفجر والنور والعلم والحياة والإنفتاح، لأن الإنسان عندما يتخذ واقعة وموقعه وخياره من منطلق النور والإيمان يجد نفسه في صيانة من النفث في العقد، فالنفاثات في العقد تستفيد من الجهل والغفلة وأمثال ذلك.

وهكذا نجد هذه الجملة أيضاً راحة نفسية وتطميناً للإنسان وتربية له.

حسد الحاسد:

وأخيراً، نلجأ إليه تعالى من شر كل حاسد إذا حسد، والحاسد حينما يمارس حسده، يشكل خطراً، أما إذا لم يمارسه فيبقى شعوراً إنسانياً يضعف ويذوب ويموت.

هذه الأخطار هي: أخطار الخلق، وأخطار الظلام، وأخطار الفتنة، وأخطار الحساد.

هذه الأخطار أربعة التي يشير إليها القرآن الكريم، ويأمرنا باللجوء إلى إله النور، إله الفلق، حتى نجد طريقنا النير، بتدابير علمية ودينية تقضي على هذه الصعوبات، وعلى هذه المشاكل، وتنقذ حياتنا من الأخطار المفاجئة التي تنتج عن الجهل، وعن الغفلة، وعن الإيمان بالأساطير، وعن المشاعر الإنسانية، التي يمارسها الإنسان دون شعور أو انتباه.




«لمحة عن سورتي الماعون والكوثر»

سورة الماعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ (٣) فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ (٦)﴾[1].

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه:

إن هذه الآية الكريمة التي تبدأ بها هذه سورة الماعون - أرأيت الذي يكذب بالدين - ترسم صورة تختلف عن الكفر وعن التكذيب بالدين، صورة تختلف عن السور التي عهدناها، فالمعروف أن المكذب للدين، هو الذي ينكر ويكذب النبي ويتنكر للعقيدة وللإيمان، ولكن هذه الآية تضع أمام القارىء وأمام الإنسان صورة أخرى للتكذيب بالدين وللكفر، هذه السورة هي سورة الذين يتنكرون لواجباتهم ولمسؤولياتهم العامة، فالذي يدع اليتيم من حقه بقهر وعنوة، والذي لا يقدم خدمة له، بل يقهره ويعنف

---

(١) سورة الماعون، الآيات: ١ - ٦.

معه، هذا الإنسان تعتبره هذه السورة مكذباً بالدين أيضاً، ثم نجد في الآية الثالثة، - ولا يحض على طعام المسكين.

أي أولئك الذين لا يرغبون ولا يشجعون على خدمة المسكين ويمنون المسكين من الطعام، وهنا نقف لحظة أمام كلمة المسكين من الطعام، لا إطعام المسكين، فكأن القرآن الكريم يقول إن المسكين هو المالك للطعام، فالطعام طعامه، إذاً بكلمة مختصرة أولئك الذين يمنعون اليتيم حقه، ولا يقدمون خدمة للمسكين من طعام أو إطعام، أولئك الذين يهملون المعذبين من أبناء مجتمعهم، أولئك الذين يتجاهلون أخوانهم في الدين المعذبين والمحرومين هؤلاء هم صورة أخرى ومصداق آخر للمكذبين بالدين.

ومعنى ذلك أن الإيمان والدين له بعدان، بعد نحو السماء وهو الأعتراف بوجود الله والإسلام له بالعقل وبالقلب وبالجسد، وبعد آخر نحو الأرض نحو الإنسان فكما أن الذي يقدم الخدمة للإنسان وينكر الله فهو الكافر والمكذب بالدين، أيضاً أولئك الذين يؤمنون بالله ويتجاهلون حقوق الأيتام والمساكين هم بدورهم كفاراً أيضاً.

وهذا المعنى يتأكد في النصف الآخر من الآية الكريمة عندما نقرأ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾.

فهنا أيضاً تأكيد آخر على أن الصلاة وهي عبادة الله وهي معراج المؤمن وعامود الدين رغم أن الله لا يتقبل من الصالحين من العاملين عملهم إذا أختلف وأفترق وأقترن مع التنكر للصلاة مع ذلك المصلي إذا لم يتوفر له شروط معينة من جملتها الإمتناع عن خدمة الآخرين فصلاته ليست مقبولة وهنا نقف أمام هذه الآيات المباركات: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

لكي نجد صورة أخرى تدعم ما ذكرناه في بداية السورة وبذلك تكتمل الصورة.

فان الصلاة رغم شأنها العظيم إذا افترقت عن بعض نتاجها لا شك أنها تدعو بالويل لمصليها، من هم هؤلاء الذين صلاتهم تصبح ويلاً لهم؟

الذين هم عن صلاتهم ساهون ويتعودون على السهو في الصلاة بتركه للصلاة أو بإخلاله بالصلاة، لا شك أن السهو في الصلاة إذا صدر عن ضعف أو خطأ فليس فيه عيب ولا خطيئة بل المقصود في الآية أولئك الذين يتعودون السهو بإهمالهم للصلاة وتجاهلهم للصلاة وباحتقارهم للصلاة.

هذه الطبقة من الناس الذين يصلون ولا يحترمون صلاتهم ولا يستفيدون من صلاتهم لإعمالهم لا يمكن أن تقبل صلاتهم ففي الأحاديث الشريفة أن الأئمة عليهم السلام وكبار الصحابة الكرام نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كل منهم كان يوصي الآخر بالإهتمام بالصلاة وبعدم إهمال الصلاة لأن الصلاة هذه الفرصة الكريمة النادرة التي وفرها الله تعالى للإنسان فجعله متشرفاً بأنه يتحدث مع الله عز وجل ساعة يشاء عندما يوفر الله هذه الفرصة فالويل له لأنه عطشان يجد نفسه أمام الماء ولا يشرب وهذا من سوء حظ الإنسان عندما يجمد الفرص وينكر للسبل التي تتوفر له في حياته.

أما الشخص الثاني الذي يقول القرآن الكريم الويل له رغم صلاته، أولئك الذين يراؤون أي: يمارسون صلاتهم ويصلون رياء للناس ولجلب توجه الناس لإبعاد الشك أو لجلب الثقة أو لجلب توجه الاحترام من الناس.

فالصلاة إذا صدرت رياء تبعد الإنسان عن الله ولا تقربه والسبب واضح فالصلاة فعل نابع عن إرادة ونية وهدف، ونجماً يصدر عن هدف

فعل فالفعل هذا يقوي الهدف، فإذا كانت الصلاة تقرباً إلى الله ورغبة في التقرب إلى الله وفي معرفته، فالصلاة تقرب الإنسان وحقق الهدف خطوة بعد خطوة.

أما إذا كانت الصلاة من أجل إجتذاب الناس لا من أجل التقرب إلى الله فهذه النية أي الدافع هو الرغبة في الإقتراب من الناس يقول بالصلاة ويصبح الآخرون في نفس الإنسان بمنزلة المعبود وهذه الصلاة تبعد الإنسان عن الله كما أن الصلاة الصادرة عن القربة تقرب الإنسان إلى الله عزوجل.

أما الفئة الثالثة، أولئك الذين يمنعون الماعون، عبارة عن كل عون يقدم للإنسان الآخر من جار أو صديق أو رحم أو ابن بلد، فعدة الشغل ووسائل العيش وكل خدمة يمكن أن يقدمها الإنسان لأخيه فهو الماعون.

القرآن الكريم يقول: المصلي الذي يمنع أخاه الماعون والمساعدة حتى ولو كانت جزئية وصغيرة فالويل له ومعنى ذلك أن الصلاة وهي عبادة وتوجه إلى الله عندما تقترن مع تجاهل للناس فتدعو الصلاة بالويل على هذا الإنسان وهنا نصل إلى نتيجة ما ورد في صدر الآية.

فالسورة المباركة في أولها تؤكد عدم الفصل بين الإيمان بالله والإهتمام بالإنسان وفي ذيلها تفرض الربط بين الصلاة وهي العبادة لله والخدمة للناس فلا يمكن الفصل بين الحب والإيمان لله والحب والاحترام للناس لا سيما المعذبين كما لا يمكن الفصل بين عبادة الله وبين خدمة الإنسان المحتاج على الأرض وبذلك نجد صورة متكاملة في الإيمان وفي الفعل وردت خلال هذه السورة المباركة التي نسأل الله أن يوفقنا لمتابعتها.

سورة الكوثر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[(١)].

هذه السورة المباركة التي تعتبر أقصر السور القرآنية على الإطلاق تضم على الكثرة والإمتداد والخلود.

فقد وردت عندما عاتب وشامت بعض المشركين رسول الله ﷺ، بعدما مات ابناه القاسم والطاهر، فقال: قد أصبح محمد أبتر بموت رسالته ومهمته، وقد عبر بعضهم عن ذلك صريحاً وبعضهم بكنايات شائنة وبعضهم كان يحفظ هذا الشعور في قلبه.

ونشأ الشعور والشماته أن العرب كانت تعيش نظاماً قبلياً فرسالة محمد في مقياسهم رسالة تبقى في الوجود بوجود أبنائه، أما إذا كان له بنات أو لم يكن له من أولاد فرسالته تموت بموته.

هذا التعبير أدخل بعض الحزن على قلب الحبيب المصطفى لاسيما عندما أنتشر الخبر وكان يخشى على معنويات أصحابه عندما يسمعون هذا الأمر، فلا يراهنون على الأمر الباقي.

عندما نزلت الآية التي تأتي في نهاية هذه السورة لتقول: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

أم أنت يا محمد فكما تقول بداية السورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾،

---

(١) سورة الكوثر، الآيات: ١ - ٣.

والكوثر كما نعلم هو كل شيء كثير من كثر، والكثرة لرسول الله تشمل كل شيء من ذكره وأثره وأبناء أمته، ووجوده وآثاره، ومؤسساته، وتأثيره في التاريخ، كل ذلك معناه الكوثر وكل هذه المعاني متوفرة لدى الرسول الأكرم بعناية الله تعالى.

ولذلك فعليه أن يشكر الله، ويصلي لربه كما يأمره القرآن موضع النحر، بمعنى التكبير ورفع اليد، ولا شك أن رفع اليد هذا تكليف وسنة من الله ولعل سرها كما يقول الباحثين إننا عندما نرفع اليدين إلى حد النحر نشير إلى أن جميع العالم ما عدا الله نرميه وراء ظهورنا ونتوجه إلى الله تعالى.

فعندما يؤمر النبي بالصلاة وأن ينحر فمعنى ذلك أنه يلتزم ويرتاح ويطمئن إلى الله تعالى ويترك كل شيء في سبيله.

إذاً إنا أعطينا الرسول الكوثر فعليه أن يصلي لله ويرفع يديه للتكبير، أو النحر بمعنى ذبح الأضحية والصدقة وعند ذلك فمن واجب الرسول الكريم تجاه نعمة الله تعالى، أن يصلي وأن يتصدق بما ينحر يوم العيد في الحج أو غيرهما ولكن تناسب الآية عندما تختم السورة المباركة بها فتقول: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، تناسب هذه الآية يجعل معنى الكوثر يتناسب مع مفهوم الأبتر.

وعند ذلك فمعنى الكلمة إننا يا رسول الله رغم أنك وقد مات أولادك وأبناؤك بقيت لك البنات لا سيما الزهراء فاطمة عليها السلام وسوف تكون ذريتك ونسلك منها كثيراً وكثيراً.

فقد ورد في الحديث أن الرسول الأكرم قال: (أن الحسن والحسين ابناه من صلب علي، والحسن والحسين ابناي إمامان إن قاما أو قعدا)[1].

(١) الكافي ج٢ ص١٧٧ - الكليني.

ولذلك فذرية الرسول الكريم بكثرتها تنفي ما إدعاه الشامتون من أنه الأبتر، وبالإضافة إلى ذلك فإن أثر النبي وأمته بعض آثاره.

فقد ورد في الحديث الشريف: (أنا وعلي أبوا هذه الأمة)[١]، بإعتبار أن الذرية أثر وتربية بقاء لرسول الله ورفض لمفهوم الأبتر. . .

وتأثيره أيضاً على الحياة تأثيره على الحضارات والثقافات، وما أكثر هذا التأثير معنى آخر للكوثر.

إذن، إن عدو محمد هو الأبتر، أما هو فأثره وذريته وذكره وخلوده، كثير وكثير جداً.



(١) بحار الأنوار ج٣ ص٢١١ - المجلسي.




«نظرية بطون القرآن»

نظريات عديدة قد نجدها في تراث الفقيه العاملي الإمام الصدر رضوان الله عليه والعلامة السيد الطباطبائي طيب الله ثراه (صاحب تفسير الميزان) والإمام الخميني قدس سره وآخرين من الأفاضل حول موضوع البطون في القرآن الكريم، ولكن يمكن القول: إن نظرية الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر هي أقرب تلك النظريات حيث يمكن لنا أن نضعها في الأطر القانونية لكشف البطون في القرآن الكريم.

لقد طرح الإمام موسى الصدر نظريته الشهيرة حول البطون في القرآن الكريم، ولأول مرة تطرح مثل هذه النظرية في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وذلك عام ١٩٦٩م.

بعد اختفاء الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه، أخذ بها بعض رجال الدين في قم المقدسة[١] والنجف الأشرف[٢] وعمل على تطوير وشرح بعض المعاني.

---

(١) في قم المقدسة - طرح هذه النظرية المرحوم العلامة الشيخ محمد هادي معرفة قدس سره وعمل على نشرها وتطوير بعض معانيها وطبعة ضمن كتاب «النقد» في عام ١٤٢٧هـ كما طرحها في كتابه «التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب» في بحث التأويل، وكذلك في مقدمة كتابه (التفسير الجامع).

(٢) (في النجف الأشرف - المرجع السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره عمل على تطوير هذه النظرية بأسلوبه الخاص وبدأ. بشرح معانيها ضمن حلقات ودروس تفسير القرآن الكريم (منة المنان في الدفاع عن القرآن) التي حضرت حلقاتها عند السيد الشهيد محمد الصدر=

خلاصة هذه النظرية:

البطن في القرآن الكريم يعني: **(أن القرآن الكريم التي نستخرجها من كل آية، هي قاعدة لتطبيق متن الآية، وبالتالي سيكون هناك إختلاف في تطبيق الآية من عصر إلى عصر آخر، وفي كل عصر يكون هناك معنى جديد للآية يختلف عن معناه في العصر الآخر).**

وكان سماحة الإمام موسى الصدر يعتقد أن الروايات التي وصلت إلينا عن طريق أهل البيت عليهم السلام حول بطون القرآن الكريم ناظرة إلى هذا المعنى.

شروط أربعة:

وبإمكاننا من خلال هذه القاعدة الكلية التوصل إلى بطون القرآن الكريم عبر النقاط الأربعة التالية:

١ - الحصول على هدف الآية.

٢ - حذف الصفات التي لا تؤثر في هدف الآية.

٣ - إستخراج القاعدة الكلية.

٤ - تطبيق هذه القاعدة على مصاديق جديدة.

مثال: قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾[1].

= قدس سره فشدني عند تناوله لشرح وتفسير آية كريمة كثيراً ما تصادفنا عناوين أخرى، فتارة يتعرض لبحث تاريخي، وتارة ثانية لبحث فلسفي أو بحث أخلاقي أو روائي أو اجتماعي وما إلى هنالك، الطريقة نفسها التي كان يعتمدها الفقيه الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٢.

يمكن لنا تطبيق المراحل الأربعة على هذه الآية:

أ - **هدف الآية**: إنذار الأباء في خصوص أبنائهم.

ب - يمكن لنا تجنب فرعيات الآية مثل: أرض فلسطين (كنعان)، وأسرة النبي يعقوب (**الأخوة ويوسف ويعقوب**) وزمن القصة وغير ذلك.

ج - الحصول على قاعدة كلية من خلال الآية، وهي: على الأب أن يراقب أولاده لحمايتهم من الكاذبين والمخادعين وغيرهم، من الذين يحاولون أن يغرروا بهم بحجة الطعام واللعب وأمور أخرى، ليفصلوهم عن آبائهم.

د - تطبيق الآية على مصاديق جديدة: على كل أب أن يراقب أولاده في كل زمان ومكان.. كما يمكن لنا إلغاء صفة الأبوية عن الآية، والقول بأنه يجب على الدول الحفاظ على الكفاءات المتميزة، من أجل نموها وتطويرها(١).



(١) تعليق المؤلف الشيخ عباس العاملي.





«التدبر في القرآن»

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

معنى التدبر:

أقول: التدبر هو إتباع القرآن الكريم، ولا يكون الإتباع إلا بملاحقة المفردة لإكتشاف قانونها، ومن مجموع المفردات في الآية يتحصل المعنى الكلي للتركيب في الآية، فالباحث يجب أن يكون وراء القرآن لا أمامه، لأن القرآن بينّ بنفسه، محكم بذاته، قادر على كشف نفسه بنفسه.

وهناك مبادىء يجب على المتدبر والباحث الإلتزام بها بعد إيمانه بالنظام الهندسي المحكم للقرآن على ضوء المبادىء الستة التالية:

١ - مبدأ عدم الإختلاف في القرآن.

٢ - قصور المتلقي.

٣ - مبدأ التغاير عن كلام المخلوقين، وينقسم هذا إلى ثلاثة أقسام هي:

أ - إن اللفظ عند المخلوق له معنى إتفاقي أي (إصطلاحي) جرى عليه

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

العرف، أما في كلام الخالق فله معنى أصلي يسمى بالمعنى: (الحركي) وهو أصل جميع المعاني.

ب - إن العبارة القرآنية جزء من النظام كله، فهي مثل الجسم الذي يمثل جزءاً من الذرة، ومثل الكواكب في النظام الشمسي، ومثل النجوم في النظام السديمي، بينما تكون العبارة التي يقولها المخلوق منتظمة ضمن أقواله ظاهرياً وحسب، ومناقضة لعبارته الأخرى.

ج - إن المعنى (الإصطلاحي) معنى وصفياً لظاهر الشيء، هذا إذا جرى في مجرى الأصل، وإلا وضع خاطىء للعلاقة ما بين اللفظ والمعنى. أما المعنى (الحركي) فهو حقيقة الشيء أي كنه الشيء حينما كان موجوداً بالقوة قبل إيجاده بالفعل.

٤ - مبدأ خضوع المتلقي للنظام القرآني.

٥ - مبدأ التبيين الذاتي للقرآن، أي أنه مبيّن لكل شيء، ومبينٌ لذاته.

مبّين لكل شيء: مثلاً قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1].

فهو يطبق قواعده على الآية ليبرهن أن (كل شيء) فيها هو: (كل شيء) وليس ما قاله الكثير من المفسرين من أنه (الأمر المشكل) من أمور الدين[2].

ومبيّن لذاته: يعتمد على ثلاثة أسس:

أ - إن القرآن (نظام محكم) ومعلوم أن كل نظام محكم مبّين لنفسه من

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

خلال النظام نفسه، فكل جزء من ذلك النظام هو وصف لطبيعته، وعلاقته، بالجزء الآخر وهكذا.

فالنظام: أي نظام كاشف عن نفسه لا محالة، وبخلافه فلا يمكن وصفه بالإنتظام فضلاً عن كونه نظاماً محكماً.

أما إثبات أن القرآن محكم بنظامه فهذا ما سنوضحه لاحقاً.

ب - وردت في النصوص القرآنية صفة التبيين على ثلاث مستويات:

الأول: أنه تبيان لكل شيء كما أسلفنا.

الثاني: أنه قرآن بين، أي مبين لنفسه.

الثالث: على مستوى الآيات **(آيات بينات)** أي بنفسها.

وبالبناء للمجهول **(آيات مبيّنات)** بالفتح بنفسها مرة وبغيرها من الآيات مرة أخرى، وبالكسر **(مبيّنات)** لنفسها مرة ولغيرها من الآيات مرة أخرى.

وكل ذلك يدل على سريان النظام المحكم في جميع الأجزاء، فلو كان غير مبيّن لذاته لفقد القدرة على تبيين غيره، وإذا كان عاجزاً عن تبيين ذاته لكان عن تبيين غيره أعجز.

ج - إن النص القرآني والملة أجمعا على إتصافه بصفتين:

الأولى: أنه كتاب هداية.

الثانية: أنه كتاب معجز.

وإجتماع الصفتين يحتم أن يكون مبيّناً لذاته.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

٦ - مبدأ الإمتناع، أي إمتناع قبول القرآن أي علم أو معرفة غير علمه

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

هو فهو متعال على كل علم خارج عنه، لأنه كلام الله الذي أنزله بعلمه، فهو حاكم على كل علم، غير محكوم بأي علم.

ولهذا المبدأ أربعة فروع:

الأول: حكمه على اللغة.

فالتبيين الذاتي، والمعنى الحركي، والنظام المحكم، ثلاث خصائص إجتمعت في القرآن، جعلته قادراً على شرح اللغة ومعانيها، وحاكماً على قواعدها غير محكوم بها.

ويدل عليه الحديث النبوي الشريف بقوله: «**القرآن يفسر كل لسان ولا يفسره لسان**»[1].

الثاني: حكمه على العقائد.

فإذا كان في ذهن الباحث عقيدة ما، أو قضية يؤمن بها، وأراد البرهنة على صحتها من القرآن جاعلاً منه سنداً مؤيداً لتلك العقيدة، ولم يجعله حاكماً على صحتها، أو سقمها، فقد إفترى إثماً مبيناً ولو كان مصيباً إتفاقاً.

وخلاصة هذا المبدأ:

أن أمر الباحث في القرآن بإعتباره نظاماً محكماً، منوط بقلب الباحث علاوة على عقله، فمعارفه محفوظة ومحروسة ذاتياً من داخله، لا يحصل عليها إلا من سلمت سريرته، وصفا قلبه، وكتم علمه عن غير مستحقه.

ويدل على المسألتين معاً، أي النظام المحكم يعمل هادياً ومضلاً في آن واحد، قوله تبارك وتعالى:

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٣٢.

﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾(١).

الثالث: حكمه على العلم، لأن القرآن هو علم كلي شامل ويقيني، فهو حاكم على العلوم، غير محكوم بها.

الرابع: حكمه على السنة، أي يجب عرض السنة على القرآن، وتنفيذ النصوص التي أكدت على ذلك من السنة ذاتها.

مثلاً قول الأئمة المعصومين عليهم السلام: «**يعرض الحديث على كتاب الله فما وافقه فيؤخذ به، وما خالفه فيضرب به عرض الحائط**».

وللأسف هذه النصوص معطلة بسبب ما تعارف عليه العلماء (**أن السنة تفسر القرآن**) بينما تؤكد النصوص على ضرورة جعل القرآن حاكماً عليها ومصححاً لمتونها، فتفسير القرآن بالسنة باطل وذلك لأسباب ثلاثة:

السبب الأول:

أن السنة المفسرة للقرآن ما هي إلا مفاتيح تعين المتدبر للقرآن وليست هي التدبر، وإنما هي نصوص لا تفسر القرآن، وإنما تشير إلى أبواب تفسيره، ولذلك فالجهل بالنظام القرآني يجعل منها مفاتيح لا نفع فيها، بل ستكون وبالٌ عليه لأن السنة يحكمها نظام لفظي كالنظام القرآني مع بعض الإختلاف فهي من هذه الجهة مشابهة للقرآن في كونها غير مختلفة، ولا متناقضة، والجهل بنظامه ونظامها يجعل الأخطاء مركبة.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

السبب الثاني:

قد أجمعوا على أن السنة يتطرق إليها الشك في النص نفسه، وفي سنده، وأما القرآن فلا شك في نسبته لله تعالى ولا شك في آياته وألفاظه.

فكيف يكون ما فيه شك ويحتاج إلى تنقيح أو جرح وتعديل، مفسراً وشارحاً لما ليس فيه شك؟

فإرجاع الأمور إلى مواضعها يستدعي:

إما إعتراف بالنظام القرآني، وبالتالي فساد هذا المنهج التفسيري وهو أسلم الأمرين.

وإما إعتراف بصحة تفسير القرآن بالسنة، وبالتالي إنكار النظام القرآني، وعلوية السنة على القرآن، مما يستلزم إنكار إعجازه، وإعتباره دون قول البشر وفيه ما فيه، عدا مخالفة النصوص الآمرة بعرض السنة على القرآن.

السبب الثالث:

إن الجهل بالنظام القرآني، أستدعى معاملة القرآن على أنه مثل كلام الخلق لا فرق، مما أدى إلى تعسف في تفسير القرآن، كان نصيب السنة منه أعظم فالواجب إنعكاس الأمر، لأن ما كان له نظام، أو نصه ثابت ومؤكد، حاكماً ومصححاً لما كان له نظام ونصه مشكوك أو متردد فيه.

ومن منطلق هذا الفهم تقع الأمور في مواقعها الصحيحة، فكما كان القرآن شاهداً للنبي ﷺ على نبوته، فكذلك هو شاهد على صحة سنته ونظام أقواله وأفعاله صلوات الله وسلامه عليه[١].

---

(١) بحث قرآني للمؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

آية قرآنية ورؤية

قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1].

تتجلى قدرة الخالق عَزَّوَجَلَّ في صنع الإنسان من إستقامة قامته، إلى شبكة أعصابه إلى قدرات مخه، إلى مرونة جسمه وما فيه من تعقيدات ومن قدرة احتمال للظروف المختلفة، مما يدل على أنه قد أعد لدور أعظم من مجرد دوره الحياتي أو البنائي، إنه ليس مجرد كائن بشري، أو فرد متطور، إنه مخلوق مكرم، سخر الله له الأحياء والنباتات والطبيعة، فإذا دوره الحقيقي ليس في جسمه وإنما في روحه، في تلك الومضة المباركة من نور المشيئة التي منح من دون سائر الأحياء، في ذلك اقبس من نور العقل والعلم والمعرفة الذي زود به وميز به عن سائر الخلائق.

وهذا المعنى هو الذي ينسجم مع سياق سورة التين، فالقوام الحسن الذي منّ الله به على الإنسان ليس تقويم جسده فقط، لأن هذا التقويم مقدمة لما هو أهم وهو قوام روحه، ولأن المؤمن والكافر يشتركان فيه، ولا معنى لرد الكفار وحدهم إلى أسفل سافلين.

إن الإنسان قد خلق ليكون ضيف ربه الأعلى في جنان الخلد، ليكون عزيز. . . جليس مقعد صدق عند مليك مقتدر. . .

ليكون مثل ربه العظيم يقول: للشيء كن فيكون، ليكون في خط ذلك الإنسان الذي يعرج إلى ربه ويعرج حتى يكون قاب قوسين أو أدنى.

ولكن هذه الفرصة المباركة التي منحت له تنعكس تماماً عندما لا

(١) سورة التين، الآية: ٢٦.

يستفيد منها، فيكون كالواقف على حافت الهاوية إن زلت قدمه هوى إلى بئس المصير[١].

وقفات علمية مع آيات قرآنية

يقول تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[٢].

هذه الوقفات العلمية مع آيات بينات من كتاب الله هي الدليل الكافي على إعجاز القرآن الكريم الذي نستمد منه النور والمعرفة، ونقوم بشرحها وهي على الشكل التالي:

أولًا: قلب الأرض المضطرب:

من إعجاز القرآن الكريم أن للكلمة في كثير من الآيات معان عدة تعطي صورة متكاملة في كلمة واحدة عمّا لا يستطيع الباحث أن يفسره إلا في عدة جمل، ومن الأمثلة على ذلك كلمة (تمور) في قوله تبارك وتعالى أعلاه، فهي تختصر ما يجرى في باطن الأرض كما كشفه العلم اليوم.

فعن معجم لسان العرب لابن منظور، يقول:

فإن كلمة تمور من مور، تعني: **تحرك وجاء وذهب، جرى وتردد، إضطرب، دار، سال**[٣].

---

(١) بحث قرآني للمؤلف والمحقق الشيخ عباس العاملي.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٩.

(٣) راجع ابن منظور: معجم لسان العرب.

ثانياً: رحلة في باطن الأرض

مع تقدم علوم الزلازل والبراكين والكيمياء والفيزياء والمعلوماتية تتوضح لنا منذ سنوات صورة ما يجرى في باطن الأرض قشرة الأرض فهي متصدعة وكذلك جميع طبقاتها مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾(١) فهي مقسمة إلى شقف أو ألواح أرضية مضطربة، إما متباعدة كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾(٢) ومن تباعدها نشأت القارات والبحار والمحيطات... وإما متصادمة يغوص بعضها تحت بعض كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾(٣).

ومن تصادم الشقف الأرضية وإنسحاب بعضها تحت الآخر نشأت بعض السلاسل الجبلية على سبيل المثال:

كهملايا، وجبال الألب، والأنديز وغيرها.

إن تصدع قشرة الأرض وتمددها ونقصانها في بعض أطرافها - أجزاءها - هو بفعل تيارات هائلة الحجم والضغط والحرارة من الغازات والصهارة والحمم تجتاج الأرض من نواتها إلى قشرتها.

✍ ✍

التيارات الجوفية

يقول علماء الجيولوجيا: ان هذه التيارات التي تسمى بتيارات الحمل

(١) سورة الطارق، الآية: ١٢.
(٢) سورة الحجر، الآية: ١٩.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٤١.

الحراري وظيفتها نقل الحرارة من باطن الأرض إلى خارجها هي أشبه بتلك التي تتألف من ماء في وعاء يحمى فوق النار، ففي نواة الأرض تتموج أنهار من الحديد السائل هي المسبب للحقل المغنطيسي الأرضي، وبين قشرة الأرض ونواتها أي بين ٣٠ إلى ١٩٠٠ كلم عن سطح الأرض يوجد معطف الأرض المؤلف من صخور يجري خلالها تيارات غازية وسائلة شديدة الضغط والحرارة مصدرها جوف الأرض، من هذه التيارات من يصدع قشرة الأرض ويخرج منها فتكون البراكين، ومنها من يصدع الأرض من دون أن يخرج منها فتكون الزلازل، ومنها ما ينكفأ عائداً إلى جوف الأرض[1].

هذه التيارات هي السبب في تباعد الألواح الأرضية التي تقوم عليها البحار والقارات، وهو تباعد وتقارب بطيء جداً بحدود بضعة سنتمترات سنوياً إلا انه موجوداً فعلاً.

بكلمة موجزة نقول في باطن الأرض تيارات غازية وسائلة هائلة الحجم والضغط والحرارة تجري وتدور، تأتي وتذهب وتضطرب، وقد اختصرها الأعجاز القرآني بكلمة (تمور) التي وصفت ما يجري في باطن الأرض ما اكتشفه العلم في أواخر القرن العشرين بعد خمسة عشر قرناً من تنزيل الذكر الحكيم.

يقول تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[2].

---

(١) الدكتور روبير جوكس: موسوعة العلم الطبيعة والحياة، طبعة بغداد.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

ثالثاً: نقصان الأرض من أطرافها

يقول تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

- طرف الشيء هو القسم الأبعد عن وسطه أو مركزه وبما أن الأرض شبه كروية فإن قشرتها التي تعيش عليها هي أطرافها فهي الأبعد عن مركز الأرض.

- بيّنت علوم الأرض في القرن العشرين بأن رؤوس الجبال (وهي من أطراف الأرض) تتناقص سنوياً بصورة بطيئة بفعل عوامل عدة كالمطر والثلوج والزلازل وغيرها.

- أما إذا أعتبرنا بأن أطراف الأرض أجزاؤها في منطقتي القطب الشمالي وعند خط الإستواء فبحكم دوران الأرض حول نفسها فإنها تنتفخ بصورة بطيئة جداً عند خط الإستواء.

- يقول علماء الجيولوجيا: أن طول قطرها عند خط الإستواء هو ١٢٧٥٦ كلم والأرض تتسطح في منطقة القطبين فتنقص هناك أطرافها إذن طول قطر الأرض بين القطبين هو ١٢٧١٣[2].

- وما الزلازل التي تضرب الأرض سنوياً إلا نقصان للأرض من أجزائها أي من قشرتها الخارجية التي تغوص في داخل الأرض، فمن خلال ثمانين ألف هزة أرضية سجلتها ثلاثة آلاف وخمسمائة محطة رصد أرضية خلال ثلاثين سنة استطاع علماء الجيولوجيا وبفضل الكمبيوتر أن

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٤٤.

(٢) الدكتور روبير جوكس: موسوعة العلم الطبيعة والحياة، طبعة بغداد.

يبينوا أن كثيراً من الشقف الأرضية التي تقوم عليها البحار والمحيطات قد غارت في باطن الأرض حتى المعطف[١].

الصراط المستقيم

ما هو تعريف (الصراط المستقيم) الذي نطلب من الله عزّ وجلّ أن يهدينا إليه في سورة الفاتحة؟

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾[٢].

إن النص القرآني يتضمن أجزاء تعدّ (مفاتيح) دلالية تمكن القارىء من الولوج إلى عالم النصّ وكشف بعض أسراره وغوامضه، ومن أراد تفسير الكتاب الكريم طلبه أولاً من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسّر في موضع آخر، وما أختصر في مكان، فقد بسط في موضع آخر.

على سبيل المثال:

لو تأملنا الآيات القرآنية (١٥١ - ١٥٢ -١٥٣) من سورة الأنعام، لم يكن من الصعوبة أن نستنتج أنها الوصاية العشر، أو الفرقان الذي أنزل على كليم الله موسى عليه السلام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[٣]:

(١) بحث للمؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.
(٢) سورة الفاتحة، الآيات: ١ - ٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

١ - ألا تشركوا به شيئاً.

٢ - وبالوالدين إحساناً.

٣ - ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم.

٤ - ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٥ - ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق. ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون.

٦ - ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده.

٧ - وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها.

٨ - وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى.

٩ - وبعهد الله أوفوا.

١٠ - وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون.

هذه الوصايا مجتمعة هي الصراط المستقيم، وهي التقوى الاجتماعية، في حين أن العبادات هي التقوى الفردية. والتقوى الاجتماعية هي الأخلاق المشتركة في الأديان السماوية الثلاثة، الملزمة لكل الناس، وهي القاسم المشترك بين الأديان وفي مقابل البشر في جميع أنحاء الدنيا.

الوصية الأولى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾

لقد ضرب الله عز وجل لنا مثلاً على الشرك في سورة الكهف.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا

وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[2].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3].

الوصية الثانية: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾

لقد وضع الله تبارك وتعالى بعد الشرك بالله هذه الوصية، وأمرنا من الناحية الإنسانية أن نحسن إلى آبائنا وأن لا ننساهم كما تنسى البهائم والديها ونرعاهم ولا نقول لهم إلا قولاً حسناً:

يقول تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[4].

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[5].

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٢ - ٣٨.
(٢) سورة الاسراء، الآية: ١١١.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٤) سورة الاسراء، الآية: ٢٣.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٤.

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

الوصية الثالثة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾[3].

الوصية الرابعة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾[4].

الوصية الخامسة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾[5].

(١) سورة العكنبوت، الآية: ٨.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.
(٣) سوة الاسراء، الآية: ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٦.
(٥) سورة الاسراء، الآية: ٩.

الوصية السادسة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾(١).

✍ ✍

الوصية السابعة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢).

هذه الوصية تتعلق بالعلاقات الإنتاجية والعلاقات التعاقدية، وتتعلق بالمواصفات الوزنية والبعدية للبائع والسلع المنتجة (سيارات أدوية مأكولات مشروبات مواد بناء أبنية أقمشه الخ).

لقد جعل الله تبارك وتعالى التقيد بالمواصفات بالبيع والشراء والانتاج ركناً من أركان التقوى في الإسلام، والإخلال بها بعدٌ عن الصراط المستقيم.

✍ ✍

الوصية الثامنة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾(٣).

هذه الوصية هي حالة عامة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

فالإنسان بالمطلق لا يجب أن يتكلم إلا كلاماً صادقاً، وإن يكون موضوعياً في أحكامه.

فالصفة الأساسية للإنسان هي الصدق والعدل، وهذه صفة أساسية للتقوى.

الوصية التاسعة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾(١).

الوفاء بالعهد إختصار قانوني للألاف المؤلفة من البنود، (الدستور الأخلاقي المهني) أي.. على الطبيب مثلاً بعد أن يقسم اليمين أمام الله وكل العهود هي عهود بين الإنسان والله - أن يمارس المهنة بأخلاقيتها أو بدستورها وكذلك المعلم والنائب والوزير والفقيه و...

الوصية العاشرة:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

إن التقوى هي في إتباع الوصايا التسع الواردة قبلها معاً غير مجزأة وقد سماها مجتمعة صراطاً مستقيماً وهي من الدين القيم (الاخلاق).

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

إن الوصايا مجتمعة هي من التقوى الإجتماعية، والعبادية هي من التقوى الفردية، ومن يقوم بالعبادات ويخل بركن من أركان هذه التقوى أولاً يلتزم بهذه الوصايا مجتمعة، ليس جديراً بالثقة ولا بالمعاملة[٢].

أساليب التربية والأسلوب القرآني

يقول الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: إن الأسلوب البدائي للتربية هو التوجيه الأمر والنهي إلى موضوع التربية (أي المربي) ولا شك أن له تأثيراً محدوداً ومضاعفات سلبية أحياناً، سيما عندما يستعمل العنف في سبيله وعندما لا يؤخذ وضع المربّي النفسي بعين الأعتبار.

ويضيف سماحته قائلاً: يأتي الأسلوب الأرقى من ذلك عندما يستعمل المربّي وسائل الإقناع ويحاول التصرف في عقل المربي وقبله لكي يقتنع بالهدف ويحبّه لينطلق نحوه.

أما الأسلوب الثالث الذي يعتز به أصحاب المدارس الاجتماعية الحديثة فهو التوجه أولاً إلى البيئة للمربّي فرداً كان أو جماعة، ليصبح مناخاً ملائماً للهدف التربوي وليكون تيار نحوه يسهل معه على المربّي العمل والإقناع.

والقرآن الكريم يستعمل هذه الأساليب الثلاثة في آن معاً، ويضيف

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.
(٢) بحث قرآني للمؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

أسلوباً رابعاً هو من اختصاصه ويعتبر من معجزات الإسلام، حيث تحاول المدارس الاصلاحية والثورية المتأخرة أن تقتبس منه.

إن القرآن الكريم يأمر وينهى بمختلف التعابير والوسائل، ويذكر الدليل تلو الدليل، ويعتمد على الفطرة وعلى المرتكزات الراسخة عند الشعوب وعلى العبر التي يمكن إستخلاصها من الأمم السالفة، ويستعمل ألفاظاً تشبه الأدلة, مثل كلمات (الطيبات والخبائث) ويذكر دائماً برحمة الله ومحبته ونعمته وعلمه بمصالح الناس، كل ذلك حتى تكون القناعة المقترنة بالمشاعر المتوجهة نحو الهدف(١).

ويضيف سماحته قائلاً: عندما يرسم القرآن الكريم صورة الخلق والموجودات والحياة من خلال العقائد ومن خلال المعلومات التي تضيفها آياته البينات إلينا، فإنه يحاول خلق مناخ كوني عام في ذهن الإنسان يحسّ معه بأن البقاء والنجاح والخلود هو في الالتزام بالتوجهات الإسلامية، وان الوجود ينبذ كل فرد وكل جماعة لا تنسجم مع هذه القواعد، وان مصيرهم هو الفناء والنسيان.

إن هذا الأسلوب القرآني اثبت تفوقه على الاساليب السابقة وله مزايا متعددة نحاول تعدادها بعد إيضاح معالم هذا الأسلوب واستعراضه.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾(٢).

نلاحظ الربط بين طلب عدم الطغيان في الميزان وإقامة الوزن بالقسط وبين السماء ووضع الميزان الذي هو تعبير عن الحساب والنظام والعدالة الكونية.

---

(١) الإمام الصدر: محاضرة القيت في المؤتمر الإسلامي في القاهرة عام ١٩٧٧.
(٢) سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[١].

وهنا تأكيد على قائمية الله بالقسط، ونجد آيات أخرى كنتيجة للآية الأولى وأوضحها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

حيث أن الإدانة لمعادي القسط ولخصوم العدالة معللة بقائمية الله بالقسط وثمرة من ثمارها.

وهنا عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[٣].

وفي نفس السورة نصل إلى بعض النتائج هذا المبدأ، قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[٤].

وفي بعض المقامات ترد النتائج قبل المبادىء ومنها في سورة الدخان قوله تبارك وتعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٥].

وفي نفس السورة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.
(٤) سورة الانبياء، الآية: ١٨.
(٥) سورة الدخان، الآيات: ٢٥ - ٢٩.
(٦) سورة الدخان، الآيتان: ٣٨ - ٣٩.

حيث أن فناء الذين يتركون الجنات والعيون دون أي رد فعل، لأن قوم تبع كانوا أقوى منهم، وهم تنكروا للبعث والحساب، أقول إن فناء هؤلاء أثر طبيعي لخلق السموات والأرض مبنية على الحق.

ويضيف سماحته: الآيات التي تؤكد أن الخلق كان في ستة أيام وأنه كان خلال أجل مسّمى مع وضوح معنى الأيام في المصطلح القرآني وأن المقصود منها في المراحل والعهود كمل يتضح ذلك في مقدمة سورة فصلت، أقول إن التأكيد على كون الخلق حصل خلال أجل مسمّى، ستة أيام، تمهيد للنتائج المهمة التربوية التي تنتج عنها، وهي حسب الوصف القرآني انهزام الروم بعد غلبتهم، وأنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا (سورة مريم)، وضرورة التوجه إلى الله ودعائه تضرعاً وخفية وطمعاً (سورة الأعراف).

ويضيف سماحته قائلاً: ان تشجيع المؤمنين العاملين بالقسط والملتزمين بالسنن والحساب والمتفكرين في اخلاف الليل والنهار والظواهر الكونية الأخرى (سورة يونس).

والأختبار في العمل في سياق السباق السماء نحو الصالحات (سورة هود).

وأخيراً وليس آخراً للتوكل على الله وتسبيحه وذكره والصبر على مل يقولون إستهزاء وشماته وإفتراء (سورة الفرقان - وسورة ق).

ومجمل القول أن التربية القرآنية تعتمد على توفير الوسائل التربوية المعتمدة بالاضافة إلى التقيد بأصول الدين وما تعكسه الأصول هذه من القواعد العامة للخلق وتأسيسه على الحق والعدل والأجل المسمى وغير ذلك من الأساسات التي يعلنها القرآن ويربط بينها وبين المطالب التربوية وتوجيه حياة الإنسان الذي يريد النجاح نحو المسلك القائم على العدل

والحق والمنطبق على صفات الله وتعليمه بإعتماد خطة عمل قائم على أساس جدول زمني لا متنكراً للزمن ولا مهملاً للتحديد كما هو الحال في الخلق[١].



(١) الإمام الصدر: محاضرة ألقيت في المؤتمر الإسلامي في القاهرة عام ١٩٧٧.

المبحث الرابع

التعايش بين المذاهب

١ – الداعية والمصلح.

٢ – الإختلاف لا يعني التنازع.

٣ – التقريب بين المذاهب.

٤ – صوت العقل والحكمة

٥ – الإسلام ومفهوم التعايش.

٦ – الإسلام وحرية التعايش.




«الداعية والمصلح»

يعتبر سماحة الإمام السيد موسى الصدر رضوان الله عليه قمة شامخة في عالم المعرفة والتقوى والتميز فيما تعرف الأمة من خصال إستثنائية في رجالات الدين العظام.

فكان الداعية والمصلح: تنظر إلى قامته الشامخة شموخ جبل عامل، لحية بيضاء ووجه صبيح يمتاز بعينين لامعتين تشعان ببريق حاد كلون السماء في رابعة النهار، ذي تأثير مغناطيسي، فيغض الناظر إليه طرفه طوعاً، لم أشاهد شخصياً مثل هذا البريق، والعديد من علماء النفس يعزو هذا البريق إلى قوة الشخصية ونزعة البروز والمؤهلات القيادية، والحقيقة أن كل هذه الصفات كانت تجتمع في شخصية الفقيه العاملي الإمام السيد موسى الصدر.

إضافة إلى ذكاء حاد، وقدرة على إستمالة سامعيه والجماهير عامة تؤهله لذلك ثقافة واسعة لافتة، جمعت عمق المعرفة، ليس للدين الإسلامي فقط، بل لسائر الأديان أيضاً، وتطعمت بالفكر الحديث والإطلاع الواسع على مختلف أوجه التقدم العلمي.

وعمل جاهداً من أجل التقريب بين أبناء الدين الواحد الدين المحمدي في حوارات حول الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، فكان سماحته خارج حلبة الصراع المذهبي والطائفي البغيض




«الاختلاف لا يعني التنازع»

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: ان الإختلاف في الرأي لا يعني التنازع، والمتطرفون أخطر على الوحدة من العدو الصريح[١].

أقول: في البداية لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين جميعاً يجب أن يفهموا المقصود من التقريب بين المذاهب، فالتقريب بين المذاهب لا يعني الذوبان والإنصهار، بعضاً في بعض، إنما يعني إقتراب أتباع المذاهب من بعضهم، بإعتبار أن بين المذاهب مشتركات لا حصر لها ولا حد. . .

أما ما يقع من الإختلاف فلا يقتصر على الإختلاف بين المذاهب، إنما هو واقع في المذهب الواحد.

أما عن العقبات التي تعترض التقريب، فهناك عقبات كبيرة وكثيرة جداً، وبالمقابل هناك نجاحات أيضاً في مشروع التقريب، لكننا نذكر العقبات لكي نفكر في تذليلها وتسهيل الطريق[٢].

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: من أهم العقبات التي تواجهنا في هذا الطريق، العدو المشترك من القوى الإستكبارية والصهيونية، التي تريد إضعاف هذه الأمة، وهي متيقنة أن هذه الأمة لن تضعف إلا بتفرقتها، وبزرع التناحر بين أبناء المسلمين. . .

---

(١) كلمة ألقاها الإمام موسى الصدر في مسجد الصفاء خلال الاعتصام عام ١٩٧٦.

(٢) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

ولو استطلعنا آيات القرآن الكريم لرأينا أنها تحذر أشد التحذير من الفرقة، وتدعوا إلى الوحدة.. والتمسك بحبل الله جميعاً[١].

✍ ✍

أهم العقبات، العدو المشترك

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: هناك ثلاث عقبات تواجهنا في هذا الطريق من أهمها، العدو المشترك، من القوى الإستكبارية والصهيونية، التي تريد إضعاف هذه الأمة، وهي متيقنة أن هذه الأمة لن تضعف إلا بفرقتها، وبزرع التناحر بين أبناء المسلمين.. ولو استطلعنا آيات القرآن الكريم لرأينا أنها تحذر أشد التحذير من الفرقة.

فالعقبة الأولى إذن هي عقبة العدو المشترك، وينبغي أن نشير إلى هذه العقبة بقوة وصراحة.

أما العقبة الثانية - وهي الأخطر - فهي أبناء المسلمين، الذين رفعوا راية التشدد، فهؤلاء أخطر من العدو الصريح، لأنهم يتكلمون بلغة ديننا، ويرفعون شعاراتنا، ويلبسون لباسنا، ويشاركوننا في كل المظاهر الإسلامية، لكنهم يطعنون جسد الأمة طعناً شديداً ومؤلماً وقاسياً...

ولو رجعنا إلى خلفيات هؤلاء المتشددين، وأساس قيامهم وتشكيلهم، لوجدنا أن للعدو الذي أشرنا إليه في العقبة الأولى اليد الطولى في إنتاجهم.

أما العقبة الثالثة والأخيرة التي أود ذكرها هنا، فهي ظلمات التاريخ،

---

(١) الإمام الصدر: المصدر السابق.

إذ يجب أن نتفهم أن التاريخ فيه الكثير من التراكمات السلبية، ولا ينبغي أن نستمر على النظرة الخاطئة إليها . . .

فلكي نتجاوز هذه العقبة يجب علينا أن نعيد قراءة الكثير من أحداث التاريخ وفق الرؤية الإسلامية والقرآنية الصحيحة، بعيداً عن الأهواء والمجاملات، وأن تكون أكثر صراحة وجرأة في ذلك[١].



(١) نفس المصدر، كلمة ألقاها الإمام موسى الصدر في مسجد الصفاء خلال الاعتصام عام ١٩٧٦.




«التقريب بين المذاهب»

تقارب بين المسلمين

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: في خصوص تقارب المسلمين على مختلف فرقهم فإن هناك جهداً حثيثاً وعميقاً في هذا السبيل عن طريق التعريف والتقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسست قبل ثلاثين سنة في القاهرة وفي أمثالها من المؤسسات، وإن هذه المجادلات العميقة أعتقد أنها تحل المشكلة أو تخففها بصورة أساسية وفي ضوء ما قلنا نجد المساعي بدأت من الجانب السني والشيعي وقد انضمت إلى مؤسسة التقريب الطائفة الزيدية ولا شك أن هذا الأساس عميق في نفوس المسلمين ينجلي وينمو عبر قادتهم المخلصين.

✍ ✍

وأضاف سماحته:

الحقيقة إن توحيد المذاهب المختلفة لدين واحد يبنى على التقارب والتقارب بحاجة ملحة إلى التفاهم والتفاهم لا يحصل إلا بالحوار شرطه الأساسي أن يجري بين ممثلين حقيقيين لأصحاب العلاقة وبعد ذلك هل يمكن فرض التوحيد والتقريب والتفاهم والحوار دون تنظيم؟

وأما بالنسبة للحوار مع الطائفة السنية فإن من أهداف المجلس

الإسلامي الشيعي الحثيث لتوحيد كلمة المسلمين في لبنان وذلك يتحقق بصورتين:

✍ ✍

الصورة العادية:

وهي تكوين الحوار المؤدي إلى التفاهم والتفاعل وبالنتيجة نصل إلى التقارب والتوحيد وعلينا تمهيداً إنجاح الحوار أن نهيىء جواً صالحاً للحوار من إشاعة الثقة وتبادل الإحترام والمحبة والتخفيف من التشكيك والتهمة.

✍ ✍

أما الصورة الاستثنائية السريعة:

فهي وضع أهداف محددة والتزام الطائفتين بالسعي لتحقيقها ونتيجة هذه المساعي المستمرة هي الإنصهار في ساحة واحدة وتكوين ثقة متبادلة وبالتالي الإحساس بوحدة الآمال والأهداف والمبادىء والوصول إلى الوحدة وهذه الأهداف قد تكون شرعية محضة مثل الفقه المقارن أو الأصول المقارنة وتصلح أن تكون شرعية ذات وجه إجتماعي مثل السعي لتوحيد الأعياد والشعارات الدينية كما إنها تصلح أن تكون أهدافاً وطنية وإجتماعية(١).

ثم قال الإمام موسى الصدر: وفي الحقيقة إنها تشتمل على وجهين:

الوجه الأول: الشعائر الإسلامية: الشعائر الإسلامية ونقصد بها

(١) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص٨٧.

الأحكام التي تنعكس على مظاهر الفرد والجماعة وبما أن الإختلاف في الشعائر يبرز الأمة الواحدة بصورة مختلفة ويشتت الأمة ويضعف كيانها خاصة وان حملة الشعائر في الأغلب هم عامة الناس الذين يتأثرون تأثراً بالغاً بالخلافات الشكلية. . .

فلا شك أن الواجب الإسلامي يتطلب بذل الجهد لتوحيد هذه الشعائر رغم تفاوت الآراء الفقهية وأنني أؤكد أن توحيد هذه الشعائر أمر ممكن. وقد قدمت بشأنه اقتراحاً مدروساً في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة كما أن الكثير من العلماء قاموا ويقومون بجهد مشكور في هذا السبيل[1].

أما الوجه الثاني: وهو الفقه الإسلامي والأفكار الإسلامية وسائر تعاليم الإسلام فإن هذا التراث الكبير نتيجة جهد مضن قرين بالمنافسة المجندة للطاقات بذله آلاف من فقهاء الإسلام وعلمائه خلال التاريخ ولا يمكن تجاهل هذا التراث الغني الكبير أو القضاء عليه لمجرد شعار توحيد المذاهب سيما وأن التفاوت في الرأي على هذا الصعيد اللاجماهيري إذا صح التعبير ليس مضراً ولا مفرقاً بل لقد كان ولم يزل يزيد في إغناء الفكر الإسلامي.

وأضاف سماحته: بإمكاني أن أؤكد أن هذا التفاوت في الآراء يخدم التطور ويسهل الإجتهاد وبالتالي يوفر الإقتباس المناسب لحاجات العصر من الإسلام ذلك لأن الحكم الديني بطبيعة كونه غيبياً مقدساً يحمل طابع الإطلاق أو ما اصطلحوا عليه (بالدوغماتيزم).

وإذا كان هذا الحكم متفق عليه بين الجميع فإنه يصعب على الفقيه أو

---

(١) نفس المصدر، ص ٢١٣.

العالم أن يتجزأ في محاولة التطوير ولكن مع وجود آراء مختلفة ومتصادمة يسهل التطوير وإقتباس الحاجات من الحكم وقد ورد عن الرسول الأعظم ﷺ: (**إختلاف أمتي رحمة**).

أما بالنسبة للمساعي التي تبذل لأجل توحيد المذاهب أو بتعبير أدق لأجل تقريب المذاهب فهي مستمرة ناشطة يدعو إليها كل مخلص للإسلام وإن كانت ظروف المسلمين ومحنتهم بإسرائيل تفرض على الفقيه التفكير فيما يتفق عليه المسلمون لا فيما يختلفون فيه.

ولعلكم أيها الأحبة تشاهدون في الملتقى السابع إجتماعاً لسبعة على الأقل من المذاهب الفقهية الإسلامية يتعاون علماؤها في الإجابة على الأسئلة الخمسة المطروحة[١].

الاختلاف ودور المؤتمرات

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: أما عن الإختلاف فهو، بلا شك، لا يعني التنازع، ولا يلزم منه التنازع، وإلا فإن الإختلاف بين العلماء لا ينحصر بين المذاهب، إنما هو في المذهب الواحد أيضاً ومع ذلك فلا أحد يدعي التنازع في مذهب واحد.

وأما عن المؤتمرات واللقاءات فأعتقد أنها تحقق هدفاً سامياً في الوحدة بين المسلمين، ففي هذه المؤتمرات يحضر أكابر علماء ومفكري الأمة الإسلامية، وهذه اللقاءات المباشرة بين علماء الأمة تضعف من الإحتقان بين المسلمين[٢].

(١) الإمام الصدر: كتاب تأسياً لمجتمع مقاوم، ص٢١٣.
(٢) نفس المصدر، كلمة ألقاها الإمام موسى الصدر في مسجد الصفاء خلال الاعتصام عام ١٩٧٦.

أقول: رأي في هذا المجال يمكن أن نسميه بالتثقيف النوعي أو الذاتي، أي أن يقوم أتباع كل مذهب بتثقيف أبناء مذهبهم على تقبل الآخر، أو أن يتصدى أبناء المذهب الواحد للشبهات المثارة ضد المذهب الآخر؟

وأعتبر هذا الرأي خطوة عظيمة من خطوات البناء في التقريب والوحدة، فالتقريب على مثل هذه الأمور في غاية الأهمية، وهنا يأتي دور المنبر والخطيب المتزن في التوجيه، سواء كان منبراً حسينياً أو منبر جمعة أو جماعة أو غير ذلك، لأن من أبرز المعالم في رسالة المنبر أن يترفع عن الكثير من المسميات فعلى الخطيب أن يترفع عما يثير الآخر، كما هو الحال في كلمة الروافض، التي تثير مشاعر الأخرين وتستفزهم، أو كلمة النواصب، أو غيرهما من المسميات الإستفزازية والمنفرة والمثيرة[١].

تطوير مؤتمرات الوحدة

أقول: أود أن أؤكد في هذه المناسبة أننا يجب أن نكثف من هذه اللقاءات ونعمل على تطوير مؤتمرات الوحدة، كما أنني أتقدم بمقترحات أخرى منها:

أن ننقل تجربة التقريب بين المذاهب إلى سائر الدول العربية والهند وباكستان وكشمير.

أن نكثف المؤتمرات واللقاءات وخصوصاً في موسم الحج، وأن لا تبقى في دائرة المؤتمرات السنوية.

وأملنا بالله عزّ وجلّ، ثم بالخيرين من أبناء هذه الأمة كبير جداً، كما قال

(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

رسول الله محمد ﷺ: **(الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)**.

كما أنه لا بد إحترام خصوصيات كل مذهب، وأن لا نعتدي عليها ونقلل من شأنها.

ولذلك أقول، وبكل جرأة: يجب أن نشارك إخواننا الآخرين في أفراحهم وأتراحهم ومناسباتهم وشعائرهم، لكي يبادلونا تلك المشاركة في أفراحنا وأحزاننا إذا ألمت بنا الملمات، وبذلك تتعزز الروابط والأواصر الإجتماعية بين المسلمين[١].

مرجعية الفتوى مفقودة

في سياق حديثنا عن التكفير، وإنتشار حمى الفتاوى في وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت، ترد في الأذهان مجموعة من الأسئلة حول إشكالية واحدة، وهي: أين هي المرجعية الفكرية والفقهية للمذاهب الإسلامية؟ وأين هي مركزية الإفتاء عندهم؟

أقول: إن هؤلاء التكفيريين لا يمثلون أهل السنة، إنما يمثلون أنفسهم، لأنك لو تتبعت أقوال أهل العلم من أهل السنة، فأعتقد أنك ستصاب بالإستغراب، وستقف على ذلك بنفسك وتتأكد منه، فالإمام تقي الدين السبكي رحمه الله وهو من كبار علماء الشافعية في القرن العاشر الهجري، ينقل عنه الإمام عبد الوهاب الشعراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من كبار العلماء أيضاً في القرن العاشر، أنه سئل عن تكفير أهل البدع والأهواء فقال: **من خاف الله عَزَّوَجَلَّ أستعظم تكفير المسلم**[٢].

(١) كلمة المؤلف ألقيت في مؤتمر الوحدة الإسلامية في بغداد عام ٢٠٠٥.
(٢) عبد الوهاب الشعراني: كتاب هلال الإسلام.

وهكذا الإمام الغزالي وابن حجر الهيثمي، وجملة من علماء الدين الأفاضل الذين يحذرون من وقوع المسلم في دائرة التكفير.

أما عن الإشكالية التي تعاني منها المذاهب الإسلامية الأخرى وهي عدم وجود مركزية في الإفتاء، فإن الواقع اليوم يحتم عليهم توحيد مصدر الفتوى، أو على أقل تقدير أن تكون هناك جهة تحمل صفة المرجعية في هذا الموضوع الخطير، وتخاف الله في الإفتاء، وتتبع الأسس السليمة في الإفتاء الذي يدخل في تقرير مصير الأمة في كثير من الأحيان.

لاحظ مثلاً الشيعة يرجعون إلى مراجع التقليد في تشخيص الموقف الشرعي، أما إخواننا فيفتقرون إلى مثل هذه المركزية في الإفتاء[١].

الانسجام بين المذهبين حقيقة صادقة

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: ان الانسجام بين المذهبين حقيقة صادقة ولتحديد الصلة بين الفرقتين ما قاله الأستاذ الباقوري إذ يقول: (إن الفرقتين يقيمان صلتهما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله ويتفقان إتفاقاً على الأصول الجامعة في هذا الدين... أما ما يختلفان فيه فلا يعدو أن يكون فقيهاً أو سياسياً..)[٢].

ففيما يتصل بالناحية الفقهية فإن الشيعة الإمامية جميعاً وهم يزيدون على المائة مليون في العالم يتعبدون وفق مذهب أهل البيت بينما أهل السنة موزعونُ بين أربعة مذاهب على الأقل.

---

(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.
(٢) الأستاذ أحمد الباقوري في تقديمه لكتاب: (المختصر النافع في فقه الإمامية).

وأضاف الأستاذ الباقوري أيضاً: (وعندما ندخل مجال الفقه المقارن ونقيس الشقة التي يحدثها الخلاف العلمي بين رأي ورأي أو بين تصحيح حديث وتضعيفه نجد أن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي ونحن نرى أن الدراسة العلمية لهذا الجدل الفقهي جديرة بالحفاوة وإمعان النظر وإحسان الدراسة فهي تراث علمي مقدور ومشكور)[١].

ويقول سماحته: فيما يتصل بالناحية السياسية فإن الشيعة الإمامية يرون أن الخلافة بعد رسول الله محمد ﷺ كانت لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام دون غيره بالنص عليه من الرسول الأكرم نفسه بينما لا يلتزم أهل السنة بذلك[٢].

دفع الشبهات عن المذهب الشيعي

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: ليس في نوايا الشيعة ولا في معتقداتهم مسألة تحطيم السيطرة العربية وذلك لجهات ثلاث.

الأولى:

أن الرسول الأعظم هو أول من سمى أصدقاء علي وتلاميذه باسم الشيعة وذلك حسبما نقل السيوطي في (الدر المنثور).

والثانية:

أن انتشار التشيع كان عقب إنتهاء إجتماع السقيفة مباشرة والإستقرار

(١) نفس المصدر الأستاذ الباقوري.
(٢) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم ص٢٠٤.

على اختيار أبي بكر ﷺ للخلافة، ولزم الإمام علي عليه السلام بيته ولم يبايع وإنحاز إليه وجوه الصحابة من العرب أمثال أبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وعمار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وقيس بن عبادة الخزرجي فضلاً عن جميع بني هاشم وعلى رأسهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ.

والثالثة:

أن الدعوة إلى السيطرة العربية على الدولة لم تنشأ إلا في العهد الأموي أي بعد نشأة التشيع بأكثر من أربعين عاماً. مما مكن للعباسيين، وليسوا شيعة، إعتماد على الموالي أن يقضوا على الأمويين ويقيموا الدولة العباسية على أنقاضهم فكيف بعد هذا كله ترتبط نشأة المجتمع باتجاه الموالي إلى تحطيم السيطرة العربية؟[(١)].

وحدة مصادر التشريع بين السنة والشيعة

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: الإلتقاء ممكن.. القرآن والسنة والإجتماع.. كليهما متفق عليها إعتماد السنة على الصحابة وإعتماد الشيعة على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وفي إعتقادنا إن قصر الإعتماد على الصحابة، يعني قصر المعرفة على صدر الإسلام، بينما الأئمة عاشوا التطورات التي وقعت في القرن الأول والقرن الثاني وبداية القرن الثالث.. عندما فتح المسلمون العالم وأقاموا

(١) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

دولتهم عبر منطقة واسعة غنية بالتجارب والمشاكل، وغنية بخيرات الحضارات المختلفة، كل هذا خلق وقائع جديدة وافترض إجتهادات جديدة، ومن هنا كان الفقه الشيعي، والينابيع الشيعية أكثر غنى لأن الفقه الشيعي أستمر في الإجتهاد...

(وعلماء إخواننا أهل السنة وفقهاء السنة استمروا أيضاً في الفتوى وإلى ما بعد ذلك التاريخ).

وتابع سماحته: أما الآن وبعد أن أعتمد السنة على بعض الأئمة بوصفهم أئمة وصحابة كعلي والحسنين.. والبعض بوصفهم تابعين مثل الباقر والصادق عليهما السلام وأعتمد الشيعة على بعض الصحابة بإعتبار النص على أتباعهم..

الآن وبعدما أصبح الإعتماد على النص وإمكان الإجتهاد في إطار النص وبعد أن فتح باب الإجتهاد بدلاً من الفتاوى.. أصبح الفرق بين المذاهب قليلاً وأصبح التلاقي ممكناً..

وأضاف سماحته: الواقع ثم الواجب يحتم التلاقي وعلماء السنة والشيعة يمكنهم اللقاء على شكل الحكم ثم على التشريع[1].

أبعاد تضامن المذاهب الإسلامية

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: بدون شك أن تضامن المسلمين فيما بينهم يعتبر صيانة للرسالة الإسلامية لأن الرسالة الإسلامية ليست رسالة مجردة تنمو بمعزل عن الإنسان..

---

(١) الإمام الصدر: تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص ٣٢٦.

والفكر الإسلامي يتضمن من قبل الإنسان المسلم والإنسان المسلم كما قلنا في رأي الإسلام إنسان ذو بعدين:

بعد فردي أي حرية وعدم تحوله إلى آلة، والبعد الجماعي يعني ليس هو إله أيضاً يتصرف كما يشاء.

إذن المجتمع الإسلامي ضمانة لسلامة الفكر الإسلامي من هنا نجد أن الرسول الأكرم في بداية الإسلام وضع أسساً ثابتة للتضامن الإسلامي ضمن ثلاث مواد عندما يقول: «المسلمون تتكفأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم».

إذن التساوي بين المسلمين يعني عدم التصنيف.

ثانياً: احترام العهد والذمة يعني كل إنسان يحترم مسؤولية الإنسان الآخر، مسؤولية الفردية مسؤوليته العائلية ومسؤوليته الوطنية التزاماته ضمن عهد وعقود، والتزاماته الذاتية، والتضامن ضد العدو ضد الخطر الذي يتحدث عنه القرآن الكريم: اليهود والذين أشركوا، وكل معتد طبعاً على الإسلام.

يتابع سماحته: إذن التضامن الإسلامي ضمانة للفكر الإسلامي لإعطاء الصورة الصحيحة عن الإسلام هذا الشعب الكبير جداً هذه الأمة الواسعة بما لها من الإنتاج وبما لها من العطاء وبما لها من الثروات، عندما تلتقي وترفع الحواجز وتمنع التصنيف وتمنع التشكيك وتمنع التعصب والانكماش ستصبح بحراً كبيراً متضامناً متفاعلاً وتشكل قوة كبرى لإبراز الإسلام بالشكل الصحيح ولحل مشاكل هذه الأمة من أقصاها إلى أقصاه وللإنسانية جمعاء، لأن الفكر الإسلامي رحمة للعالمين وليس مجرد خدمة للمسلمين فحسب وبرزت بالفعل هذه الصورة عن التضامن الإسلامي مؤخراً انفتاح المسلمين لا سيما في مؤتمر» (لاهور) «تبين أن المسلمين مهتمون بالعالم

الثالث يعني العالم المضطهد، العالم الذي ثمن طغيان الظالمين الكبار.

إذن الإسلام برز من خلال هذه الفترة من التضامن الإسلامي في مؤتمر لاهور وقبله وبعده كقوة إنسانية لخدمة المستضعفين حسب تعبير القرآن لأن المستعفين هو التعبير القرآني من المستعمر والمستثمر وهكذا.

أعتقد أن التضامن الإسلامي في هذا الوقت بالفعل دخل دوراً جدياً وعملياً وأوضح للعالم الإسلامي ولغير المسلمين مدى إنفتاحه وضرورته وصيانته للفكر الإسلامي[١].

تجربة توحيد المذاهب الإسلامية

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: إن التجارب البشرية متى حصلت وإينما حصلت هي ثروة إنسانية عزيزة يجب الإستفادة منها.

ولكن عندما نريد أن نستفيد من هذه التجارب لا بد من عملية أسلمة التجربة وجعلها جزءاً من منسجماً مع الإطار الإسلامي العام فالشريعة واحدة لا تتجزأ ولا يمكن أن تقبل في ضمنها غريباً غير منسجم معها.

وقد حصل في أواخر القرن الهجري الأول وأوائل القرن الثاني شيء من ذلك عندما التقى المجتمع الإسلامي الحديث بالمجتمعات العالمية التي كانت وريثة الحضارات اليونانية والإسكندرية والكلدانية والفارسية والهندية وغيرها حيث ترجمت معطيات تلك الحضارات وأدخلها العلماء المسلمون بدقة متناهية ضمن الهيكل الإسلامي العام ثم طوروها وقدموها بدورهم للعالم[٢].

---

(١) الإمام الصدر: كتاب تأسيسا لمجتمع مقاوم، ص ٣٤٣.

(٢) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص ٣١٥.

التمايز والاتفاق بين المذاهب

قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: في البداية يجب أن نشير إلى أن المقصود بالمذاهب السنية هي المذاهب الفقهية المعروفة بالحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأباضية والظاهرية والمذاهب السنية الكلامية كمذهب أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية.

أما المذاهب الشيعية فالمقصود بها المذهب الجعفري أو الإمامية الإثني عشرية والزيدية والإسماعيلية، ولا خلاف بين كل هذه المذاهب في الأصول الأساسية للإسلام كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بكافة تفاصيلها.

وكذلك فإن جميع الشعائر الإسلامية موحدة بين المسلمين جملة وتفصيلاً، ثم إن الينابيع التي يستقي منها الفكر الديني والرأي الإسلامي واحدة وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وإجماع الأمة وحتى العقل...

لذلك فإن التسمية الواردة هي المذاهب الشيعية تسمية صحيحة دقيقة وهي أفضل من تسمية الطائفة الشيعية كما تستعمل في لبنان.

أما في وجه التمايز، ولا نقول الخلاف، بين المذاهب فهي:

- في الفقه يعتمد المذهب الشيعي بالإضافة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع والعقل على رؤية أهل البيت والأحاديث التي تروي أقوالهم وسيرهم وتقريرهم للأمور بينما يعتمد بقية المسلمين على آراء الصحابة، ولا بد أن نقف عند نقطتين:

إن الأكثر من الصحابة هم موضع قبول وثقة عند الشيعة وهذه النقطة تقلل أوجه التمايز لأنها تجعل من الأئمة صحابة ومن الصحابة أئمة.

إن وجود الأئمة الاثني عشر خلال الفترات الحاسمة في التاريخ الإسلامي ساهم مساهمة فعالة في إثراء الفقه الشيعي وفكره، وهذا هو السبب الأساسي في بقاء الإجتهاد مفتوحاً دون أن يخشى من بعض الفتاوى.

- وفي الإمامة والولاية أعتمد المذهب الشيعي على التزام بوجود الإمام وكونه صاحب ولاية والإمام هو خليفة الرسول المنصوص على وصايته، وولايته تعني الإطاعة، والإطاعة وجبت على المسلمين في رأي الشيعة كي يتمكن الإمام من تنفيذ الفكر الإسلامي وبناء المجتمع الإسلامي وقد أعطي الإمام صلاحية الأمر والنهي بموجب قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

وأما فيما يتعلق بأن الخلافة من بعد الإمام علي عليه السلام تكون لبعض بنيه ثم لبعض أبنائهم من بعدهم فذلك عندنا كان النص عليهم من الرسول الأكرم مما يشهد له مرويات كثيرة من طرق أهل السنة ومنها ما روي عن رسول الله ﷺ قال: «**أن وصيي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين يليهما تسعة أئمة من صلب الحسين**»[2].

وأما الحقيقة: وصية غدير خم فيما رواه زيد بن أرقم، في حديث صحيح الشيخين رضي الله عنه قال:

عندما رجع رسول الله محمد ﷺ من حجة الوداع ونزل عند غدير خم أمر بأقتاب الإبل فجمعت واتخذ منها منبراً فصعد عليه حمد الله وأثنى عليه وقال: «**إني قد دعيت فأجبت أني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فأنهما لن يفترقا حتى يرد علي الحوض.**

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) الدر المنثور، ج٢، ص١٣٢.

ثم قال أن الله عزوجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وأخذل من خذله»(١).

وزاد أحمد في مسنده ما سبق أن أشرنا إليه وقد أعترف الحافظ السيوطي بتواتره..

وكيف لا يكون متواتراً وقد زادت طرقه على مائة ونيف، ورواه أكثر من سبعين صحابياً(٢).

التمايز بين الشيعة والسنة

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: ما يميز الشيعة عن السنة من جهة العقيدة هو الفرق الأساسي بين الشيعة وغيرهم من المذاهب يتلخص في أمرين:

أولاً: الولاية. الحقيقة إن مسألة الولاية هي إقامة المجتمع الصالح عن طريق تكوين حكم صالح.

وكان أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أفضل المصاديق.

وعند الشيعة إن مسألة الولاية هي أهم الأحكام الشرعية، وأعتقد أن تكوين المجتمع الصالح يؤدي إلى نمو الإنسان وكماله أكثر من أي عمل آخر، فالولاية التي تعتبرها الشيعة ليس مسألة أساسية تاريخية بل مسألة كل مجتمع وكل زمان.

---

(١) صحيح الشيخين، ج١، ص٢٣٣ - تاريخ دمشق، ج٣، ص١٧٧ - الدر المنثور.
(٢) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص٢٠٦ - ٢٠٧.

ثانياً: المصادر الشرعية عند الشيعة هي نصوص أل البيت ورواياتهم وتعليماتهم بعد الأعتراف بالنصوص القرآنية وسنة النبي الكريم والمذاهب الأخرى تهتم بآراء صحابة النبي بعد الأعتراف بالقرآن والسنة النبوية...

وهنا نجد فروقاً كثيرة في الأحكام والتعاليم الدينية لكن جميع هذه الفروق حتى الإجتهاد، تأتي في إطار الفروع مما لا يؤدي إلى التفاوت في الأسس والأركان الإسلامية[١].

أهمية التقارب بين المذاهب

أقول: قضية التقارب بين المذاهب تعتبر من أهم القضايا الإسلامية قديماً وحديثاً فهي ذات أبعاد وأهداف كبرى وكثيرة، ولعل الأهداف العظيمة التي تنطوي عليها قصة التقارب سواء كان تقارباً فكرياً أو سلوكياً أو تنظيمياً هو وضع الإنسان المسؤول عن رعيته وأمته أمام الحقيقة المطلقة التي يجب الإيمان بها والسير على ضوئها في ظلمات الليالي والسنين التي كونتها الرغبات الفكرية والميول السياسية في حركة الصراع الحضاري الإنساني عبر التاريخ، فالتقارب هو تفاعل لرغبات منطق العقل والفطرة وهو قيمة إنسانية لها آثارها التاريخية العظيمة في صناعة بناء الفكر الإسلامي الأصيل وتحريك نحو التكامل الروحي والعلمي مضافاً إلى جوانب القوة الأخرى التي تفرضها قضية التقارب بين المذاهب والأديان في حركتها المتواصلة عبر الأيام والأزمان...

ونحن سنستعرض في هذا الموضوع الهام ما جاء في القرآن الكريم عن الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية أقول بعض الأعلام من أئمة

(١) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص ٤٠.

المذاهب الإسلامية الأفاضل الذين لهم الباع الكبير في تفعيل عملية الحوار والتقارب بين المذاهب الإسلامية المتعددة.

أما فيما يتعلق بأن الخلافة كانت بالفعل من حق الإمام علي عليه السلام أقتصر هنا على ثلاثة أحاديث من مرويات أهل السنة[١].

القرآن يدعو إلى التقارب بين المذاهب

نستعرض بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من الترغيب والتقارب في الإجماع والألفة بين أبناء الدين الواحد..

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٧].

---

(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.
(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(١)].

إلى أن قال عَزَّوَجَلَّ في وصفهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[(٣)].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة التي تدعوا إلى الألفة والمحبة والوئام بين الأخوة والجيران من أبناء المذاهب كافة على قاعدة الإحترام المتبادل ومراعاة شعور الأخرين[(٤)].

السنة النبوية تدعو إلى التقارب بين المذاهب

قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

مقاله أصولها قائمة في مباحث الحقيقة والسند

ومن رجحت يمينه كفت شماله فقصد المبحث، والله من وراء القصد.

أولاً:

المقالة أعلاه، كلمة قائلها خير خلق الله محمد بن عبد الله ﷺ.

وما هو إلا خاتم الأنبياء والمرسلين: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾[(٥)].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورت الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

(٥) سورة النجم، الآيات: ٣ - ٥.

فثابت بالنص أن سنته في رسالته ورسالته من عند الله تعالى، فأما الرسالة فالقرآن وأما السنة فقوله وفعله وتقريره. والجدير بالذكر هنا إن: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» هو قوله أي فقوله هذا يعني سنته والسنة من الرسالة والرسالة من عند الله سبحانه وتعالى.

ثانياً:

إبتداء لما كانت السنة من الرسالة فإطلاق مسألة الحديث بواقعة الغدير ما كان إلا تجسيداً لمبدأ قول الله سبحانه وتعالى في أية التبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(١).

إذن فما قول رسول الله رغبة عن نفسه وإنما هي إستجابة لرغبة الله سبحانه وتعالى الحقة والغاية حقيقة الإمام علي عليه السلام أنه نفس الرسول الأعظم وهو أجدر بحمل الرسالة بصيغة الوصية من بعده اقتضت هذه الغاية بسم الله هذه الوسيلة في يوم الغدير.

ثالثاً:

في سبيل الغاية والإهتمام - والكلام يخص من لا يرجو غير الله إلها ورباً وسيداً ومولى مطلقاً، خالصاً - أن قول الرسول لم يكن أنقطاعيا ولا إنفصاليا بعاملي الزمان والمكان فعند قوله: (**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**) فكلمة كنت لم تكن دلالتها بالحصر في الزمن الماضي بل مطلق زمن، وبتمام شروط الكمال بلا ضد ولا نقيض ولا إختلاف إذ لا إنفصالية في قول رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

رابعاً:

الولاية والإخلاص المعنيان فيها أمر لا تشوبه شائبة ولا يلجه باطل، فالولي لغة ضد العدو، يقال (تولاه) وكل من ولي أمر واحد فهو (وليه) و(الولاية) بالفتح والكسر النصرة وهما المصدر والاسم.

وأما اصطلاحاً: هو من له صلاحية التصرف بشؤون من ولي أمره إليه وبضمن المراد هنا (الولي) طابقت (المولى) بالهدف من غير جزم ولا نفي ولا قلب.

إذن فالكلام عن الولي الكافل الآمر المتدبر بالكفالة بتسديد الله سبحانه وتعالى وهو شيء بديهي لا عجب منه ولا غرابة ولا غلة فيه، وهذا الولي هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

البيان: في إثبات إن الولي هو الإمام علي عليه السلام

أولاً: في القرآن: قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۝٥٦﴾[1].

وهما آيتان مما أجمع المفسرون عليهما على إن نزولهما في الإمام علي عليه السلام وغيرها كثير من الشواهد.

خامساً: في السنة:

أقوال الرسول بما يدلل الولاية ومنها:

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

أ - حديث الغدير وهو: (يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأني أولى بهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)[١].

ب - حديث الولاية وهو: (يا علي سألت الله فيك خمساً فأعطاني أربعاً ومنعني واحداً، إلى أن قال - وأعطاني: إنك ولي المؤمنين من بعدي)[٢].

ج - حديث أبن أرقم وهو: (من أراد أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة)[٣].

د - حديث الباب وهو: (أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين، فدخل علي، فقام إليه مستبشراً فاعتنقه وجعل يمسح عرق جبينه وهو يقول له: أن تؤدي عني وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا من بعدي[٤].

هـ - حديث الطاعة وهو: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصا علياً فقد عصا الله)[٥].

و - حديث حطة وهو: (علي بن أبي طالب باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً)[٦].

(١) شواهد التنزيل للحسكاني، ص ١٧٠.
(٢) شواهد التنزيل للحسكاني، ص ١٧١.
(٣) شواهد التنزيل للحسكاني، ص ١٧٢.
(٤) الحسكاني: شواهد التنزيل، ص١٧٤
(٥) الحسكاني: شواهد التنزيل، ص ١٧٦.
(٦) الحسكاني: شواهد التنزيل، ص ١٧٧

ز - حديث التأييد والنصر وهو: (**مكتوب على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي**)(١).

سادساً:

مما رواه أحمد في مسنده أن الرسول الأكرم قال لعشيرته الأقربين في مكة يوم الدار:

«قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر فيكون أخي ووصيي وخليفتي؟

فقام عليّ وقال: أنا يا رسول الله...

فأخذ النبي الأكرم برقبته وقال لهم: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»(٢).

وعن الصحابي الجليل جابر الأنصاري رضي الله عنه انه قال: خطب بنا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أواخر أيام التشريق خطبة الوداع فقال: «**يا أيها الناس أن ربكم واحد، وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت؟**

قالوا: بلى بلغت يا رسول الله، فقال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب»(٣).

عن الصحابي الجليل جابر الأنصاري رضي الله عنه قال: دخل سلمان الفارسي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه إجلالاً لحقه وإعظاماً لشيبته واختصاصه بالحبيب المصطفى فدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنظر إليه فقال: من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب؟!

---

(١) الحسكاني: شواهد التنزيل، ص ١٧٨

(٢) مسند احمد بن حنبل: باب حديث الدار.

(٣) آية الله محمد الشيرازي: الفقه - الحكم في الإسلام - ج ٩٩، ص١٠٥.

فصعد الرسول الأكرم المنبر فخطب فقال: «إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، إن العربية ليس إلا لسان ناطق، فمن فيكم تكلم به فهو عربي، ألا إنكم ولد آدم، وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم»[1].



(١) الفقه - الحكم في الإسلام - ج ٩٩ ص١٠٦ آية الله محمد الشيرازي.




«صوت العقل والحكمة»

نحن المسلمين ما أحوجنا اليوم إلى أصوات العقل والحكمة والتدبير لا أصوات التطرف والغلو والتكفير.

في هذا الوقت العصيب والمتازم الذي تشهده الساحة الإسلامية فيما هو أشبه بالحرب الأهلية بحسب الواقعين أو مقدماتها بحسب المتفائلين حيث الإصفافات الطائفية تتعمق يوماً بعد يوم، ويتصاعد التهجير على اساس طائفي، ويكثر القتل على أساس مذهبي، تضيع في ظل هذه الأجواء المتازمة أصوات العقل والحكمة والتدبير، علماً الساحة الإسلامية أحوج ما يكون إلى هذه الأصوات في هذه المحنة التي تكاد تعصف بالساحة الإسلامية.

وفي هذه الأجواء المشحونة حيث الطائفية والمشاعر المذهبية تعلو فوق صوت العقل والحكم، حيث أصوات المتطرفين لدى بعض الأطراف والإتجاهات تحجب كل موقف عاقل ومعتدل.

ما أحوج الساحة الإسلامية إلى صوت كصوت آية الله السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره المرجع الشيعي واحد أهم رواد الفكر والإصلاح، الذي كان رمزاً للوحدة الوطنية، فكتاباته وموافقة كانت تتم عن حرص شديد على الوحدة بين كل مكونات الشعب العراقي والأمة الإسلامية من دون تفريق على أساس عرقي أو مذهبي.

إذ يقول سماحة السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره: **(يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر، إن الحكم الذي مثله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الأسلام والعدل حمل عليّ السيف للدفاع عنه، اذ حارب جنديا في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر)**(١).

ثم يستطرد السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره في البيان نفسه شارحاً وقوف الشيعة إلى جنب إخوانهم أهل السنة ضد الإستعمار البريطاني آنذاك، والجهاد معا ضد الظلم والجور من دون النظر إلى القيادة من حيث لونها المذهبي، وإستعداد السيد الصدر نفسه لتكرار ذلك من أجل الدين الإسلامي والمبادئ والقيم، حيث يقول (قدس سره): **(كلنا نحارب عن راية الإسلام وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي، وان الحكم السني الذي يحمل راية الإسلام، قد أفتى علماء الشيعة خلال الحرب العالمي الاولى بوجوب الجهاد من أجله وخرج الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصاً من أجل الحفاظ على راية الإسلام ومن أجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على أساس الدين الإسلامي الحنيف)**(٢).

والسيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) بموافقة هذه إنما يسترشد بمواقف جده أمير المؤمنين علي عليه السلام ورؤيته للصحابة الأجلاء حيث يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: **(إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد... ... وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فأن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فان خرج عن**

(١) نداء السيد في الثالث من شعبان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م إلى الشعب العراقي.
(٢) نفس المصدر السابق.

أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فان أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى)[١].

فالسيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ينظر باكبار إلى الصحابة، فهم بنظره أعظم جيل عرفته البشرية حيث انشأه رسول الله محمد ﷺ بنفسه، اذ يقول سماحته:

إن الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيره كانوا أفضل وأوسع بذره لنشيء رسالي، حتى ان تاريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأطهر من الجيل الذي أنشاه الرسول القائد[٢].

وهنا أيضاً يسترشد السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بمواقف أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كما جاء عنه في نهج البلاغة: (**لقد رايتا صحاب محمد فما أرى أحداً يشبهه منكم؟ لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن أعينهم ركب المعزي من طول سجودهم؟ إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلَ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءاً للثواب)[٣].**

فهل يرى منصف وصفاً عظيماً للصحابة الأجلاء بهذه الدقة في علاقاتهم مع الله وتعلقهم بالآخرة وتقواهم وإخلاصهم؟

كما يتحدث أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام عن شوقه إلى من ذهب منهم قائلاً: (**أولئك أخواني الذاهبون فحق علينا أن نظمأ اليهم ونعض الأيدي على فراقهم)[٤].**

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٥٤.
(٢) ندوة حول الخلافة في الإسلام - السيد الشهيد في ٢٥ - ٦ - ١٩٧٧م.
(٣) نهج البلاغة خطبة ٣٤.
(٤) نهج البلاغة خطبة ٢٣.

وقد ورد في نهج البلاغة في مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لأحد الصحابة قائلا: (**لله بلاؤه فلقد قوم الأود وداوى العمد وأقام السنة وخلف الفتنة، ذهب نقي الثواب قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضال ولا يستفين المهتدي**)[١].

ويذكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) علاقة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الأمة فيقول: (**حتى أن التاريخ سجل لنا أن شخصاً أجاب الخليفة عمر حين صعد المنبر قائلاً: لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون، ما كنتم صانعين؟ فقال الشخص: إذن نستتيبك، فان تبت قبلناك، فقال الخليفة عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا أعوججنا اقام أودنا**)[٢].

وكان السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) أن المسلمين جميعاً يتجهون إلى كعبة واحدة ونبي واحد هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ويؤمنون جميعاً بالصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة، وان أكرمهم عند الله أتقاهم.

وأما الاختلافات الفقهية اليسيرة كالتكتف والإسبال لا تفسد في الود قضية فان المذهب المالكي يسبل أيضاً وهكذا أحد العلماء السابقين في ما ادعى انفراد الإمامية بمسائل فقهية معينة ليجد موافقاً لها من أحد مذاهب المسلمين الأخرى ووجد الخلافات بين المذاهب السنية أنفسها كالشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي لا تقل عنها مع الإمامية.

لكن المؤسف والمؤلم حقاً أنه راجت في الحقبة الأخيرة أفكار تدَعي

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٦٤.

(٢) ندوة حول الخلافة في الإسلام - السيد الشهيد في ٢٥-٦-١٩٧٧م - فضائل الصحابة.

الإسلام تكفر الآخر المختلف فكرياً أو مذهبياً حتى ولو كان مسلماً، ونحن على رغم خطورة هذا الفكر التكفيري الذي بدأ يغزوا الساحة الإسلامية من جديد قادماً من الغرب الملحد ليطرح ثقافة غريبة عن مبادئنا وقيمنا الإسلامية السامية والذي عرفته كل البلاد العربية والاسلامية بالتعايش والتسامح والمحبة والإنصهار بين المذاهب الإسلامية إلى درجة التزاوج.

فثقافة التكفير على أساس الفكر خطيرة جداً ولها عواقب وخيمة تنال بنارها جميع الأطراف، وهي إذا تحتاج إلى صوت عال كصوت الإمام علي عليه السلام الذي صرخ بأحد الخوارج قائلاً: (**من علمكم قتل الناس على أرائهم .... ليجيبه الخارجي: أني لا أرى ما تقول ولا أصلي خلفك.... فيقول الإمام عليه السلام: لك كل ذلك .... ثم يزيده الإمام ويعلمه: بل ولك أكثر من ذلك.... ثم يستأنف الإمام بحدود ذلك قائلاً: ولكن بين وبينك ظلم الناس**)[١].

يعني مالم يتجاوز على الآخرين أو يظلمهم فله الحقوق التي يؤمنها الإمام له ويعلمه أكثر مما يعلم ولكن علياً لا يسمح بظلم الناس.

هذا هو معيار عظيم يوصي به أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أولاده سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام فيقول: (**كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً**)[٢].

فالغلوا والتطرف والتكفير ليست من شيم الإسلام والمسلمين، وان ثقافة الحب والإتحاد والسلام خير من ثقافة البغض والتفرقة والعداء، وعلينا الوعي لمبادئ الرسالة المحمدية الإسلامية الحنيفة وأهدافها النبيلة،

(١) نهج البلاغة خطبة ٦٤.
(٢) نهج البلاغة خطبة ٥٥.

حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١] فلم يقل للمسلمين أو المؤمنين أو الموحدين بل العالمين جميعاً.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا...﴾[٣].

أليس من الحكمة إذا أن يتحرك الواعون الحكماء العقلاء لدفن الفتنة، ومنع عمليات القتل على أساس مذهبي أو ديني، وإيقاف حملات التهجير المذهبي؟

إذ لن نستفيد أبناء الدول الإسلامية والعربية من هذه الشناعات والتناحر بين السنة والشيعة أبداً في ما المستفيد الوحيد هم أعداء الإسلام الذين يريدون تدميره وأضعاف وجوده عبر إفراغه من محتواه وكل ذلك في ضمن حلقات أخرى كثيرة خطيرة يفهما الواعي وهدفها الأساس أبناء الدين المحمدي الأصيل.



(١) سورة الأنبياء، الاية: ١٠٧.
(٢) سورة الأنبياء، الاية: ٩٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.




«الإسلام ومفهوم التعايش»

إن مفهوم التعايش في الإسلام أي بين المذاهب الإسلامية نقصد من مفهوم (التعايش) المخالطة والصحبة التي ينتج عنها التآلف والتجانس والتعاون بين من يعيشون في المجتمع الواحد بمختلف مذاهبهم ومشاربهم الثقافية والفكرية، وذلك انطلاقاً من الآية الكريمة التي تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

لذا هنا يروي لنا التاريخ في عهد الرسول الأكرم عاشت جنسيات وعرقيات مختلفة قد استظلت بسقف الإسلام تحت محيط الإخوة، فقد عاش في المجتمع العجمي كسلمان الفارسي (المحمدي) والحبشي الأفريقي مثل بلال مؤذن الرسول، والرومي كصهيب ﵁، عاش هؤلاء الصحابة الأبرار فيما بينهم لم يفرق بينهم عرق ولا لون ولا لغة إلا من كان أقرب إلى الله سبحانه وتعالى في الطاعة والتقوى على قاعدة **(أن أكرمكم عند الله أتقاكم)**.

لقد ورد أحاديث كثيرة عن رسول الرحمة محمد ﷺ، قد رواها علماء المسلمين بالإتفاق والإجماع على صحتها والتي تتضمن هذه الأحاديث أن المسلمين سواء لا فرق بينهم ولا فضل إلا بالتقوى.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

فيفهم من هذه الأحاديث أن المسلمين سواء لا فرق بينهم ولا تمييز إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما يفهم أيضاً أن المسلمين على إختلافهم العقائدي والفكري والثقافي هم ليسوا أوصياء على بعضهم البعض، ولا يمكن لفئة من المسلمين أن تدعي ويكون لها الحق في أن تصبح ممثلة عن الإسلام أو ناطقة رسمية عنه.

وكان الصحابة في عهد الرسول الأكرم ﷺ حينما يختلفون يعودون إلى رسول الرحمة ليحكم بينهم في إختلافاتهم بالعدل لأنه لا مجال للرأي في التشريع ما دام الرسول صاحب الشريعة موجوداً بينهم فيتلقون الحكم منه مباشرة.

وإنما يراد منهم في ضوء إختلافهم العقائدي والفكري في وقتنا الراهن أن يتآلفوا ويلتقوا ويتغاونوا في القضاء على كافة التحديات والمشاكل التي تقلقهم وتوتر العلاقات فيما بينهم، خصوصاً أبناء **(الدين المحمدي الواحد والقرآن الكريم الواحد)**.

تعالوا نلتقي على كلمة سواء: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١].

كما يمكن لعلماء ولأفراد **الدين المحمدي** الواحد أن يلتقوا على طاولة واحدة ضمن حوار مشترك يناقشون فيه الشؤون المشتركة والمختلفة فيما بينهم ولا يدعون مجالاً للإختلاف العقائدي أو الفكري في إن تنشب فيما بينهم حروب وصراعات تؤدي إلى الكراهية والبغضاء، وهذا ما كان يتم تسويته أثناء الإختلاف بين أئمة المذاهب الإسلامية[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه كان ينهي الإمام أبي حنيفة النعمان عن العمل بالقياس ويشدد الإنكار عليه.

فيقول عليه السلام له: بلغني أنك تقيس الدين برأيك، لا تفعل فإن أول من قاس إبليس، فقد حدثني أبي عن جدي، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس.**

قال الله تعالى له: **أسجد لآدم.**

فقال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1].

حوار الإمام الصادق مع أبي حنيفة

ثم قال الإمام الصادق لأبي حنيفة:

أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟.

فأجاب أبو حنيفة: قتل النفس.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة.**

ثم قال الإمام الصادق عليه السلام: **أيهما أعظم الصلاة، أم الصوم؟.**

قال أبو حنيفة: الصلاة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **فمال بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، أتقي الله يا أبا حنيفة ولا تقس الدين برأيك**[2].

ناهيك عن عشرات المناظرات والحوارات التي تجري بين أئمة المذاهب الإسلامية رضي الله عنهم دون تجريح أو نيل من كرامة بعضهم البعض،

---

(١) كتاب الإمام الصادق والمذهب الأربعة، ج١، ص٣١٦.

(٢) كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج١، ص ٣١٧ / الإسلام والتنمية الاجتماعية، ص٧٢.

إنما كانت تحكمهم في حواراتهم أخلاقهم السمحة وعفتهم النبيلة، لأن المجتمع الإسلامي آنذاك بكافة إختلافاته الفكرية والعقائدية يبقى مجتمعاً منفتحاً، والعلاقات والروابط لديه قائمة على أساس السواسية والتآلف والاستفادة من العلوم والمعارف، كما أن الإختلاف يأخذ طريقه للحل بواسطة الحوار المتعقل والمنفتح والمهذب (**لا يفسد في الود قضية**) على قاعدة الاحترام المتبادل لأن الإسلام لا يقيم العلاقات على أساس التعصب الطائفي أو الديني المنغلق.

وبناء على ذلك فان الإسلام يدعوا إلى التآلف نتيجة لإلغاء الحواجز فيما بين المسلمين وترك ما يدعوا إلى العداوة والبغضاء، وهذا ما يذكرنا بالأوس والخزرج حيث كانت الحرب الضروس فيما بينهم، فألف الله بين قلوبهم حينما دخلوا الإسلام فيقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[1].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

ويلاحظ إن الإسلام قد ذم الإنغلاق والتعامل الفظ الذي ينفر الناس ويجلب الكراهية وقد امتدح الجليل جل شأنه الرسول الكريم محمداً ﷺ في القرآن لتعامله الحسن مع المسلمين[3]. فيقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٢ - ٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

لأن التعامل الطيب يترك الأثر الطيب ويجلب الناس إليك ويصبح المرء محط انجذاب للآخرين، وهذا ما كان يتصف به سيد المرسلين في دعوته وتعامله مع أصحابه وأعدائه.

وهذا يتضح جلياً في أحاديثه ونصائحه إلى المسلمين حيث يقول: «**خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويألفون**»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم، وخير المؤمنين من كانت قلوبهم مألفة للمؤمنين ولا خير لا يألف ولا يؤلف**»[٢].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: سمعت حبيبي رسول الله يقول: «**شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم، المعروفون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباغون للناس العيب، أولئك لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم يوم القيامة**»[٣].

وجاء في الحديث الشريف: (**الانقباض من مكسبة للعداوة**)[٤].

وقد أوضح أهل بيت النبوة للمسلمين كيفية التعايش في المجتمعات الإسلامية التي تعيش الإختلاف في العقيدة والفكر.

والمثال الواضح للجميع كيفية تعايش الإمام علي عليه السلام مع الخلفاء مدة خمسة وعشرين سنة على الرغم من غصب حقه في الخلافة وحق السيدة الزهراء عليها السلام أرثها في فدك.

وهو يقول لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، وبقي رافعاً شعار

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ١٢٩.
(٢) آية الله الشيرازي: كتاب فقه الاجتماع، ج١١٠، ص١٦١.
(٣) آية الله الشيرازي: كتاب فقه الاجتماع، ج١١٠، ص١٦٧.
(٤) آية الله الشيرازي: كتاب فقه الاجتماع، ج١١٠، ص١٦٨.

الأخوة والتعايش بين المسلمين كافه، كي لا يذهب ريحنا أكثر ونتفرق أكثر.

عن معاوية بن وهب قال: سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام كيف ينبغي لنا إن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟

فقال الصادق عليه السلام : تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم(١).

وعن عبد الله بن سنان قال: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: **«أوصيكم بتقوى الله ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا، إن الله عز وجل يقول: وقولوا للناس حسناً ثم قال: عودوا مرضاكم، وأحضروا جنائزهم، وأشهدوا لهم وعليهم، وصلوا معهم في مساجدهم حتى لا يكون التميز وتكون المباينة منكم ومنهم»**(٢).

من المؤسف الآن نجد في مجتمعنا الإسلامي مجتمعات إسلامية وهي تتعامل مع من يختلف معهم من المسلمين على أنهم من غير هذه الملة، وهذا المذهب، فلا يردون السلام إذا سلم عليهم، ويهجرون إخوانهم ويعتقدون إن هذا العمل تقرباً إلى الله، رغم نهي الشريعة الإسلامية عن ذلك.

فقد قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: **«أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية فأنهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب»**(٣).

---

(١) كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج١، ص١٣٣.
(٢) آية الله الشيرازي: كتاب فقه الاجتماع، ج١١٠، ص ١٨٨.
(٣) آية الله الشيرازي: كتاب فقه الاجتماع، ج١١٠، ص ١٨٩.

عن الصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله محمد ﷺ في وصية له قال: «**يا أبا ذر إياك وهجران أخيك فان الأعمال لا تقبل مع الهجران، يا أبا ذر أنهاك عن الهجران فان كنت لا بد فاعلاً فلا تهجره ثلاثة أيام كملاً، فمن مات فيها هاجراً لأخيه كانت النار أولى به**»[1].

وصية إلى إخواني في الدين

أخي القارىء الكريم إذا كان هناك من مشاحنات واختلافات بين المذاهب والأخوة الذين جاهدوا مع رسول الله محمد ﷺ ينبغي تسويتها بالطرق السلمية المتمثلة بالحوار والأخلاق الحسنة حتى تترطب الأجواء وتتصالح النفوس وتعود المياه إلى مجاريها وهذا ما يركز عليه القرآن الكريم.

حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

ولا شك أن التآلف يدعو المسلمين إلى التعاون والإحترام المتبادل لأن ذلك نظام أخلاقي يسود المجتمع هم بحاجة إليه، والتعاون بين المذاهب الإسلامية مسؤولية مشتركة دعا إليها الإسلام ليصبح المجتمع فيه كالبنيان المرصوص أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

ولن نستطيع أن نوجد التآلف ونحافظ عليه، إلا إذا حققنا الاهتمام

(١) آية الله الشيرازي: كتاب فقه الاجتماع، ج٣٤، ص ١٤٥.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

وأوجدنا المسؤولية المشتركة، وعملنا على المستوى الديني والإرشاد والتوعية من أجل تنظيف عقول هؤلاء الشباب المتزمتين والمتطرفين من كل المذاهب الإسلامية.

أصبح واضح للقاصي والداني إن هناك فجوات عميقة في فكر الشباب المسلم من الخرافات على حساب الدين الحنيف ومن التزمت والكراهية والبغضاء[١].

أخوتي الأعزاء: علينا العودة إلى نصوص الشريعة الإسلامية الأصيلة، كما يقول رسول الله محمد ﷺ: **«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»**[٢].

وعن رسول الله محمد ﷺ: **«المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على ما سواهم بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم»**[٣].

ومن خلال هذه الأحاديث الشريفة نشعر إن الإسلام قد جعل المسلمين أكثر قرباً والتصاقاً ليتعايشوا ويدافعوا عن بعضهم البعض في أوقات المحن، لان رسالة الإسلام هي أكثر اختصاراً للمسافة والزمن وذلك من خلال ربط المسلم بأخيه المسلم أينما كان وحيثما وجد ويقفز فوق المذهبية والطائفية.

وهنا نجد الكثير من الأحاديث المأثورة عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة تشجع على التآخي والمحبة بين الجماعات والأفراد.

---

(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

(٢) ميزان الحكمة ج٤ ص٥٣٠.

(٣) ميزان الحكمة ج٤ ص٥٣٢.

وهذا قول رسول الله محمد ﷺ: **ان الله لا ينظر إلى وجوهكم ولا إلى أجسادكم ولا إلى ألوانكم إنما ينظر إلى أعمالكم**[١].

وكان رسول الله محمد ﷺ ينبيء عما سيحدث لهذه الأمة بعد قرون من الزمن، فقد قال رسول الله محمد ﷺ يوصي أصحابه: «**يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكمة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال: لا بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، ولنقذفن في قلوبكم الوهن**»[٢].

نصائح للقيمين على الدين

أقول: لن يستعيد المسلمون بكافة مذاهبهم ما كانوا عليه من قوة ورباطة جأش، وإحساس صادق بإسلامهم إلا إذا استعادوا ما فقد منهم من أخوة ووحدة إلا إذا تقرر التالي:

أولاً: التشجيع على احترام القيم والمبادىء العامة في الإسلام تحت ظل الحوار والتعددية وعدم إكراه على أعتناق المبادىء بالقهر والقوة.

ثانياً: اللجوء إلى الحوار بين المذاهب الإسلامية حتى لا تنشط وسائل أخرى ومن شأنها إن توتر العلاقات وتأجج الصراع، وليكن الاختيار الحر الغير مشروط بالسيطرة والإكراء في اعتناق أفكار الغير.

ثالثاً: المسلم أخو المسلم وان أختلف معه في العقائد والأحكام؟.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص ١٢٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٤، ص١٨٩.

فيحرم عليه دمه وماله وعرضه والمساس بكرامته وشرفه.

ويجب عليك المحافظة على حرمته حياً كحرمته ميتاً.

وذلك وفق النصوص المعتبرة في الإسلام[١].



(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.




«الإسلام وحرية التعايش»

أقول: أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل الإسلام رحمة للعالمين وجعل له قيوداً خاصة وهذه القيود لا يمكن إن تحد من حرية الشخص الذي يدخل نظام الإسلام لان الحرية بدون قيود تولد الإستهتار والدمار والخراب وتعم الفوضى والإلتزام بهذه القيود ليس منعاً للحرية بل منع للفوضى ومن هذه القيود عقيدة الإسلام على أساس قاعدة رصينة هي العقيدة فاحترام هذه القاعدة هو خط مرسوم حول كل من يعيش في نظام الإسلام.

أما في بلاد الغرب المسلم لا يمكنه السير على ما يريد منه الكتابي لأنه مسلم حيث التقاليد ألمعروفه، أما في بلاد المسلمين الذين يسيرون على عقيدة الإسلام من تطبيق الأحكام الشرعية حيث لا يمكن لأي مسلم إن يشبع شهواته الجنسية بغير زواج مبني على أساس الأحكام الشرعية التي لا تسمح أيضاً بأن يسرق أو يقتل عمداً من خلال كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾(١).

كذلك من القيود الحقوق ومنها الشخصية والإقتصادية والسياسية وهي من أهم قيود نظام الإسلام ففي نظام الإسلام الحق للمسلمين في إنتخاب الحاكم عن طريق البيعة والفرق بين الانتخاب والبيعة هو إن الإنتخاب معناه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

الموافقة على رئاسة الحاكم وأما البيعة فمعناه إن يبيع الإنسان نفسه إلى الله ويوافق على رئاسة الرئيس مع التعهد له بمعاونته في الحق وبردعه عن الباطل وبالجهاد في سبيل الله.

ومن هنا كان من الضروري وضع هذه القيود التي ذكرناها لكي لا يعم الفساد والإستهتار والخراب والدمار في بلادنا كونها بلاد متعددة الطوائف والأديان(١).



(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.

المبحث الخامس

ولاية الفقيه في منظور الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر

أخذت على عاتقي القيام بشرح ما هو المقصود من كلام الإمام موسى الصدر - حول ولاية الفقيه وإقامة مجتمع صالح - أي نظرية الحكومة الإسلامية والتقنين، وشرحت ما هو الفرق بين القانون الالهي والقانون الوضعي ولكل منهما خصوصياته.

١ - ولاية الحكومة الإسلامية والتقنين.

٢ - ولي الفقيه والتقنين.

٣ - ولي الفقيه وحماية المصالح العامة.

٤ - مكونات الذاتية لحركة الإجتهاد.

٥ - ولي الفقيه والحرية المتاحة.

٦ - ولي الفقيه واجواء البيئة.

٧ - ولي الفقيه والأحكام الثابتة والمتغيرة.

٨ - الإسلام دين عالمي.

٩ - نظرية الحاكم والتعريفات السياسية.

١٠ - سياسة النفس.





«ولاية الحكومة الإسلامية والتقنين»

يقول الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: (إن مسألة الولاية تعني إقامة المجتمع الصالح عن طريق تكوين حكم صالح...

ويضيف: أعتقد أن تكوين المجتمع الصالح يؤدي إلى نمو الإنسان وكماله أكثر من أي عمل آخر[(١)].

أقول: فيجب أولاً أن ندرس هذه المسألة، وهي من الذي يملك حق الولاية في تكوين الحكم الصالح والتقنين، وأي قانون يملك القيمة والأعتبار اللازمين إلى الحد الذي يمكن إلزام المجتمع به، والعقاب على نقضه.

إن كل الأفراد من وجهة نظر الإسلام والعقل، متساوٍ في الخلقة، فلا يملك أي منهم حق المولوية والحاكمية على الآخرين، فليس التمايز العنصري، أو الجنسي أو القومي، أو الجغرافي أو الطبقي أو غير ذلك يشكل مقتضياً لحق الولاية والحكومة على الآخرين.

أن مالك العالم ومن فيه هو مالك الملك الله عزّ وجلّ ، والجميع متساوون أمامه ولا يملك أي منهم حق الحاكمية على الآخر.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

---

(١) الإمام الصدر - مقتطف من محاضرة دينية في مدينة صور - تأسيساً لمجتمع مقاوم.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

ويقول أيضاً: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾[2].

وقد أطلق على سلطة الحاكمية أو القدرة العامة لفظ (الأمر) وهو مظهر للأوامر وأنماط الإلزام وقد استعملت بهذا المعنى في مصطلح (صاحب الأمر): (أن الأمر كله لله).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[3].

وعلى هذا فإن أي قانون من أي جهة صدر ومن أي مقام وضع ليس ملزماً للآخرين ولا يملك صلاحية الإتباع، والقانون الإلهي لوحده يحكم مالكية الله لأي شيء وأي شخص - هو النافذ والواجب إتباعه.

يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾[4].

ويقول أيضاً: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[5].

فإذا منح الله عزّ وجلّ حق الحاكمية لأحد وأعطاه حق التقنين والآمرية بالتبع في إطار الصلاحيات المفوضة إليه فإنه سيمتلك حق الآمر والنهي ووضع القوانيين، وتكون ولايته حينئذ ولاية الله، وأمره الله عصيانه عصيان الله. يقول تبارك وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ٨٠.

والأنبياء في هذا المجال هم المنفذون للأوامر والقوانيين الإلهية ويتمتعون بوجوب الطاعة في إطار الولاية المعطاة لهم. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(١).

فالرسول في حياته حاكم ومشرع، وبعده يمتلك خليفته - الذي نصبه بنفسه لمقام الولاية والخلافة وإمامة الأمة - حق الحاكمية ومع ملاحظة الكتاب والسنة له في ظروف خاصة حق وضع القانون، وتكون طاعته بمقتضى ولايته واجبة. يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢). والأمر هنا أيضاً يستند إلى الحاكمية المطلقة لله.

أما حينما لم يعين شخص بعينه وإنما عين عنوان عام من قبل النبي أو أوصيائه فحينئذ يمتلك الشخص الذي ينطبق عليه العنوان العام مقام الولاية وينتقل إليه حق التقنين بالتبع، ومن اللازم حينما يتعدد أفراد العنوان العام أنم ينتخب فرد أو أفراد من بينهم ليتصدوا لمقام الإمامة.

ونحن نعتقد أن الولاية العامة أعطيت من قِبل الأئمة المعصومين عليهم السلام للفقيه العادل الجامع لشرائط الحاكمية.

يقول الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: (فالولاية التي يعتبرها الشيعة مسألة أساسية ليست تاريخية بل مسألة كل مجتمع وكل زمان)(٣).

أقول: هنا نختلف عن أخواننا أهل السنة في أمرين:

أولهما: الإمامة والولاية الخاصة للأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) الإمام الصدر: كتاب تأسيساً لمجتمع مقاوم، ص٥٣.

والثاني: الولاية العامة للفقهاء الواجدين للشرائط في عصر الغيبة.

وبالنسبة للأمر الثاني فإن هناك جمعاً من علماء الشيعة لم يقبلوا مبدأ ولاية الفقيه فيكون إختلافهم مع أخواننا أهل السنة منحصراً في مسألة الولاية الخاصة.

أما إذا لم يكن فقيه جامع للشرائط فإن الجميع يقفون أمام السؤال التالي: ما هو إذن مصير الحكم وإدارة الشؤون السياسية للأمة؟

وهل للإسلام رأي معين أو أنه ترك الناس لأنفسهم؟

وحينئذ فإن الدين الذي رسم صغير الأمور وعظيمها أهمل التعرض لمسألة تمتلك هذا الحد من الأهمية بحيث ترتبط بها حياة المجتمع الاسلامي.

إن هذا السؤال يطرح نفسه أمام أهل السنة بالنسبة لمرحلة ما بعد رسول الله ﷺ، وأمام أهل التشيع بالنسبة لمرحلة غيبة المعصوم إذا كانوا يؤمنون بولاية الفقيه، ولكن إذا لم يتوفر الفقيه الجامع للشروط، فما هو الموقف والحال هذه؟

ولكي تتم الإجابة على هذا التساؤل يحتاج الأمر لذكره مقدمة مختصرة لازمة: من المسلم به أن أي مجتمع لا يستطيع أن يعيش دون حكومة وقانون ونظام[١].

وإذا دامت حياته فإنه لن يكون المجتمع الإنساني القادر على تأمين أهداف الخلقة قطعاً وأن حفظ النظام من أهم الواجبات التي أكدت عليها كل الأديان السماوية، ففي مجتمع لا حكومة فيه ولا نظام لا يستطيع أي

---

(١) هذه سنة الله في خلقه - حتى في عالم الحيوان يوجد عندهم نظام وقانون اسمه شريعة الغاب - يعرف كل نوع من أنواع الحيوان مهمته في هذا المجتمع بحيث لا يقترب ولا يعيش في مكان ليس له ويوجد عندهم قائد وآمر ومأمور وجماعة تدير شؤون المملكة - كما هو في ملكة النحل أيضاً.

نبي أن يهدي الناس ولن تكون هناك أية أرضية مناسبة لعبادة الله وتطبيق أوامره.

يقول تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١].

إن لزوم وجود الحكومة في المجتمع من البديهيات العقلية والشرعية.

يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: **«وأنه لا بد للناس من أمير براً أو فاجر»**[٢].

وإذا كان هناك بحث أو إختلاف فإنه في شكل الحكم وكيفيته وخصوصياته.

وهنا نصل إلى موضوع السؤال وهو: من هو ولي الأمر عند غيبة ولي الأمر المنصوص عليه؟

وفي مجال شخص الحاكم المستفاد من مجموع الأدلة العقلية والنقلية أن الحاكم على الناس على الترتيب هو:

النبي، الوصي المنصوص عليه، الفقيه العادل، المؤمن العادل، إذاً توفره الشرائط اللازمة وبعد تعيين الفرد والتصدي الرسمي لمقام القيادة يمتلك هؤلاء الولاية وتكون طاعتهم في غير المعصية الالهية لازمة فهم يمتلكون حق التقنين لتأمين أهداف الحكومة أي تأمين الحاجات المادية، والدفاع ضد العدو، وبسط الأمن، وإجراء العدالة، وإحقاق حقوق الضعفاء وغير ذلك.

وهنا يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: **«وأنه لا بد للناس من أمير براً كان أو فاجراً يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله**

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي»[١].

ومن حديث آخر للإمام علي عليه السلام يقول: «الواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين.. أن لا يعملوا عملاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة، يجبي فيئهم ويقيم فيهم صلاة وجمعتهم ويجبي صدقاتهم»[٢].

وهنا كلام آخر للإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: «ذلك أن ولاية والي العدل وولاته إحياء كل حق وكل عدل وإمامة كل ظلم وجور وفساد، فلذلك كان الساعي في تقوية سلطانه والمعين له على ولايته ساعياً في طاعة الله مقوياً لدينه»[٣].

وهنا كلام آخر للامام الصادق عليه السلام: «إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام»[٤].

ملاحظة: من الضروري هنا أن ننبه إلى أن قبول ولاية غير المعصوم يعد تنازلاً في قبول الضرورة. ذلك أن المعصوم لوحده يستطيع أن يتحمل مسألة الحكومة على الناس باعتباره خليفة الله حيث يكون حكمه حكم الله دونما أخذ ورد. ولكن عند فقده وعدم إمكان فسح المجال للفوضى يعود من اللازم أن يختار حاكم طبق الشروط المذكورة، وكلما قل من تنطبق عليه الشروط لزم التنازل قهراً ومن الطبيعي أن كيفية إنتخاب الحاكم لها بحث مفصل لا يمكن طرحه هنا.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) أصول الكافي - ج١ - ص٢٣٣ - نهج البلاغة.
(٤) أصول الكافي - ج٢ - ص١٤٤.

وعليه فبعد قبول ضرورة وجود الحاكم في المجتمع الإسلامي دائماً وفي أي مكان وقبول أن يكون له حق التقنين: يصل الدور إلى بعض المحاور المذكورة في موضع البحث.






«ولي الفقيه والتقنين»

أ - كيف يتم التقنين: والمراد به أنه مع وجود الأحكام والمقررات الشرعية كيف يمكن وضع القانون؟

ب - دور الاجتهاد في عملية التقنين.

مع ملاحظة أن القانون في المجتمع الإسلامي يجب أن يتم مع مراعاة الموازين الإسلامية، ومتى ما أحرز الحكم الإلهي من الكتاب أو السنة فلا مجال لأي قانون آخر بديل.. ويعتبر بحسب النص القرآني أي إبداء نظر في هذا المجال بحكم الكفر.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

فلا يمكن أن تتنافى القوانيين مطلقاً مع أحكام الشرع المقدس أو تستلزم نفيها، وطبيعي أن المراد هو أحكام الله الثابتة لا الأحكام المتغيرة.

وعليه فلا مجال في التعبديات كجميع العبادات، والأحوال الشخصية، الولادة والنسب، والنكاح، والطلاق، والأرث والوصية، والموت وبعض من الأحكام الأجرامية كالحدود والديات والقصاص لجعل القانون.

أما في غير هذه الموارد حيث لا نجد للشريعة قانوناً خاصاً أو نجد حكم الشرع يبتني على أساس من العرف والعادات والمصالح الاجتماعية

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

الخاصة من مثل أحكام المعاملات، أو نجد الشرع يترك الحكم بيد الآخرين، كما في التعزيزات أو الأمور التي ترتبط بشؤون الحكم والقرارات الإدارية، والتوظيفية والعلاقات الخارجية مع الدول، والقوانين الحدودية وأمثالها.






«ولي الفقيه وحماية المصالح العامة»

فإن المجال مفتوح للمقنن حيث يستطيع مع مراعاة الأصول والقواعد والمقررات العامة والأهداف الإسلامية الأساسية والمصالح العامة أن يضع القوانين.

وبتعبير آخر فإن المقررات الإسلامية الثابتة، مثل: وجوب حفظ المال، والنفس، والعرض، والدين، والعقل، والعدل والانصاف واحترام الملكية، ووجوب إتباع الخير واجتناب الشر، وحماية المظلوم ودفع الفتن والفساد، وحرمة أكل المال بالباطل، وحرمة الخبائث، وحلية الطيبات، ووجوب الوفاء بالعهد والميثاق، ونفي العسر والحرج، والضرر والضرار، ولزوم تحقيق التكافل الإجتماعي.

وهنا يتوضح دور الإجتهاد في عملية التقنين، ذلك - وكما أشرنا إليه من قبل - أن الإسلام له أحكام ثابتة لا تؤثر فيها تقادم الأزمان وتغير الظروف الحياتية وإختلاف الآفاق والثقافات، ولا يجوز تجاوزها اللهم إلا في بعض المواد الإستثنائية في حدود الضرورات.

ومن قبيل تلك الأحكام حرمة الربا، والخمر، والقمار والموارد الأخرى التي أشرنا إليها من قبل، وفي مثل هذه الموارد لا يعني التقنين سوى المعارضة لله تعالى.

وفي قبال هذه الأحكام، توجد أحكام متغيرة لها صورها المختلفة

باختلاف الظروف، مما يعبر عن مرونة إسلامية هي سر خلود الدين الإسلامي الحنيف وإمكان بقائه إلى يوم القيامة وقابليته على الانسجام مع الأوضاع والأحوال المتنوعة.






«مكونات الذاتية لحركة الاجتهاد»

بعد وضوح دور الإجتهاد في عملية التقنين يبقى مسألة كشف الستار عن المكونات الذاتية لحركة الإجتهاد المطلوب والدخول لعالمه في ذلك الباب يتم من جهتين:

الأول: في بيان الشرائط المعتبرة في الإجتهاد.

الثاني: التطور الشامل لموضوعية انطباق الحكم على الموضوعات الخارجية..

الجهة الأولى: فإن الشرائط المعتبرة في القاضي - أي الحاكم الشرعي - هي بذاتها معتبرة في شخصية العالم المجتهد سواء كان متجزياً أو مطلقاً منتهى الأمر في المجتهد المطلق يعتبر شرط الأعلمية مضافاً للشروط الأخرى التي يجب توفرها.

علوم الإجتهاد

نشير هنا أن الإجتهاد متوقف على أمور عديدة:

الأول: العلم بالقواعد والعلوم العربية

منها: (النحو والصرف والمعاني) يجب المعرفة الشمولية لقواعد اللغة

العربية كالقراءة والكتابة والمحادثة وما يكون بحاجة إليه عند التصدي لعملية الإجتهاد. . .

✍ ✍

الثاني: معرفة علم الأصول

وهذا من أهم ما يعتبر تحصيله في عملية الإجتهاد ولا بد من معرفة كيفية الإستدلال على الحكم الشرعي وتمييز ذلك عن القواعد الفقهية.

فإن القاعدة الفقهية غير المسألة الأصولية في مقام إستنباط الأحكام الشرعية.

✍ ✍

الثالث: علم الرجال - الجرح والتعديل

العلم بالرجال الراوين للأحاديث الشريفة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فلا بد للمجتهد من مهارة ذوقية في عبارة أهل الفن ويفهم ما هي العبارة التي تفيد التوثيق وعدم التوثيق.

✍ ✍

الرابع: العلم بفن الدراية للروايات

العلم بفن الدراية للروايات وكيفية طرق تحمل الرواية وغير ذلك من فنون علم الدراية للنصوص العلمية.

✍ ✍

الخامس: الأنس بالحوارات العرفية

الأنس بالحوارات العرفية وفي المكالمات التي تصدر منهم وهذا من أهم الأمور بالنسبة للمجتهد بل الغاية من وراء الإجتهاد هو تفهيم وتعليم

العرف للأحكام الشرعية ومعرفة الحوارات العرفية خير طريق للوصول إلى ذلك...

✍ ✍

السادس: معرفة أبواب الأحكام

معرفة أبواب الأحكام الشرعية التي ذكرها القرآن الكريم وهي عبارة عن أكثر من خمسمائة آية قرآنية مباركة تعرضت لجملة متنوعة من الأحكام الشرعية...

والأنس والتمعن بكلام أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام وكيفية محاورتهم مع أصحابهم.

وأيضاً توفر الخبرة والقدرة على الفحص في أقوال العامة والخاصة والقدرة على تشخيص المشهور وتشخيص المخالف والموافق للعامة، والمارسة على التمرين والاستنباط وغير ذلك من الشرائط الأساسية الكبرى والمهمة[1].



(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس العاملي.




«ولي الفقيه والحرية المتاحة»

يأتي دور ولي الفقيه العادل الجامع للشرائط، وهناك موارد فسح الإسلام فيها المجال للمقننين وأعطاهم القدرة على وضع القانون فيها مع رعاية مصالح المجتمع، أو رسم لهم قواعد عامة تهديهم في عملية التقنين.

يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: **«أن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها»**[1].

ويرينا بوضوح أن هناك مناطق تركها الإسلام عامداً حرة ليتخذ الحكام القرار فيها، وفي مثل هذه الموارد قد تقتضي مصلحة الزمان والخصوصيات الموجودة، الحرية المطلقة، وربما اقتضت المنع المطلق، وفي حالة ثالثة قد تقتضي بعض التحديدات الخاصة.

وأن ترك التعزير وهو يشمل مساحة واسعة في مجال العقوبات الإسلامية للحاكم (أي ولي الفقيه) ومنحه الحق ليتخذ فيها الموقف - كماً ونوعاً - من أنواعه الكثيرة جداً وهي تتعلق - قهراً - باختلاف الثقافات، يشكل نموذجاً آخر من صلاحيات المقنن في الحكومة الإسلامية.

وقاعدتا (لا حرج) و(ولا ضرار) من جملة المستندات المهمة لمبدأ

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٠٥.

التغيير، وأن الكثير من أحكام الخيارات المذكورة في الفقه تقوم على أساس (لا ضرر) وكذلك مسائل الاضطرار والأحكام الثانوية.

القواعد الاساسية

يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه: المشقة موجبة لليسر[١] لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٣].

وقول رسول الله ﷺ: **«بعثت بالحنفية السمحة»**[٤].

وقوله أيضاً: **«لا ضرر ولا ضرار»**[٥].

وهذه القاعدة يعود إليها جميع رخص الشرع.

ومن الواضح أن هذه الموارد لا تتنافى مع عبارة: **(حلال محمد حلالاً أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة)**.

ويقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: **«ما أبدع أحد بدعة إلا ترك بها سنة»**[٦].

وهذه المقولة جاءت في مقام نفي البدع لا إثبات أن كل أحكام الإسلام ثابتة لا تقبل التغيير.

---

(١) السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه: شرح العروى الوثقى.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٤) الوافي، ج١، ص٦٦.
(٥) الوافي، ج١، ص٣٣.
(٦) الوافي، ١، ٥٩، ٦٠.




«ولي الفقيه وأجواء البيئة»

لا يمكن أن ننكر الدور الذي يلعبه وضع البيئة، وروحيات الفقيه، وحوادث الزمن من قبيل الحرب والسلم والمجاعة والرفاه، وعدل الحكومات وجورها وأنماط التربية العائلية، والأساتذة والمربين، والموفقية وعدمها في المسيرة الحياتية، وعشرات النماذج الأخرى في إستنباط الأحكام، مثلاً: الفقيه الذي يعيش في مناخ صحراء الحجاز أو النجف القاحلة لا يتساوى موقفه مع الفقيه الذي يعيش في جنوب لبنان الأخضر في مسائل الطهارة والنجاسة، كما لا يتساوى تفسير ظاهرة الإسراف لدى الفقيه المبتلى بالمجاعة مع ذلك الذي يعيش الرفاه، هذان النوعين المختلفين من المعيشة والأجواء لا يتفق نظرهما في فهم معنى الاستطاعة للحج.

وهكذا يختلف نظر الفقيه الذي يعيش عصر الأسرة البرجوازية عن نظر الآخر الذي يعيش عصر الثورة، وذلك حول مسائل الاجتهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وهذا هو الأمر الذي لم يركز عليه مع الأسف إذا لو تم التركيز على هذه الحقيقة لأمكن للفقهاء بشكل أكثر سهولة إعادة النظر في الكثير من الفتاوى ولمنحوا لأنفسهم الحق في التشكيك بصحة الفهم الفقهي السابق.

وعلى أي حال فان أحد علل ضرورة الإجتهاد الحي في كل زمن هو

هذه الحقيقة حيث أن من الممكن أت تتغير الإستنباطات بتغير الظروف، ويفهم الفقيه اليوم من نفس تلك المصادر ما لا يتفق مع ما يفهمه الفقيه بالأمس، وهذا يؤدي حتماً إلى التحرك الفقهي الأكثر والقدرة على سد حاجات العصر. . ومن الواضح أن حقيقة تأثير الظروف في الاستنباطات لا تقف مطلقاً في وجه حجية فتوة الفقيه، وإلا لم تكن أية فتوى صادرة أمراً معتبراً وإنما الأثر الوحيد للإلتفات لهذه النكتة هو الاحساس بضرورة الدراسة الحية للمسائل في كل عصر وامتلاك شجاعة إعادة النظر في آراء الآخرين.






«ولي الفقيه والأحكام الثابتة والمتغيرة»

إن دور الإجتهاد في عملية التقنين هو أن يشخص الثابتة من الأحكام المتغيرة.

وليس هذا أمر سهل إذ هناك موارد متشابهة، ويجب عليه في مجال غير الضروريات الفقهية أو غير الضروريات الإسلامية، التدقيق والتحقيق في الفتاوى الماضية وملاحظة ما للخصائص المعينة للزمان من تأثير خاص.

وذلك لكي يستنبط الحاكم الشرعي من المصادر الأولى ويرى مدى التطابق أو عدمه بين القانون والموازين الإسلامية.

وفي ختام هذا البحث أرى من الضروري التذكير ببعض النقاط:

١ - يرى البعض أن عملية التقنين تختص بالله تبارك وتعالى ولا يمكن أن يقوم بها حتى الأنبياء سلام الله عليهم، ولا يملكون مثل هذا الحق مع تصور أنه الباري عزّ وجلّ منحهم ذلك، واعتبروا كل سنن الأنبياء خطوات على طريق إجراء القوانين الإلهية. .

وهذه النظرية يمكن الإذعان لها بكل سهولة وإدعاء أن سنن الأنبياء وبالتالي كل القوانيين الموضوعة من قبل أولي الأمر هي من قبيل النظم الداخلية والمقررات الاجرائية، ولكن تشبيه السنن بالقوانين العادية وتشبيه قانون الوحي بالقانون بالدستور يمتلك قبولاً أكثر وإن كان الأمر في بعض الموارد يمتلك شكل النظام الداخلي.

٢ - إن صلاحيات الأئمة المعصومين عليهم السلام في وضع القانون أكثر محدودية من صلاحيات النبي صلى الله عليه وآله، إذا عليهم أن يطبقوا سنة النبي الأكرم ومتى كان هناك نص فإنهم لا يجيزون لأنفسهم الاجتهاد في قبال النص، ويرون أن مخالفة الحديث والسنة دليل على.

٣ - ولا يخفى الفرق الواضح بين فتوى المجتهد والقانون، فإن الفتوى تتم نتيجة عملية إستنباط فقهي يعتمد على التحقيق في المصادر الفقهية أي الكتاب والسنة والعقل والإجتماع (الذي يرجع بدوره إلى السنة) وملاحظة الأدلة ومحصلتها حيث يعلن ولي الفقيه في نهاية مسيرته التحقيقية أن حكم الشريعة في المسألة الفلانية ما هو؟

سواء كان في العبادات أو في المسائل السياسية أو العسكرية أو الإقتصادية أو الأحوال الشخصية أو غير ذلك، ومن الطبيعي أنه من الممكن أن تعلن الحكومة هذه الفتوى بشكل قانون.

أما القانون فيتم وفق الإحساس بضرورة العصر وتشخيص مصالح الأمة وأحياناً وفق الضرورات مع رعاية الكليات الإسلامية - في البيئة الإسلامية - من قبل الحكام والمراجع السياسية الصالحة ويكتسب اعتباره من قدرة الحكام ومن الطبيعي أن الحكومة الإسلامية يكون اعتبار قدرة الحكام مستمداً من الله.

وبتعبير آخر فإن الفتوى تمتلك حالة الأخبار عن حكم الله عز وجل، في حين يمتلك القانون جانب الانشاء فقط.

٤ - الحكومة وإختلاف الفتوى: يجب أن يسود قانون واحد في الحكومة الإسلامية - أو أي حكومة أخرى - على الجميع، أما تصور وجود قوانين مختلفة بأي شكل وعنوان فهو يعني إضمحلال الجهاز الحكومي وتلاشيه والعودة إلى حكومة الإقطاعيات المتناثرة.

وفي مجال الاختلاف في الفتاوى نجد أن لا مشكلة في تلك الفتاوى التي ترتبط بالوظائف الفردية إلا أنه في الأمور العامة التي يجب أن يحكم فيها القانون - عادة - ويتساوى كل المواطنين في مجال طاعة القانون إذا افترضنا أن كل مجموعة لها العمل بإحدى الفتاوى فإن ذلك يعني كما قلنا إضمحلال الجهاز وإنفلات الزمام من يد الحكومة فلا يعرف المسؤولين التنفيذيون كيف يعملون.

ولا سبيل معقول هنا إلا أن تختار الحكومة - أي المقنن - إحدى هذه الفتاوى التي تمتلك قوة ورصانة فقهية أكبر وتنسجم بشكل أكثر مع مصالح المجتمع وتعممها بشكل قانون وعلى الآخرين إتباع ذلك بحكم وجوب إطاعة ولي الأمر وضرورة حفظ النظام.

ولأنه لا يشترط في القانون الآنف الذكر إلا عدم المخالفة للموازين الإسلامية - من حيث المقررات الإسلامية - فتطابقه مع فتوى معتبرة غير نادرة يكفي لتأمين هذا الهدف وسوف لا يواجه والحال هذه أي إشكال شرعي بالطبع.

من حيث الفتوى يؤكد آية الله العظمى السيد إسماعيل الصدر رضوان الله عليه في تعليقاته على كتاب التشريع الجنائي في الإسلام على هذا الأمر بصراحة.

ويضيف مؤكداً على هذه النقطة وهي: **أن لزوم التفرقة في العمل بمثل هذه الفتاوى غير مقبول لأي أحد**[1].

٥ - المواطنة: من مسائل العلاقات الدولية الخاصة وقد أدرجت عادة في الدساتير أو القوانين المدنية للأقطار، وملاك المواطنة عادة هو التراب

(١) للتوسع راجع تعليقات آية الله السيد اسماعيل الصدر - كتاب التشريع الجنائي، ص١٨٨.

أو الدم أي البلد الذي يولد فيه الإنسان أو أبوه وأمه، والمواطنة بهذا المعنى من المسائل التي قبلتها الحكومات لامتلاك السيطرة على البلاد والحدود وتحديد العلاقات بين الدول.

أما في الإسلام فلا أثر للمواطنة بهذا المعنى (وان كنا نقلها نزولاً عند المصلحة والضرورة وتعتبر هذه من المواد التي يستطيع المقنن في الحكومة الإسلامية - مع رعاية الاصول الإسلامية ومصالح الأمة - أن يضع لها بعض الضوابط والمقررات ويكون اتباع تلك المقررات بحكم وجوب اطاعة أولي الأمر وجوباً).






«الإسلام دين عالمي»

أن الإسلام دين عالمي لا يختص بشعب أو عنصر أو منطقة أو قوم، والارض أرض الله جميعاً، والناس جميعاً عباد الله، وقوانين الإسلام يجب أن تطبق بشكل متساو في جميع الاماكن، وهو تخاطب كل البشر سواء كانوا مسلمين أم لا، وسواء كانوا في بلاد الإسلام أم خارجها، وإن كان اجراء أحكام الإسلام إنما يمكن أن يتم بصورة عملية بالنسبة للمسلمين في المجال الذي تحكمه الحكومة الإسلامة.

أما الذي يطرح في المنطق الإسلامي فهو مسألة دار الإسلام ودار الكفر وبشكل أخص دار الحرب.

أما في الإسلام هو المنطقة التي تسيطر عليها الحكومة الإسلامية ويستطيع المسلمون أو يؤدوا فيها شعائر الإسلام بكل حرية.

أما دار الكفر فهي المنطقة التي تقع تحت سيطرة الكفار فلا يمتلك المسلمون حرية في القيام بالوظائف الإسلامية وتطبيق أحكام الإسلام فإذا كانت هذه المنطقة قد دخلت نزاعاً مع المسلمين سميت دار الحرب، وإذا كانت قد عقدت معاهدة معهم فهي دار الأمان.

ولدار الإسلام نفسها أحكام من قبيل أن الأفراد المشكوكين يعدون بحكم المسلمين وان ذبيحة هؤلاء حلال وغير ذلك بخلاف دار الكفر حيث يحكم على المشكوك حالهم بحكم الكفر وتكون ذبائحهم محرمة وللمزيد (يمكن مراجعة كتب الفقه لمعرفة التفاصيل).

إن المسلم أينما كان من الأرض يعد من مواطني الإسلام وله الحقوق وعليه كل الواجبات التي تعتبر بالنسبة للمسلمين سواء كان في قلب أمركا أو لبنان أو أي مكان آخر، وطبيعي أنه لو كان في دار الكفر ولم يستطع أداء الواجبات والتعزيزات بين المجرم المقيم في دار الإسلام ودار الكفر، فغير المسلم أينما كان لا يتمتع بمزايا المسلمين - وان كان مكلفاً بالتكليف الإسلامي بحكم عموم الاحكام الإسلامية.

ويعتبر الكافر - مطلقاً - أجنبياً سواء كان في الاقطار الإسلامية أو غيرها، فإن كان ذمياً وراعى شرائط الذمة تمتع بمزاياها.

فكان ماله ونفسه وعرضه محترماً وملك الحريات المنصوص عليها في الفقه قبال التزامات المقررة عليه، وهو في حماية الحكومة الإسلامية، فإذا لم يقبل شرائط الذمة أو تخلف عنها عد محارباً وإذا كان مستأمناً أي كان حربياً أمنته الحكومة الإسلامية - وهذا الأمان عادة ما يكون مؤقتاً، هذا الأمان استخدمه الإمام علي في حروبه[1] - فهو في أمان المسلمين وليس لأحد حق التعرض له.

فإذا كان معادياً للمسلمين وليس بينه وبينهم عهد وميثاق فإن ماله ونفسه مهدوران ولا حرمة له مطلقاً.

ووفقاً لما يقتضيه التحقيق فإن الحدود والتعزيزات الإسلامية حول المجرمين غير المسلمين تشابه الحال حول المسلمين أنفسهم اللهم إلا بالنسبة لأهل الذمة بالنسبة للجرائم التي يبيحها شرعهم.

والنتيجة هي: أن المواطنة في الإسلام قائمة على أساس العقيدة ولا

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد.

حدود لها سوى العقيدة، فكل شخص يستطيع وفق عقيدته وبشكل مستقل أن ينتخب مواطنته وتابعيته حتى الزوجة لا تتبع زوجها وبالعكس.

نعم الأولاد قبل البلوغ يتبعون الآباء والأمهات إن كان الأب والأم كافرين عد الطفل كافراً وأن كان أحدهما مسلماً اعتبر الطفل مسلماً[١].



(١) المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي - أخذت على عاتقي القيام بشرح ما هو المقصود من كلام الإمام موسى الصدر - حول ولاية الفقيه واقامة مجتمع صالح - أي نظرية الحكومة الإسلامية والتقنين، وشرحت ما هو الفرق بين القانون الالهي والقانون الوضعي ولكل منهما خصوصياته. والله من وراء القصد..




«نظرية الحاكم والتعريفات السياسية»

ربط الإمام علي عليه السلام السياسة بالحكم «**الملك سياسة**»... ثم فصل مقومات السياسة تحت عنوان: «**حسّن السياسة**» وشرط لبقاء الرياسة ونجاحها، غزارة العقل، وحسّن التدبير، وسياسة النفس، والعدل بالرعية، والصبر على متاعب السياسة، واحتمال مؤونة الناس، وتجنب التبذير، واستعمال الرفق بالشعب...

فهذا الحّكم أشبه بعناوين لفصول تشريعية، ترسم السياسة الفاضلة والأخلاقية..

«حسّن السياسة» عنوان لمجموعة حّكم تشرح رأي الإمام علي عليه السلام في هذه القضية التي شغلت الناس على مختلف مشاربهم.

قال الإمام علي عليه السلام [(١)]:

١ - فضيلة الرياسة، حسّن السياسة.

٢ - من حسنت سياسته، دامت رياسته.

٣ - حسّن السياسة، يستديم الرياسة.

٤ - حسّن السياسة، قوام الرعية.

مفردات هذا الحكم الأربع، هي أربع: «الفضيلة، والحسن، والسياسة والرياسة».

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣٣.

جاءت الرياسة منسوبة للفضيلة، والسياسة منسوبة للحسن، الرياسة الفاضلة، تلتزم الرئيس الفاضل، الذي ينهج السياسة الحسنة، وفيها قوام الرعية، أي فرحها وسعادتها..

أقام الإمام علي عليه السلام تواصلاً بين هذه المفردات التي حولها إلى عناوين لنظرية الحكم.

الرياسة بلا فضل لا تدوم.

والسياسة بلا حسن تسقط.

والحسن هو الجمال المطلق أي جمال الباطن والظاهر، النية والعمل.

والجمال لا ينتج الشر، ولا يفارق الخير.

هذه الأقوال كانت منطلقاً لتعريفات كثيرة متأخرة.

إستلهمها علماء السياسة، وشاعة في الدراسات السياسية والحقوقية والعسكرية على مدى الزمان.

«مثل قولهم السياسة علم الرياسة».






«سياسة النفس»

إن سياسة النفس عند أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام هي منطلق لنجاح الحاكم.

وهي من واجبات من ينهض لقيادة الأمة، فيدرك بها مقومات السياسة العادلة، فتسقط حجج الرعية في المعارضة، وتثبت حجة الحاكم بعدالته وكفاءته على شعبه.

وهنا قال الإمام علي عليه السلام [(١)]:

١ - سياسة النفس أفضل سياسة، ورياسة العلم أشرف رياسة.

٢ - من ساس نفسه أدرك السياسة.

٣ - من حق الملك أن يسوس نفسه قبل رعيته.

٤ - أعقل الملوك من ساس نفسه للرعية بما يسقط منها حجتها وساس الرعية بما تثبت به حجته عليها.

تجاوز الإمام علي عليه السلام حدود الجمهوريات الفاضلة، وأقوال الحكماء، معتمداً رؤية العصمة، وتعاليم الإسلام.

ندخل مع الإمام علي عليه السلام إلى أجواء الحكمة **«أعقل الملوك»** لنجد أن الملك العاقل هو من يربي نفسه على الحق والخير، فلا يترك للرعية

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٣٣.

حجة عليه، ويسوس الرعية بالمساواة فيلقي حجته عليها. .

لماذا لا يسوس الحاكم نفسه سياسة صالحة، حكيمة، فتكون حجته الأقوى على رعيته، ويسقط حجتها عليه؟.



المبحث السادس

عاشوراء في فكر الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر

١ - كل أرض كربلاء.

٢ - كربلاء حلقة مميزة في تاريخ الإنسان.

٣ - عاشوراء فرصة إصلاح النفس.

٤ - ملحمة الإله الكبرى في كربلاء.

٥ - الحسين مصباح الهدى.

٦ - رحلة الشهادة.

٧ - الدور الزينبي.

٨ - أهداف النهضة الحسينية.

٩ - ثقافة عاشوراء.

١٠ - جهاد النفس.

قال الإمام موسى الصدر: «سلوكنا الحسيني يفرض علينا الدفاع عن أرضنا وحمل مسؤلية شعبنا».

«إن البكاء على الحسين إحياء لثورة عاشوراء، وإحياء لمفهوم أن فئة قليلة تقف بوجه إمبراطور كبير، إنهم يخشون هذا البكاء، لأن البكاء على المظلوم صرخة بوجه الظالم».

«الشعب الذي سعادته في الشهادة شعب منتصر، ونحن منتصرون سواء قتلنا أم قُتلنا».





«كل أرض كربلاء»

خطبة للإمام موسى الصدر في مناسبة عاشوراء عام ١٩٧٢م

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك منا سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا لزيارتك.. السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين وبعد..

نقرأ في الزيارة المأثورة في هذا اليوم والتي سنتلوها في نهاية الإجتماع مجددين البيعة والولاء، نقرأ في هذه الزيارة الفقرات التالية:

السلام عليك يا وآرث آدم صفوة الله.

السلام عليك يا وآرث نوح نبي الله.

السلام عليك يا وآرث موسى كليم الله.

السلام عليك يا وآرث عيسى روح الله.

السلام عليك يا وآرث محمد حبيب الله.

إن الغاية من هذه الزيارة إعطاء صفة الحركة لعاشوراء وإخراج الذكرى من عزلتها وانفصالها وبعدها عن الماضي والمستقبل، لأن الخطر، كل الخطر، ان تصبح ذكريات عاشوراء ذكريات فحسب، وأن تصبح معركة كربلاء للكتب والسير فقط، أو ان تصبح ذكريات عاشوراء للأجر والثواب في الأخرة.

يخشى ان تتجمد هذه المناسبة في ظرفها الزمني...

يخشى ان يبقى مقتل الحسين العزيز وأصحابه في سنة ٦١هـ:

كان هناك حسين وانتهى..

لكي لا يبقى هذا العزم والحقد والتجميد ولكي لا يذهب دم الإمام الحسين هدراً وردت بعض الفقرات في الزيارة لكي تربط بين مقتل الحسين وبين الصراع الدائم والمستمر بين الحق والباطل منذ بداية الحركة للإصلاح والجهاد لدى الإنسان وإلى ان يعيش الإنسان حريته وكرامته ويتخلص من الظلم والظالمين.

أعداء الإمام الحسين هم ثلاثة

العدو الأول: أولئك الذين قتلوا الحسين وأصحابه.. هؤلاء ظالمون، ولكن تأثير ظلمهم قليل، لأنهم قتلوا الجسد وحطموا الأجساد وحرقوا الخيام ونهبوها وسلبوا النساء والأطفال، انهم قضوا على عناصر محدودة، ولو لم يمت الإمام الحسين عليه السلام في سنة ٦١هـ لمات في ٧٠هـ أو غيرها.

ما هي الخطورة الكبرى والمكاسب التي حققوها من قتلهم للحسين؟

بالعكس حولوا الموت إلى الخالد والدائم.

أذن، العدو الأول، الظالم الأول، الطاغية الأول خطره محدود.

العدو الثاني: أولئك الذين حاولوا إزالة آثار الحسين، فهدموا ضريحه وأحرقوا الأرض التي دفن فيها وسلطوا الماء على المقام الشريف كما عمل بنو العباس.

أولئك الذين منعوا مآتم الإمام الحسين كما كان في زمن السلطة العثمانية، عشتموها وعاشها آباؤكم، تلك الظروف التي كانت مظلمة عندما

كانوا يقيمون المآتم في البيوت ويجعلون مراقبين في مداخل الأحياء لكي يبلغوا عن وصول زبانية بني العباس حتى يفرقوا جمعهم، أولئك الذين منعوا زيارة الحسين في الداخل والخارج، وخلقوا صعوبات وصعوبات لكل من يريد أن يزور الإمام الحسين عليه السلام.

هؤلاء الصنف الثاني من الأعداء، أولئك الذين حاولوا منع أثر الحسين، أسم الحسين، ذكر الحسين، قبر الحسين، المآتم الحسينية وأمثال ذلك.

هذا الصنف أخطر من الصنف الأول ولكنه كان عاجزاً عن تنفيذ خطته كما برز ذلك. . . ونحن نشاهد اليوم ذكريات الحسين في توسعة زمنية ومكانية مستمرة.

في هذا اليوم يوجد أكثر من مئة مليون إنسان على الأقل يحضرون مآتم الإمام الحسين، لا في العالم الإسلامي فحسب بل في أفريقيا كذلك. . وأنا شاهد بنفسي في «كابون» في العام الماضي خطب تلقى كلها باسم الحسين عليه السلام وتحدثت فيه بشكل مفصل، وكنت في السنغال وأقمنا ذكريات مفصلة وهكذا في كل بلد الذكرى في اتساع.

هنا في لبنان، في الأماكن المختلفة تزداد وتتعمق.

إذن، الصنف الثاني من الأعداء كان خطراً وظالماً ولكنه لم يتوفق وهو أقل خطراً من الصنف الثالث من الأعداء.

والصنف الثالث: هم الذين أرادوا تشويه صورة الإمام الحسين عليه السلام، تجميد واقعة كربلاء في ذكراه، عدا عن حصر ذكرى الحسين في البكاء والحزن والنحيب.

نحن نبكي الحسين ونبكيه كثيراً ولكن لا نقف عند البكاء أبداً.

البكاء لكي يجدد أحزاننا وأحقادنا ورغبتنا في الإنتقام، وغضباً على الباطل، هذه هي رغبتنا في البكاء.

لماذا نتلو المصرع؟

لماذا هذا الضجيج المزعج!

نتلوه فقرة بعد فقرة لكي نستعرض الواقع وندرك خطر الظالمين وقسوتهم، وندرك أبعاد التضحيات وقوتها، فلا نكون قد أكتفينا بالبكاء واعتبرنا ان الحسين شهيد العبرات، وان واجبنا قد أدي بأننا اجتمعنا فقط...

في تاريخ الصراع بين الحق والباطل إذا اخرجناها من الجمود وربطناها بالماضي من الطبيعي ان الحادثة ترتبط بالمستقبل، وعند ذلك ننتهي كما نقول بأن الإمام الحسين عليه السلام وارث آدم صفوة الله..

وكذلك نوح وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

كما نقول انه مورث الأئمة الصادق والباقر والرضا.

مورث كل من يصرع الباطل وكل من يناضل في سبيل الحق وكل من يسعى ويقدم جهده وحياته في سبيل الدفاع عن الحق.

وأخيراً نقول: السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الارواح التي حلت بفنائك. لك منا سلام الله أبداً ما بقي الليل والنهار.






«معركة كربلاء
حلقة مميزة في تاريخ الإنسان»

محاضرة للإمام موسى الصدر عن معركة كربلاء عام ١٩٧٣م

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك منا سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا لزيارتك. . السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين وبعد. .

إن الحق والباطل كانا متصارعين منذ الأزل - سنة الله في خلقه.

فالإنسان يعرف الخير والشر كما تقول الآية الكريمة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنهَا﴾(١)، الله سبحانه وتعالى هو الذي علمني والهمني ووضع في نفسي وخلقني وأنا شاعر بالخير وشاعر بالشر، متمكن من الخير ومتمكن من الشر.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وسنة الله في خلقه ان في الكون إمكانية ممارسة الخير وممارسة الشر. .

هناك شر، ولسنا مغفلين معصوبي الأعين نسلك الخير من دون الأنتباه إلى الشر.

لذلك عندما يختار الإنسان الخير بعد صراع، عندما يقف امام أي موقف يجد نفسه بين خيارين:

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٨.

هناك ما يجذبه إلى الشر وهناك ما يجذبه إلى الخير.. وهو مع كل موقف يعيش صراعاً حراً يختار الخير أو يسقط في أحضان الشر. إذا اختار الخير يكتمل لأن الأختيار جاء بعد الصراع، بعد المعركة الطاحنة النفسية، ليس الإنسان مثل النحلة، النحلة لا تقدر إلا ان تجني العسل، مثل الخاروف، مثل الحيونات الطيبة، مثل الشمس، لا يقدرون ان يعملوا إلا الخير. غير ان الإنسان يقدر ان يعمل خيراً، ويقدر ان يعمل شراً..

سنة الله في الخلق وجود الإحساس بالشر والخير في النفس، وجود الخير والشر في الخارج، وكذلك الإنسان امام الخيارين في كل موقف.

وجود الخير والشر يشكل جبهتين ازليتين ابديتين.

قاد الجبهة الأساس أبونا آدم صفوة الله، فحصل الصراع بين قابيل وهابيل، قل انها معارك رمزية حقائق تاريخية، لا فرق المهم انعكاساتها علينا.

هابيل وقابيل وقد نص على معركتهم القرآن الكريم، الصراع حصل هناك، هناك جبهة الخير الصغيرة وقفت مقابل جبهة الشر الصغيرة في اطار محدود بين اخوين من أب وأم واحدة فحل الصراع، فقتل قابيل أخوه هابيل ودفنه تحت التراب وبدأت المعركة وتلطخت المعركة بالدماء من الساعة الأولى - بدأت المعركة حامية حتى وضعت التجربة أمام الإنسان من أيامهم إلى أيامنا هذه وإلى الأبد، وبعد ذلك المعارك استمرت.

لقد فسرها الباحثون والمعلقون والفلاسفة وعلماء الإقتصاد ومؤسسو المدارس الإقتصادية القديمة والحديثة ووضعوا لها تصاميم، وضعوا لها أثراً وكل له الحق لأنه حدد المعركة بشكل إذ لهم الحق لأنهم عاشوا مرحلة كانت الصفة البارزة في الصراع - صفة الصراع بين الطبقات.

أنا لا أشك أنهم لو عاشوا زمننا هذا لأعطوا المعركة طابعاً آخر، لأن المعارك اليوم خرجت من إطارها بين الطبقات. . إنها أحياناً بين الطبقات واحياناً مع الطبقات، بين الشعوب. . .

لا نريد ان نناقش هذا البحث، أولئك حددوا آخر المعارك فعمموها واعتبروا ان التاريخ، في كل التاريخ، يتكون من الصراع من الاساس وإلى النهاية، ولكن الحقيقة ان المعركة الحقيقية بين الظالم والمظلوم لأن الظالم له أشكال مختلفة.

وبين المظلوم والظالم قد يكون لها أشكال شخصية: رجلاً يضرب رجلاً، زوج يضرب زوجته، أخ يضرب أخاه، إنسان يظلم جاره، مثلاً: (قبضاي يظلم ضعيفاً في السوق) معارك شخصية وأحياناً يأخذ طابعاً آخر، فالظالم السياسي إستعمار والمستعمرون يظلمون الشعوب.

يأخذون حريتهم وأرضهم ووطنهم، يأخذونه بالسياسة، يأخذونه بالسيف، يأخذونه بالمدافع، هذا النوع من الظلم يجسد المعركة بين الظالم والمظلوم، يجسد الإستعمار والمستعمرون.

أحياناً تأخذ المعركة طابعاً بين المستثمر والمستثمر. . فئة تسرق أموال الآخرين بالحيلة أو بالقوة أو بالربا، والربا كان منتشراً في قديم الزمان، قبل الإسلام وبعد الإسلام، وحتى في عصرنا الحاضر.

وأحياناً المعركة تتجسد بطابع ثقافي فكري - أحد المؤلفين الكبار الباحثين يحاول ان يسميه - بالإستحمار - يعني أولئك الذين يريدون ان يجعلوا الناس حميراً، لا يعرفون شيء يجهلون كل شيء، هنا أيضاً الظالم لم يجتذب عقل المظلوم وفكر المظلوم ووعي المظلوم وإحساس المظلوم. . والمعركة مستمرة وقائمة.

القرآن الكريم يحدد كل أنواع الظلم ويجمع كل أصناف المظلومين،

حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾(١).

إذاً الإستضعاف يعني فئة اعتبرت فئة أخرى ضعيفة فاغتصبت منها ما لها وفكرها أي إستغلالها القرآن الكريم رؤيته التاريخية.

المستضعفون يفتشون، ينفقون، يلتمسون، يتوسلون، يئنون، ينادون، يرزحون تحت الأعباء، والله سبحانه وتعالى يبعث لهم قائداً أو نبياً أو وحياً أو شهيداً يجمعهم، يقودهم ويدافعون عن مصالحم أمام الظالم.

الأنبياء جميعاً، الإبراهميون كما نسميهم أولئك الذين نادوا الله الواحد الأحد جميعاً أولئك دائماً محاطين بعدد كبير من المستضعفين يقفون معهم لا كرهاً بالأقوياء، أبداً بل كرهاً بالظلم: (**فلينزل الأقوياء والظالمون عن عروشهم**)، ليس هناك من حقد ضد أي إنسان والنبي صاف عن العقد تماماً.

الصراع يحتدم، المستضعفون يقومون ويلتقون حول نبيهم فيبدأون بالصراع ويقدمون التضحيات ويستمرون في المعركة حتى ينزل الظالم عن عرشه وطغيانه ويمنعونه عن الإستعمار والإستثمار والإستحمار.

ولكل من الثلاثة من الظلم رجال، رجالهم موجودون كانوا موجودين والآن موجودون، فينكسر الظلم أمام الكثرة، وينكسر الظالم.

الظالم يغير ملابسه من جديد، يلبس ثوب الأنبياء، ويلبس ثوب الدين، يلبس ثوب الدعوة الجديدة، يتغطى بغطاء الشعار لينادي بالشعارات دفاعاً عن مصلحة الناس ويعلن عن وقوفه على جانب المستطعفين، يعود المستضعفون فيرون ان الظلم بدأ من داخلهم وان الإغتصاب والتحكم

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

والسيطرة والإستعمار والإستثمار والإستحمار جاءت من الداخل وعند ذلك يبدأ صراع آخر.

وهكذا في الزمان من الأول إلى الآخر هذه المعركة..

لماذا هذه المعركة؟

سنة الخلق والصراع الداخلي الدائم لكي يتمكن الإنسان باختيار الخير والحق، يملأ ارادته فتكتمل.

إذن، هذه السلسلة المستمرة بين الظالم والمظلوم، بأي صفة وصفت الظالم والمظلوم، من خلالها بدأت المعركة، من خلال آدم صفوة الله ونوح نبي الله وعيسى روح الله وموسى كليم الله ومحمد رسول الله وعلي ولي الله.

إذن، معركة كربلاء ليست معركة مفصولة وظاهرة فريدة في تاريخ الإنسان، انها حلقة مميزة، طبعاً تختلف عن الحلقات الاخرى من تاريخ الصراع، وكما انها حلقة مرتبطة بالماضي فإنها حلقة مرتبطة بالمستقبل، نحن نحاول من ذكرياتنا ومن أحتفالاتنا - وقد حاول آباؤنا وأجدادنا وقادتنا وعلماؤنا - ان نقيم المآتم الحسينية - المآتم والذكرى - وكأنها شيء جديد نعيشه.

نسمع الشعارات: **(ألا ترون ان الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً)**.

هذه كلمات أبي عبد الله الحسين تدوي في مسامع المحتفلين وتجعل الإنسان ينتبه إلى ما هو الموقف اليوم طالما ان المعركة مستمرة وان الجبهتين واضحتان، وطالما ان لكل جبهة رجالها فلنفتش نحن عن أنفسنا:

هل نحن في مكاننا؟

في أي واحدة من الجبهتين؟

نسمع: **(ألا وان الدنيا قد أدبرت وتنكرت لأهلها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الماء ورغيد عيش).**

انها كلمات الإمام الحسين عليه السلام . . في هذا الموقف: الكلمات والشعارات واضحة.

والإنسان المعاصر عندما ينتبه ان معركة الإمام الحسين عليه السلام مرتبطة بالماضي والمستقبل يقف فيصف نفسه، يقف امام الجبهتين. .

اذاً أردنا ان نعرف الجبهتين فلهما مواصفات. . .

لا نريد كثيراً من الدقة، المواصفات واضحة، هل يوجد احد يشك ان إسرائيل ظالمة؟

إسرائيل اغتصبت الأرض وشردت الشعب وقتلت الأبرياء وتحاول ان تستمر في الأعتداء بحجة الحماية للنفس، وضللت الفكر العالمي إذا استعملت الإستعمار والإستثمار والإستحمار.

إذن نحن مستضعفون. .

إسرائيل مصنفة في جبهة يزيد، في جبهة الباطل، في جبهة الظالمين، ونحن مصنفون في جبهة المستضعفين في جبهة الحسين فإذن ماذا يجب ان نعمل؟

نتلوا سيرة الحسين، نرى ان الحسين خرج مع بني قومه، مع اصحابه، مع احفاده، مع كل ما يملك، وكل من يملك من الرجال والنساء، حتى الذين لم يخرجوا غصباً عن الحسين إنما دعاهم وكتب لهم رسالة قال فيها:

(ألا وان من خرج معي يقتل ومن لم يخرج لن يبلغ النصر).

يريد ان يأخذ كل الأحباء وكل الأعزاء ولكن إلى أين؟

إلى مذابح الشهادة وهو يعرف أنهم جميعاً يتقدمون إلى الموت، إلى الشهادة وهكذا كان.

كنت استمع إلى كلمة جرت بين سيد الشهداء ونجله علي الأكبر عندما رجع إلى المخيم يطلب الماء..

مضمون كلام الحسين أنه لا يملك الماء ولكن:

أرجو ان تسقى من يد جدك بني.. أين يشرب في هذه الدنيا؟

أين يعطيه جده؟

الحسين يتمنى الموت والشهادة لابنه الوحيد.

أما بالنسبة إلى الأخرين يستأذنون فيأذن لهم، وهكذا الواحد تلو الآخر قدمهم جميعاً قرابين لله عَزَّوَجَلَّ ، وسمعتم في المصرع تفاصيل غير بعيدة عن الحقيقة، بل قريبة إلى الحقيقة كل القرب..

ناس جاؤوا إلى المطامع مضللين اعطوهم بضعة دنانير أو أخذوا كفاً من التمر الناشف وجاؤو ليقتلوا الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الأحاديث مختلفة بعضهم يقول ان ثلاثين ألفاً أو أكثر طوقوا حرم الحسين هؤلاء عندما يشعرون ان بينهم وبين الانتصار الضربات الحسينية وضربات العباس وضربات الأبطال ما بقي بينهم وبين النجاة إلا لحظات، وعندما يقتل الحسين سيدخلون خيم الحسين وينهبون الحريم من الحلى والملابس والاقراط وكل شيء دون رحمة، فتبين كيف تصرفوا وقد سمعتم في المصرع الضرب بالسيوف والرماح، بأي وسيلة كانت متوفرة لديهم يضربون.

نحن نقرأ ذلك مراسم عاشوراء ما هي الغاية؟

عندما وضعنا عاشوراء في وضعها الصحيح التاريخي ذلك لأن لها موضعاً في سلسلة متصلة الحلقات من الصراع تبلغ القمة مع الحسين ولكنها مستمرة، قبل الحسين كانت، وستبقى بعد الحسين...

لماذا حلقة الحسين حلقة متميزة؟

لأن التضحية التي قدمها الإمام الحسين عليه السلام تحية كبرى فريدة من نوعها في التاريخ، قدم كل شيء لله فقط وقوله: **«ان كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني»**.

قدم كل شيء إنما إذا أخرجنا هذه الحلقة من عزلتها وربطناها بالسلسلة التاريخية السرمدية من الصراع عند ذلك نضع أنفسنا في الجبهة ونسأل، اليوم المعركة حامية بين الشعب الفلسطيني وبين إسرائيل بالدرجة باعتبار أنه واجبهم الأول، باعتبار أنهم تحملوا فلو لم يفعلوا لكان الواجب العيني علينا ان نقوم نحن نعمل ما عملوا.

صحيح إسرائيل قوية، (يزيد كان قوياً) إسرائيل تقتل، تحرق، تذبح، ما عملته في المعارك شاهدناه جميعاً على الشاشات، إنهم قتلوا، ثم أحرقوا، ثم ذبحوا، تماماً، نتذكر ان مسلم بن عقيل قتل في دار الأمارة فذبح ثم القي به من شاهق.

إذن، إسرائيل في صف يزيد..

بعد أن عرفنا ان كل الأبعاد المتوفرة في هذه المعركة كانت متوفرة هناك والحسين الشهيد لم يتراجع ولم يقل انهم جماعة ظالمون، لا

يرحمون الرجال ولا النساء ولا الميت، لم يقل انهم سيسحقون صدري بعد القتل، فليكن طريق الحق.

ما هي الفائدة من البقاء ذليلاً وهو القائد عليه أن يتحمل.

إذن، هذه المعركة - معركتنا مع إسرائيل، إستمرار لمعركة الإمام الحسين عليه السلام تماماً..

قلت إنهم يشككون بالحسين، وكانوا يقولون: **(خرج عن حده فقتل بسيف جده).**

هذا هو حكم صادر عن المحكمة.

كانوا يقولون لماذا تعصي يا حسين؟

لماذا لا تترك الناس مسرورين؟

لماذا لا تترك الناس يصلون ويصومون ويحجون ويدفعون زكاة؟

كانوا يقولون: **(ليش يا حسين؟ شو بدك من كل هالمعارك؟).**

أيها الأخوة: أنا أريد أن أحذركم إسرائيل تقول نفس الشيء:

تعالوا نتعايش **(بدي أعيش معكم)**، تعالوا نتصافى.

لا، مش معقول الظالم لا كظالم، إنما كدولة قائمة على أساس الاعتداء، على أساس التعدي، على أساس المطامع، على أساس التوسع وعلى أساس أنه أنا فوق البشر، كل البشر لازم يبقوا تحت.

إذن.. هذه المعركة معركة الحسين في عصرنا ولا نعزل أبداً شيئاً عن شيء كما نقول للحسين عليه السلام:

السلام عليك، يا وآرث آدم صفوة الله في معركته مع يزيد.




«عاشوراء فرصة إصلاح النفس»

إننا الآن نريد أن نركب سفينة النجاة وندخل في أمان الله تبارك وتعالى تحت راية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، لذا فعلينا جميعاً أن نصلح واقعنا المأساوي الفاسد.

وإذا ما دخلنا في شهر محرم الحرام ثم خرجنا منه كما دخلنا فقد ضيعنا فرصة العمر في إصلاح نفوسنا وأوضاعنا، فعلينا أن نعمل على ترويض أنفسنا للاستفادة من عاشوراء سيد الشهداء عليه السلام وخصوصاً فيما يتعلق بعلاقاتنا الاجتماعية والعملية مع بعضنا البعض، فإذا كان الواحد منا يحمل في قلبه ضغينة أو حقد وكراهية أو ظن سوء تجاه أخيه المؤمن فعليه أن يزيله، ولا تكن تعزيتنا في هذا الشهر من أجل أن نتنافس على أن يكون موكبنا الحسيني - مثلاً - أفضل من مواكب الآخرين، أو مجلسنا أفضل من مجالس الآخرين، فمثل هذا التفكير إنما هو من الحميات والعصبيات الجاهلية.

هذا المناسبة الجليلة، هي ثورة الإصلاح في المجتمع الفاسد، ثورة من أجل تغيير نمط الحياة الظالمة.. لأن أبي الأحرار عليه السلام قال: **«لا أرى الموت إلا سعادة... والحياة مع الظالمين إلا برما...»**.

إن المهم هو العمل الذي يكون فيه مرضاة الله عز وجل، وأن لا يكون هدفنا رضا الناس عنا فقط، ثم إن مجالسنا يجب أن تكون مركزاً للوحدة

والتلاحم، لأن راية الإمام الحسين عليه السلام هي راية الوحدة هي حقيقة الدين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[(١)]. وحبل الله هو القرآن الكريم، ونبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عليهم السلام، القائل عنهم الذي لا ينطق عن الهوى: «**ما ان تمسكتم بهما لن تضلا بعدي... كتاب الله وعترتي آل بيتي**». وعلينا في هذه المناسبة الجليلة أن نعمل على إصلاح أنفسنا ولا نخدعها بالمظاهر والمراءات..

فحري بنا عندما نقف أمام أبي عبد الله عليه السلام ونقول: «**إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم**».

فإن هذا يقتضي أن نحب كل من أحب الحسين عليه السلام، ونوالي كل من والاه... لا أن نختلف معه ونكن له العداوة والضغينة ونروح ضحية التنافس المقيت.

فلنظهر أنفسنا، ولنكن صادقين مع إمامنا الحسين عليه السلام، وفي هذه الحالة سنركب سفينة النجاة، وسيكون الحسين روحي له الفداء شفيعنا في الآخرة يوم لا ينفع فيه مالاً ولا بنون.. ويكون سبباً لنجاتنا من المشاكل والمآسي في هذه الدنيا الفانية[(٢)].



(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس العاملي.





«ملحمة الإله الكبرى في كربلاء والتوظيف السلبي»

من هنا نبدأ: باسمه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] صدق الله العظيم.

من غير المنصف أن يأتي (صانع) غير حاذق، فيقرب معدن (الرصاص) من منصهر (الذهب) مؤديا بغبائه إلى تحويل هذا العنصر الثمين إلى سبيكة رخيصة قد يصعب معها إعادة العناصر فيها إلى أصلها.

من غير المنصف أن تتحول ثورة فكرية سياسية اجتماعية من عنفوان البحث عن حقيقة وجود الإنسان ومكانته في عالم الإمكان إلى مندرجات للاسترزاق ووسيلة لإستدرار العواطف، التي يراد من ورائها إستدرار أشياء أخرى لا تمت لماهية الثورة وغاياتها بصلة.

ومن المؤسف أن يقف هذا الكم الهائل - **إلا ما ندر** - **من المراجع** - على طول تاريخ التشيع وعرضه - ساكتين، راضخين لما يتداوله أو يتناوله البعض من صغار أصحاب الدكاكين الحسينية من حواريات أو عبارات يمكن أن تستدر العبرة والعاطفة من جهة، ولكنها تشكل حاجزاً بين أفق ثورة الإمام الحسين عليه السلام الحقيقي وبين فهم الآخر لمعطيات ومفردات هذه الملحمة الإلهية الكبرى، وتشكل صورة مشوشة تارة ومشوهة تارة أخرى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

للتفاصيل الدقيقة لأسباب ونتائج هذا الكم الإنساني الهائل من عنفوان البطولة والشهامة والكبرياء.

نعم، لا ينكر أحد أن إستدرار العواطف والعبرات، وإستفزاز العواطف الإنسانية في ذكر مواقف يوم الطف، قد أنتج ديمومة لهذه الذكرى الخالدة في نفوس الناس، ولا أغالي حين أقول قد أمتلكت على الشيعة نفوسهم، وخلقت لديهم نوعاً من أنواع الاستقلالية في تناول هذه الذكرى بشكلها الدوري والسنوي.

ولكن المشكلة تكمن في الإستقلالية وفي سوء استخدام هذه الملحمة الكبرى، وتوظيفها بشكل سلبي، مما أدى إلى خلق هوة بين الطبقة المثقفة (**عربياً وعالمياً**) وبين الفكر الحقيقي للثورة من جهة، ومن جهة أخرى فإن المفردات الركيكة ومستويات الأداء الضحلة وإستخدام بعض الطقوس الهجينة أدى إلى خلق فجوة كبيرة بين معطيات ومفردات الثورة وبين الطرف الأخر، سواء على صعيد المجتمع الإسلامي أو المجتمع غير الإسلامي.

إن الغاية من وجود العقيلة زينب عليها السلام - حسب فهمي القاصر - هو لضمان إنتشار فكر الثورة الحسينية إلى أفق الحقيقة الأوسع، ولضمان ديمومة هذا الفكر الخلاق، ولسد الأبواب أمام التخرصات التي يمكن أن يرسخها الطرف المنتصر على الصعيد العسكري في أذهان الناس، إيمانا من سيد الشهداء وأبي الأحرار بأن (**التاريخ يكتبه المنتصرون**).

فأراد سبط الرسول الأعظم أن يحقق انتصاراً (**إعلامياً**) مقابل الانتصار اللوجستي والعسكري الذي حققه اللاإنسانيون في الطف، ولذا فليس من الغريب أن نطلق على عقيلة بني هاشم لقب (وزيرة إعلام الحسين عليه السلام فقد أخذت دورها في شرح مفردات الثورة وأسبابها على طول الطريق بين الطف والكوفة والشام والمدينة المنورة، غير متناسين دور الإمام زين

العابدين في ترسيخ الفكر الثوري الحسيني في العالم الإسلامي والإنساني.

بعد أن مهدت وزيرة إعلام سيد شباب أهل الجنة لهذا الترسيخ، خشية أن تطال أيدي أزلام السلطة نفس الإمام السجاد بالقتل والتغييب، فكانت إستراتيجية رائعة، رسمها الإمام الحسين عليه السلام قبل إستشهاده، لتستمر الثورة بالنمو والتجلي إلى أبد الأبدين، وضد كل مواليد الزمن من الطواغيت، وبهذا فهو يريد - وأراد - لثورته أن تستمر بشكلها الإنساني الرائع، بعيداً عن الإنجرار وراء إستدرار العبرة وحدها، وبعيدا عن تضييق الأفق.

ولذا نحن نسمع دائماً بأن ثورة الحسين: **(عبرة - بكسر العين، وليست عبرة - بفتح العين)**.

إن فكر الثورة الحسينية يجب أن يخضع لدراسات مستفيضة، وينبغي على الذين يدعون إنتمائهم الفكري لثورة أبي الأحرار أن يقدموا الأنموذج الحقيقي للثورة بأسلوب حديث منفتح، وأن يغيروا لغة الخطاب وأسلوبية الطرح، وأن يخرجوا عن دائرة الطرح العاطفي إلى آفاق أكثر إتساعاً.

وينبغي عليهم أن يتجنبوا آلية الاحتكار، وأن لا يجعلوا من طرحهم وسيلة لإظهار أن أعداء الحسين ما جاءوا إلا لطلب ثارات يوم بدر وحنين، بل ينبغي عليهم أن يرجعوا ليفهموا الناس أسباب طلب الآخر بثارات بدر وحنين من الحسين، وأن لا يألوا جهداً في استخدام لغة متزنة لإيصال الفكرة ونشر وعيها بين مختلف الأطياف في العالم، هذا إذا كنا نؤمن بأن سيد الشهداء عليه السلام هو إرث إنساني وليس إرثاً لمذهب أو طائفة معينة، كما يعتقد ويتوهم البعض ان عاشوراء هي وكالة حصرية لهم.

إن الإستذكار السنوي لملحمة الإله الكبرى على جانب الفرات، يشير بوصلتنا إلى أن الذكرى منحصرة بالشيعة فقط، إلا ما ندر، وهذا نوع من

أنواع العقوق لتضحيات الحسين وأهل بيته وأصحابه النجباء، وحسب فهمي أن استخدام بعض مفردات الإحتفاء واستخدام بعض الطقوس كالصياح والإلحاح باللطم والتطبير والضرب بالجنازير وغيرها، قد يسبب إهانة للثورة في كثير من الأحايين، وقد يغلق الباب أمام الآخرين للدخول إلى عالم الحسين وثورته، وقد - بل أكيداً - أنه يسبب نفرة لدى المتلقي ويمنعه عن التواصل واستمراء المعاني الحقيقية للثورة.

ولنا أن نسأل أنفسنا: أية فكرة يمكننا أن نقدمها للثورة الحسينية من خلال عمليات التطبير الشبه إرهابية؟؟..

وكيف يمكن أن نستقطب عاطفة الأطفال حين نقدم لهم إنموذجاً دموياً لأشخاص تمتلىء وجوههم بحمرة الدم العبيط؟؟..

وكيف يمكن أن نقنع الآخر - في الغرب مثلاً - أننا نستمد وعياً رائعاً من ثورة الحسين في الوقت الذي نجلس في حلقات لنطبع ضربات أصابعنا على صدورنا، أعتقد أن آلية تقديم ثورة الحسين يجب أن تأخذ شكلاً آخر، ويجب معها تغيير لغة الخطاب، وإلا فأعتقد بأننا - نحن المؤمنين بثورة الحسين - لا نعني الحسين بالقدر الذي يعنيه به أي شخص في أوربا أو الشرق أو غيرها من الأصقاع، فالحسين أراد لثورته الانتشار، وأراد أن يرسخ فكرة الدفاع عن حقوق الإنسان وثوابت حقه في الوجود، وعليه فيجب أن نحمل لواء هذه الثورة الإنسانية ونقدمها بلغة حضارية ومفهومة وواضحة وشفافة، ولا نحصر أنفسنا في زاوية التسافل عبر تقديم الثورة بشكلها الخاطىء المنفر.

ومن المتوقع أن نجد لا من يعترض على أسلوب تقديمنا لمفاهيم الثورة الحسينية، ويرفض لغة لا تتطابق مع مفرداته.

فأن نقدم الحسين رمزاً للإنسانية والسلام والحب.. خير لنا من أن نقدمه على أنه فارس يقتل ألفاً من المشاة بضربة سيف واحدة.

وأن نقدمه وهو يبكي على قاتليه.. خير لنا من أن نقدمه على أنه يشحذ سيفه ليلة العاشر من المحرم.

وأن نقدمه على أنه رسول المطالبة بحقوق الإنسان.. أفضل ألف مرة من أن نقدمه مدافعاً عن عشيرته وقبيلته.

وأن نقدمه دراسة بلغات العالم عن تأثيرات ثورة الحسين على الشعر والأدب العربي والعالمي.. خير لنا من أن ننتدب أحد الأشخاص إلى دولة مجاورة كي يستورد لنا شحنة من الجنازير والخناجر والطبول لذكرى عاشوراء المقبلة.

حسب معتقدي إن الكثير وليس البعض قد أساء وما زال يسيء للإمام الحسين عليه السلام ولثورته الإنسانية الخالدة، ويقوم بقطع الطريق - عبر ممارسته - أمام الشعوب التي أراد سيد شباب أهل الجنة أن يوصل لها صوته الحقيقة، ويؤسس لها منطلقاً نحو بناء الفرد والمجتمع والإصلاح والتحرر من العبودية والدكتاتورية التي أراد منها بعض من دخل في الإسلام مكرهاً وهو طليق العودة إلى الجاهلية الأولى...

وليت شعري، هل يرضى لنا أبو الأحرار أن نستدر بثورته دموع الناس ونتركهم بين مطرقة الظلم وسندان الطغيان؟؟

أليس من الأجدر بنا أن نستغل أموال **(الهريسة والقيمة النجفية)** لطباعة كتاب باللغة الفرنسية أو الانكليزية - مثلاً - نقدم فيه الأنموذج الإنساني لثورة سيد شباب أهل الجنة وبلغة معاصرة.

أليس من الأجدر أن نوظف أموال الدعوات التي يقوم بها بعض التجار

لنظرائهم من أهل الكروش والتي لا يريدون من ورائها إلا المراءاة وعقد الصفقات.

أليس من الأجدر أن نوظف هذه الأموال في حملة لمساعدة الشباب في الزواج تحت عنوان:

✍ ✍

«مشروع الإمام الحسين للزواج وبناء الأسرة»؟

أليس من الأجدى أن نجمع الأقمشة السوداء التي تقدر بملايين الأمتار ونستبدلها بملابس نوزعها لأطفال المسلمين ولأطفال بقية الأديان تحت منطوق: **(هدايا الحسين لأطفال العالم)؟**

أليس من الرائع أن نجمع أموال **(الجنازير والطبول)** التي نفكر باستيرادها كل سنة من الشرق الأدنى ونشتري بها حقائب لطلاب المدارس من مختلف الطوائف والأديان، ونكتب على الحقيبة:

«هدية الإمام الحسين لأطفال اليوم وعلماء المستقبل.. الحسين يقول لكم اجتهدوا من أجل خدمة الإنسان»؟

أليس من الجميل أن يتبرع **(الحسينيون)** بمبالغ بسيطة لزراعة الزهور أو تنظيف الشوارع من النفايات الملاصقة لمساجدنا أو رفع الأنقاض تحت شعار:

(حملة أنصار زين العابدين للتشجير وزراعة الزهور والنخيل)؟؟

أما آن لأصحاب الملايين من التجار أن يستقطعوا بعضاً من أموالهم ليشتروا بها مكنات خياطة - مثلاً - للنساء الأرامل والفقيرات من المسلمات ومن بقية الطوائف والأديان، تحت عبارة:

«المشروع الزينبي لتأهيل المرأة»؟

لماذا نخاف أن نجعل من الحسين بسمة في شفاه المستضعفين؟؟ ولماذا نخشى أن نجعل منه فرحة في قلوب وصدور الفقراء؟؟

أم أن من الأفضل لنا أن ننتظر عاشوراء هذه المدرسة الحسينية الخالدة، ونمنع أطفالنا من مشاهدة أفلام كارتون، ونرسم على وجوهنا الحزن المصطنع على مائدة من الود لنشرح لهم لماذا استشهد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام؟؟

ولماذا خرج من المدينة المنورة إلى العراق؟؟ . .

هذا طبعاً إذا كنا نعرف الإجابة عن هذه الأسئلة[1].



(١) كلمة المؤلف والمحقق الشيخ عباس حرب العاملي.




«الحسين مصباح الهدى»

خطبة للإمام موسى الصدر في مناسبة عاشوراء عام ١٩٧٥م

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك منا سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا لزيارتك.. السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين وبعد..

يقول رسول الله محمد ﷺ: **«الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»**(١).

أما سفينة النجاة، فالحسين عليه السلام من أهل البيت الذين هم أحد الثقلين اللذين تركهما رسول الله ﷺ لأمته قائلاً: **«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»**.

ولكن للحسين اختصاصاً، يريد ان يشبه الطريق - طريق الهداية بأنه مظلم ويحتاج إلى سراج ونوره، والحسين ذلك السراج وذلك النور.

معناه واضح، ولكن اقارن في هذا اليوم المبارك الذي يجمعنا بأجسادنا وقلوبنا في هذا المكان الرحب الضيق بوجود المخلصين من موالي الحسين عليه السلام يتحملون مشقة طول المآتم المباركة.

---

(١) أصول الكافي، ج٢، ص١٢٥.

أغتنم هذه الفرصة لكي أصدق هذا المعنى الواضح على حياتنا العادية ونرى ما معنى مصداقية الحسين للهدى ومعنى انارة سيد الشهداء الإمام الحسين للطريق.

أذكر لكم مقدمة صغيرة، الإنسان بحسب طبعه يعتاد في سيره كلما تعمق، فالعمل الصالح أو العمل الطالح حينما يصدر عن الإنسان لاول مرة يكون صعباً ومنافياً لعاداته، يأخذ جهداً أو يحمل صعوبة، ولكن نفس العمل للمرة الثانية يكون أسهل، وللمرة الثالثة يكون أسهل بكثير.

وهكذا حتى يعتاد الناس على هذا العمل الصالح أو الطالح، وحينئذ، يصبح جزءاً من حياة الإنسان من الصعب تركه.

العادة والتعود أمر طبيعي ملموس أمام حياة الإنسان، ومثال هندسي في الموضوع كما يقولون: ان الإنسان حينما يسلك خطأ، فإذا انحرف بمقدار قليل، بمقدار خطوة عن هذا الخط المستقيم، طبعاً ينحرف، ويبتعد في اللحظات الأولى عن الطريق المستقيم الصحيح، ولكن كلما سلك الخط المنحرف يبتعد عن الخط المستقيم أكثر، فالإنسان إذا انحرف في اللحظات الأولى فكم خطوة يبتعد عن الطريق الصحيح؟

لنفرض كيلو متراً أو عشرين ولكنه إذا سلك طريق الإنحراف مدة عشر ساعات أو مدة نهار يصبح بعيداً عن الطريق الصحيح مسافات هائلة، حينئذ تكون عودته إلى الطريق الصحيح صعبة جداً.

هذه طبيعة الحياة التي نعيشها، كل واحد منا يعيشها، هنا يأتي دور الهداية للواعظ والموجه والخطيب، فلعل الكثيرين منا حينما يرتكبون بعض الأعمال وبعض المعاصي، الكثير منا حينما يقف أمام حق صغير أو يتنكر لحق صغير يجد نفسه غير مذنب لماذا؟ لأنه يقول: ما هو ذنبي؟

أنا أتيت معصية صغيرة، أنا حرمت إنسان من حقه، ولكن حينما ينكر

هذا العمل ويتفاعل هذا مع الإنسان ويستمر الإنسان في هذا الخط نجد الخطورة والصعوبة البالغة.

أنا حينما ارتكب بعض هذه المعاصي لا أنتبه إلى نتائجها وإلى أين سوف أصل، لكن الموجه العاقل، مصباح الهدى يتمكن ان يرى نتيجة هذا الخط وان هذا الإنحراف الذي بدأ اليوم بخطوة أو بعشرة امتار أو دونم من الأرض غداً يصبح مئات وملايين وقتلاً وسفكاً وأشياء كثيرة.

هنا يأتي دور القائد أو دور الموجه أو دور مصباح الهدى، وهكذا الظلم والجريمة والخطأ بحق الآخرين ليس بالعمل الإيجابي، ليس فقط بأن أخذ مال الناس من دون حق آكل أموال الناس بالباطل، ليس فقط بالباطل بضرب أحد أو اهانة احد أو بإنكار احد، ليس فقط بشهادة الزور، ليس فقط بإعطاء الشيء لغير المستحق، بل الظلم عمداً يحصل بالسكوت عن الحق، كما جاء في قول الإمام: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

الذي يقف أمام الظلم وبسكوته يترك المجال للظالم ان يغلب، هذا في الحقيقة نوع آخر من تأييد الظلم ومن مسايرة الظالم ومن خذلان المظلوم.. هذان النوعان: الإيجابي والسلبي في حياة الأمم، ربما لا يبرزان بشكل واضح لكن هناك أهدافاً تكشف هذه الحقيقة بشكل واضح.

نرجع إلى واقعة كربلاء وخروج الإمام الحسين مصباح الهدى حتى نرى كيف أنار الحسين الطريق، حتى عرف الناس حقيقتهم هم.

أنتم تعرفون ان الحسين قتل مع عدد من أفراد عائلته وأصحابه وأخوته، كلهم قتلوا.. أنتم تعلمون أنه أرتكب في كربلاء أفظع جريمة وأشد مكيدة وأشد ما يمكن ان يرتكبه الظالم، ظلم يوم كربلاء لا يعادله ظلم ولكن من أرتكب هذا الظلم؟

هناك من أمر وهو - يزيد - وهناك من كان قائداً وهو - ابن زياد -

وهناك من قاد الجند في كربلاء وهو - عمر ابن سعد - وهناك من نفذ مباشرة وهو - الشمر - وأنصاره من جيش الرذيلة.

ولكن السؤال هل كان من الممكن ان يقتل الحسين بالشكل الذي قتل فيه ويبقى في الميدان ابن زياد وعمر بن سعد؟

لو كان هؤلاء عشرين أو خمسين كانوا يتمكنون ان يرتكبوا هذه الجريمة؟ حتماً لا.

فإذن، كيف تمكنوا من ارتكاب هذه الجريمة؟

تمكنوا بأمر الآمر وتنفيذ المنفذ المؤيد وسكوت الساكت.

نتمكن ان نقولها:

بقولها وفعلها وسكوتها ورضاها وصمتها وسماعها، قد أجتمعت على واقعة كربلاء إلا النادر منهم.

هذه الحقيقة متى انكشفت للناس؟

بعد وقوع الواقعة لأن كل فرد من أفراد الكوفة، وكانوا مئات الألوف لأنها كانت من كبرى عواصم العالم الإسلامي، فكر انه لو لم يسكت وخرج لنصرة الحسين ما كان الحسين قتل.. لأن المجموعة تتكون من الأفراد، فكما ان ثلاثين شخصاً في ليلة عاشوراء التحقوا في صفوف الحسين، لو تجمع ألف شخص وشاركوا وجاهدوا في صفوف الإمام الحسين لما كان ما كان.

فإذن، الإمام عليه السلام في الحقيقة أخذ المجهر في دمه، أي حينما قتل أخذ المجهر فوضعه امام أعين الناس، فنبههم لمسؤوليتهم ولنتائج أعمالهم بأنه أنتم اليوم تسكنون أو تأخذون درهماً أو تجلسون في بيوتكم أو كل واحد منكم يأخذ ابنه الخارج في الشارع خوفاً من القتل ويعيده إلى البيت ولكن ما هي نتيجة هذه الأعمال؟

هذه هي الحقيقة قتل الإمام الحسين عليه السلام بعدما تخاذل الكثير عن نصرته؟

وإلا كيف كان ممكناً قتل الحسين؟

أنتم الآن بكل قلوبكم الصادقة بحب الحسين تقولون لو كان الحسين إمامنا نموت من أجل الدفاع عنه ما كنا نسمح لهؤلاء الطغاة النيل منه.

لماذا لم يقولوا هذه الكلمة أيام الحسين؟

ألم يكن واجباً عليهم ان يحولوا دون استشهاد الحسين؟

وحدهم هؤلاء النفر القليل من الصحابة الذين حاربوا مع الحسين هؤلاء القائل عنهم الباري عز وجل : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(١) كل واحد من هؤلاء المستشهدين مع سيد الشهداء كان يعرف انه سوف ينتهي ويموت، بل سيقطع أرباً أرباً، ولكن موقف المؤمن هو الدفاع من أجل بقاء النهج والدين.

لكن لماذا كانوا يتسابقون على جهاد الأنفس...

لأي سبب؟

جادوا بأنفسهم عن نفس سيدهم والجود بالنفس أسمى غاية الجود

هؤلاء كان لهم أمل واحد بأن يتأخر موت الحسين واستشهاد الحسين خمس دقائق.. أي كانوا ينقذون خمس دقائق في حياة الحسين بكل وجودهم وحياتهم.

لماذا؟ لأنهم كانوا يعتقدون أنه لعل قتل هؤلاء، لعل استشهاد هؤلاء يؤثر في تلك القلوب القاسية فيرجع قسم من أصحابها عن غيهم ويصبح الحسين منتصراً لدين الحق الذي خرج من أجله للإصلاح في أمة جده.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣.

أيها الأخوة: أصبح واضح وأنكشف امامنا بأن الإنسان المنحرف يصل إلى مقام ابن سعد وجلاوزته الذين خيروا أنفسهم بين أمرين: **بين قتل الحسين وبعض حطام الدنيا وملك الري.**

أما أصحاب الحسين الذين أستشهدوا بين يديه في كربلاء، خيروا أنفسهم بين أمرين: **بين الجنة والنار... فأختاروا جنات الخلد على الدنيا الفانية.**

أيها الأخوة: تعلموا من عاشوراء أبي عبد الله مبدأ الحق إذا عزمت اليوم على عمل واحد مهما كان صغيراً فثق بأنك ستصل إلى الحق، لأننا نحن مع الأسف في أقصى الضلال، فإذا خطونا خطوة واحدة أنحرفنا ذرة واحدة نحو الحق، كذلك نصل إلى الحق ببركة الحسين لأنه مصباح الهدى وسفينة النجاة، وأنا لا أشك، بأن هذه العاطفة الكبيرة التي نعبر عنها في هذا اللقاء وبهذا البكاء والدموع التي تدل على العاطفة الصادقة لا نترك الحسين بين أعدائه وحده، لا نترك دين الحسين بين الأعداء وحده.

بل ننصر دين النبي الأكرم ودين الحسين سبط النبي بإذن الله ولو بخطوة واحدة على الأقل.

ولكن اترك المجال لكم لتعبروا عن هذا الشعور بالتفكير في حياة سيد شباب أهل الجنة وبالشعور بواجبنا نحن تجاه الحسين وأهداف الحسين والله تبارك وتعالى من وراء القصد والسلام عليكم.






«رحلة الشهادة»

خطبة للإمام موسى الصدر في مناسبة عاشوراء عام ١٩٧٦م

السلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك منا سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا لزيارتك.. السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين وبعد..

عندما نغتنم فرصة واقعة كربلاء فنحتفل بها ونعيد الحادثة إلى مسامعنا والى قلوبنا والى مشاعرنا نرتبط بدورنا بتلك البطولات الخالدة التي قلعت جذور الظلم والظالمين ورفعت الأقنعة والحجب من أمام وجوه الطغاة والمنافقين.

هذه الحادثة الخالدة التي كانت منارة عبر الأجيال، غير مخصصة بأيام الحسين عليه السلام، فالحادثة في أبعادها تتجاوز محنة عاطفية ومأساة بشرية، بل أنها نموذج صالح للاقتداء في كل زمان ومكان.

إن واقعة الطف بأسبابها وتفاصيلها ونتائجها تعلم الأجيال، كل الأجيال، وتفتح أمام الأجيال، كل الأجيال، طرق النجاة وطريق الخلاص.

أمتنا كانت ولم تزل، وكل أمة أيضاً تحتاج إلى مثل هذا الدرس وأخذ هذه الدروس والعبر.

الحادثة وجدت في ظرف زمني معين، ذلك الظرف يرتبط بخلفيات معينة.. وعندما ندرس تلك الخلفيات ندرك سبب عنف الحادثة وعظم المأساة وأبعاد المعركة.

كانت هناك خطة للقضاء على الإسلام ولتشويه معانية، هذه الخطة انكشفت في ساعة من الزمن على لسان يزيد بن معاوية وهو جالس منتصراً مغروراً في قصره وأمامه رأس الحسين عليه السلام، أنكشفت من خلال ما أفصح عنه يزيد بلسانه حين قال أبيات من الشعر للشاعر - ابن ذي بعرة - إذ قال وهو يطرب ثنايا سيد شباب أهل الجنة وابن بنت رسول الله بخيزرانته:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

من يقول هذه الكلمة؟

الطليق يزيد بن معاوية ويسمي نفسه - أمير المؤمنين - ويجلس على منبر الرسول ويحكم على الأمة باسم الإسلام، فهو من الداخل يتحدى الإسلام ويعتبر ان كل ما حصل من تضحيات ومن مجاهدات ومن مصائب كلها وسائل للحكم وليست رسالة لتحرير الإنسان..

هذه الخطة التي بدأ بتنفيذها معاوية ثم مكن لابنه يزيد الذي كان يقتل النفس المحرمة ويهتك الأعراض ولا أمان له ولا ذمة، كما يصفه التاريخ لنا.. مكنه من رقاب المسلمين وجعله خليفة وفرض على الأمة الإسلامية البيعة له.

عند ذلك يتبين لنا ان الأمر بلغ منتهى الخطورة، فيزيد الذي يتحدث عن الإسلام ويعتبره لعبة هاشمية للتحكم في رقاب الناس ويقول:

لا وحي ولا رسالة، يصبح حاكم المسلمين والأمة ساكته وهادئة وخائفه وطائعة لا حول لها ولا قوة الأحرار مشردون والناس ساكتون في

هذا الجو ويزيد يتصرف كما يشاء ويهتك حرمات الناس ويستهتر بأرواحهم وبقيمهم ولا يوجد أحد يحرك يأمر بالمعروف.

في هذا وأما سكوت الأمة على المظالم يتفرجون كل يوم على ظلم أو على قتل، ويرون كل يوم أمام أعينهم محنة ومصيبة ومشكلة.

أمام هذا الواقع، أمام الضمائر الخائفة أو النائمة كان لا بد من تضحية كبرى توقظ الضمائر من هذا السبات العميق وتهز المشاعر.

فحادثة كربلاء جاءت في ظروف ملائمة، تهيأت لهذه الظروف كافة الأسباب ومكنت من هذه الظروف عوامل متسلسلة تعود إلى سنوات وسنوات قبل واقعة الطف.

تأتي الفرصة ويزيد يصبح - أميراً للمنافقين - أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين ويطلب من الحسين البيعة.

ماذا يفعل الحسين أمام هذا الطلب؟

هل يبايع فيضع صبغة الشرعية على تصرفات يزيد وهذا الطاغية هو الذي يقول: **لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل؟**

وعند ذلك، أين مسؤولية الحسين؟

أما قال رسول الله في عودته من حجة الوداع: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**».

وبهذه الكلمة، لم يجعل النبي الأكرم أبناءه حكاماً بل جعلهم حفظة للإسلام، وكل واحد منهم حافظ للقرآن والشرع وبذلك حملهم أمانة كبرى لا يمكنهم ان يتخلوا عنها.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في بعض كلماته: «**لم تشذ عن رسول الله لحمته**».

لا يمكن لمثل الإمام الحسين المعصوم والصحابي الجليل وريحانة رسول الله ان يخون أمانة الله ورسوله وان يسكت أو يوافق على تصرفات يزيد وعلى ظلمه وعلى انحرافه وعلى ادعاءاته.

هذا الرجل الذي يريد ان يقلع الإسلام المحمدي من الجذور والقضاء على أحكامه ويريد ان ينتقم ويسترد ديونه من رسول الله ﷺ، والذي أفصح عنها مرات ومرات بلسان عربي فصيح؟

عندما برز رأس الحسين ورؤوس الشهداء يقول يزيد شعراً:

لما بدت تلك الرؤوس واشرقت تلك الشموس على ربى جيرون
نعق الغراب فقلت صح أو لا تصح اني أخذت من النبي ديوني

أمام هذا المنطق علينا ان نعي أبعاد المعركة.. الحسين خرج لا حباً بالخروج، وقتل وحارب لا حباً بالحرب والقتل وإنما إصلاح في الأمة وصيانة للإسلام.

هذا الرجل الذي يريد ان يأخذ من النبي ديونه بقتل سيد شباب أهل الجنة.. ويتمثل أيضاً شعراً - لابن ذي بعرة - فيقول:

لست من هند ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

هذا الرجل لا يريد بقاء الإسلام، تسلل داخل الإسلام ووصل إلى كرسي الخلافة ويريد القضاء على الإسلام، عندها جند الحسين كافة طاقاته فوضع في الميزان وجوده ولسانه وفكره وأهل بيته، رجالاً ونساء، وكل ما يملك وضعه في كفة الميزان وكون بذلك طاقة كبرى، مقابل طغاة بني أمية ووسائل اعلامهم وخطباءهم وكل ما يملكون.

بحسب المنطق المادي، التكافؤ غير موجود، الحسين مع سبعين شخصاً وخصومه ثلاثون ألفاً وخلف الثلاثين عشرات الألوف من الجيش

والعسكر مع وسائل الإعلام التي ضللت الجماهير في العالم الإسلامي، فأعتبروا ان الحسين - خارجي - والقاضي كتب في الحكم: **قد خرج عن حده، فقتل بسيف جده.**

المدن أحتفلت بقتل الحسين وفي كل مكان الحديث عن إنتصار الخليفة وعن الخطر الذي يشق صفوف المسلمين والخلاف الذي حدث بينهم، هذه الأجواء كانت تزيد في المحنة والمشكلة.

لذلك قام أبو عبد الله بالمحاسبة ووجد ان هذه الكفاءات في المنطق المادي لا يمكن ان تؤدي لإنتصاره.. عند ذلك عبر بما قاله عن لسان رسول الله: **إن الله شاء ان يراك قتيلاً.**

وقال عن لسانه أيضاً: **إن الله شاء أن يراهن سبايا.**

فإذن الحسين لا يوفر شيئاً، يأخذ نفسه ولسانه وفكره وقلبه ويضع إلى جانب نفسه طفله الرضيع وأولاده وأخوته وأصحابه المخلصين ويكتب إلى كل أولاد أبي طالب وأرحامه جميعاً في المدينة فيقول لهم:

ألا من خرج منكم معي يقتل ومن لم يخرج لن يبلغ النصر.

لا تفكروا يا أرحامي يا أهل بيتي أنكم إذا تخليتم عني ستنالون النصر وستكتبون المجد وستعيشون بارتياح وعز، فحياتكم بعدي ذل على ذل، وخزي على خزي، وعار على عار.

خطة الطاغية القضاء على كل شيء.. لا يمكن ان يرحم محمد ابن الحنفية أو غيره من الهاشميين.. وسيرسم أمامهم صورة - الحجاج بن يوسف الثقفي - إذ يأخذ بالتهمة ويدفن حياً بقايا أسرة علي ومن تبقى من بني هاشم ومن بقي من الموالين والأصحاب.

الحسين الشهيد يقول لأهل بيته، النصر لنا ولكنه بالموت والشهادة. . بمعنى أوضح: **انتصار الدم على السيف.**

فأكد عليهم ذلك، فخرج من خرج وتخلف من تخلف، وبذلك أثبت سيد شباب أهل الجنة ان يجند أكبر كمية من الطاقة البشرية لكي ينتصر في هذه المعركة غير المتكافئة عسكرياً وأعلن بشعار واضح يوم خروجه من المدينة:

فوالله اني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً - لا أريد السيطرة لا أريد الإفساد ولا أريد التحكم في الناس - **إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ما استطعت، أريد ان آمر بالمعروف وان أنهى عن المنكر** - وفي هذا السبيل وضعت ضمانة واحدة هي حياتي: **إن الله شاء ان يراك قتيلاً.**

كلمة نقلها عن لسان جده رسول الله ﷺ.

فإذن في المدينة عرضت البيعة على الحسين فرفض ثم عرف أنهم لا يسمحون له بألا يبايع فيقتلونه وهو لا يريد ان يقتل مغدوراً، فخرج من المدينة وأعلن بشعار واضح انه يريد الإصلاح، وأنتقل إلى مكة وهناك التقى مع جماهير المسلمين فأوضح لهم الأمر وبين لهم الحقيقة.

وكان يعرف ان حملة التشكيك والتضليل والأباطيل والشبهات تملأ العالم الإسلامي ولذلك سوف يتهم الحسين بكل شيء. . لهذا أراد الإمام ان يوضح حتى يكشف الحقيقة ويلقي أضواء كاشفة على هذه المرحلة لكي تكون رحلة نموذجية يمكن الإقتداء بها في جميع مراحل التاريخ.

خرج سيد الشهداء ووصل إلى كربلاء، وعندما طوق من قبل جيش ابن سعد وتبين ان الموت محتوم لا بد منه.

فحصلت مأساة كربلاء ويرويها لكم القارىء بكل تفاصيلها, نرجو أن تكون عاشورائنا هذه وأيامنا هذه أيام حسينية حية، هكذا أراد وهكذا أوصى شهيد الكلمة والموقف أبي عبد الله الحسين عليه السلام، البكاء لا يكفي، الإحتفال لا يكفي.

الحسين لا يحتاج إلى ذلك، الحسين شهيد الإصلاح، فإذا ساعدنا الحسين في إصلاح أمة جده نصرناه، وإذا سكتنا أو منعنا الإصلاح خذلناه ونصرنا يزيد.

أيها الأخوة: اختاروا صفوفكم، صف يزيد أو صف الحسين، فوالله لا أراكم تختارون إلا صف الحسين عليه السلام ولا تلبون إلا نداء سيد شباب أهل الجنة الذي يقول: **هل من ناصر ينصرنا، هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله.**

ونحن نقول: السلام عليك يا ابا عبد الله الحسين وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليك منا سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار.

ونحن نقول صادقين يا ليتنا كنا معك، لا نقول نحن معك يا أبا عبد الله، الزمن منعنا ان نكون إلى جانبك، نموت دونك، ولكن الزمن لا يمنعنا من ان نكون اليوم مع إسلامك والسلام عليكم.






«الدور الزينبي»

خطبة للإمام موسى الصدر في في اليوم ١٥ من محرم عام ١٩٧٦م

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

مرور أيام قليلة على واقعة الطف لا ينسينا عظيم المصيبة والإعتبار بنتائجها، والحقيقة أن المصاب بعد الوقوع أكثر تأثيراً من إحساس الإنسان بالمصيبة قبل وقوعها، ثم نتائج المعركة والتضحية تبدو عادة بعد انتهاء المعركة.

في يوم عاشوراء قتل سبط النبي الإمام الحسين وقتل من معه من الرجال بل والشباب بل وقسم من الأولاد الصغار ولم يبق حسب ما أوردت التواريخ في الخيام وبين أهل بيت الحسين أحد إلا شخصان:

الشخص الأول هو علي بن الحسين زين العادين وكان مريضاً وكان يخيل إلى الناس انه في دور الإحتضار ولا يطول عمره أبداً ولهذا تركوه إعتماداً على أنه سوف يموت من دون حاجة إلى القتل.

والشخص الأخر هو الحسن المثنى ابن الإمام الحسن الذي نجا من المعركة وكان جريحاً مطروحاً بين القتلى على الأرض من دون حراك ولا أثر للحياة، بعدما وضعت المعركة أوزارها وأرادوا ان يدفنوا الموتى

وجدوه حياً فعالجوه وبقي في الخيام وبين الأسرى، وله بعض الأحداث عند ابن زياد وعند يزيد، وأما ما عدا هذين فقتلوا جميعاً، وبقي الدور الرئيسي في متابعة مهمة الإمام الحسين على عاتق السيدة زينب سلام الله عليها التي أدت هذه الادوار الصعبة على خير ما يمكن ان تؤدى فهي لا شك أنها أصيبت بما أصيب به الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المصائب والأحزان ثم أنها أيضاً بقتل الحسين وباقي أخوتها وأولادها عون ومحمد سلام الله عليهم أجمعين.

وبعد ذلك كان لها مهمات، أولها المحافظة على عز الإمام الحسين وظهور الإمام بمظهر القوي لا بمظهر العاجز اليائس والضعيف.

وكما قلت في بعض أيامنا، في ذكريات عاشوراء، ان الحسين مهد لهذا الأمر بتضحياته المتعددة لأصحابه وبتحضير العقيلة زينب بالذات، وبقية النساء بشكل عام، لمجابهة هذه المصاعب والأحداث حتى لا يظهر عليهن أبداً أثر من آثار الذل والضعف من الندب والنحيب والنداء بالويل والثبور.

هذه المسائل لم تكن موجودة أبداً في كربلاء، ويؤكد الامام الحسين عليهم ذلك: يعني يوم كربلاء، كان التنافس في الموت يظهر على أصحاب الإمام، كما يصفهم:

لبسوا القلوب على الدروع كأنما   يتهافتون على ذهاب الأنفس

كانوا يتسابقون على الموت وكأنهم ذاهبون إلى أفضل غاية وأجمل مرام، . . هكذا أهل بيت الحسين وأرحام الحسين عليه السلام كانوا يتسابقون وكل يريد أن يذهب بإصرار والحاح ويظهر أمام العدو بمظهر الشجاع الذي لا يبالي بالموت.

فجاء دور العقيلة زينب عليها السلام في تصوير واقعة كربلاء بأجمل صورها حيث وقفت أمام الشهداء والأبطال قائلة: **اللهم تقبل منا هذا القربان.**

هذا القول هو إعلام الجميع بأن هذا الموقف كان بملء إرادتنا، لم يفرض علينا، لم يقل أحد أن تأتوا وتقتلوا، نحن بملء حريتنا وقفنا هذا الموقف البطولي أمام الطاغوت.

كما عبرت سلام الله عليها في مجلس ابن زياد عندما سألها وقال لها: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟

قالت: ! والله ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء رجال كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم.

فإذن دور العقيلة زينب هو دور إتمام لمهمة الحسين وإبراز معركة كربلاء بمظهر الكرامة والعز.

ومرة أخرى وقفت شامخة أمام طغاة العصر يزيد بن معاوية في قصره حيث فضحت كل شيء وتبين كل شيء حتى ان زوجة يزيد تغطت بقميصها وخرجت من القصر وطالبت وأصرت وألحت على دخول زينب وأهل بيت الحسين إلى دارها.

بدأت الحركة من بيت يزيد، فماذا يصنع؟

هل يقدر ان يقتل كل الناس؟

أينما كانت تحل الحوراء زينب كانت تحرك الناس وكانت تعكس الدعاية الأموية وخلال فترة وجيزة جميع الأقطار الإسلامية عرفوا بالقضية والحقيقة أصبحت واضحة.

وكانت تلقي الخطب والكلمات لفضحه وإفشال خطته وكانت خطبة العقيلة زينب الكبرى والإمام السجاد في الكوفة والشام مثالاً «للمواجهة في

الأسر» وقد عابت السيدة زينب عليها السلام على يزيد سوء عمله الظالم ذاك على ما فيه من خروج على الدين وقالت: (**أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تساق الأسارى، أنّ بنا على الله هواناً. . .**

أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول سبايا قد هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ تحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد ويستشرفهن أهل المن أهل والمعاقل. . .).

يمكن القول أن الإمام الحسين عليه السلام كانت له حسابات وتدابير دقيقة من اصطحاب النساء والأطفال معه إلى كربلاء ليكونوا من بعده رواة لمشاهد وآلام العاشر من محرم وليكونوا واسطة رسالة دماء الشهداء ولكي لا يتسنىّ لحكومة يزيد إسدال الستار على تلك الجريمة الكبرى أو إبراز تلك القضية بشكل آخر.

فسلام عليك أيتها المخدرة. سلام عليك أيتها الصابرة المحتسبة. . .






«أهداف ثورة عاشوراء»

المراد من (هدف) الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء هي الغاية التي كان ينبغي بلوغها أو تحقيقها وإن طال الزمن، والتي بادر بثورته تلك من أجلها وأستشهد في سبيلها نقدّم فيما يلي مسرداً بتلك الأهداف المقدسة كما يلي:

١ - إحياء الإسلام.

٢ - توعية المسلمين وكشف الماهية الحقيقية للأمويين.

٣ - إحياء السنة النبوية والسيرة العلوية.

٤ - إصلاح المجتمع واستنهاض الأمة.

٥ - إنهاء إستبداد بني أمية على المسلمين.

٦ - تحرير إرادة الأمة من حكم القهر والتسلّط.

٧ - إقامة الحق وتقوية أهله.

٨ - توفير القسط والعدالة الإجتماعية وتطبيق حكم الشريعة.

٩ - إزالة البدع والانحرافات.

١٠ - إنشاء مدرسة تربوية رفيعة وإعطاء المجتمع شخصيته ودوره.

لقد تجلّت هذه الأهداف في فكر سيد الشهداء وفي عمله أيضاً، وكذلك لدى أنصاره وأتباعه[١].

---

(١) كلمة المؤلف عباس حرب العاملي.

ومن جملة خطب الإمام الحسين عليه السلام المعبرة عن أهدافه، هي قوله: **(إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب)**[١].

وكتب إلى وجوه أهل البصرة: **(أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإنّ السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت فإن تسمعوا قولي أهدِكم سبيل الرشاد)**[٢].

وأرسل مع مسلم بن عقيل كتاباً إلى أهل الكوفة حدّد فيه رسالة الإمامة بما يلي: **(فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام)**.

وفي كربلاء خطب بأنصاره قائلاً:

(ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله. فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برما)[٣].



(١) حياة الإمام الحسين بن علي ٢٦٤: ٢.
(٢) حياة الإمام الحسين بن علي: ٣٢٢.
(٣) حياة الإمام الحسين بن علي ٩٨: ٣.




«ثقافة عاشوراء»

المراد منها مجموعة القيم والمفاهيم، والأحاديث والأهداف، والدوافع وأساليب العمل، والمعنويات والخلق الرفيع الذي قيل أو فعل في ثورة كربلاء، أو الذي تجسد في أحداث تلك النهضة.

وهذه القيم والمعتقدات تجلت في كلمات سيد الشهداء وأصحابه وولده، وفي سلوكهم أيضاً.

وينبغي أن تُستقى ثقافة عاشوراء ممن كانت لهم صلة عملية وفكرية وقلبية بعاشوراء.

وقبل أن يحاول الآخرون والأجيال اللاحقة والمحللون المتأخرون عن الواقعة نشر ثقافة عاشوراء عليهم أولاً أن يتمثلوا في أقوالهم وتطلعاتهم دور صانعي ملحمة عاشوراء، وإن يعرضوا هذه الثقافة مباشرة وبلا واسطة.

هذه الثقافة يمكن إستخراجها من كتب الزيارات، والمقاتل، والرجز، والخطب، ومن خلاله دراسة أحداث ووقائع عاشوراء.

وإذا ما وجدت هذه الثقافة لدى أي شعب وفي أي موضع كان فهي كفيلة بخلق حادثة كحادثة كربلاء، وتربية الناس على مقارعة الظلم والدفاع عن الحق.

ثقافة عاشوراء هي أساس البناء العقائدي والفكري الذي كان يتحلى به

الإمام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء، وسبايا أهل البيت عليهم السلام ، وإليها يعزى إنبثاق تلك الملحمة وديمومة ذكرها .

ويمكن تلخيص مجموع تلك القيم والمفاهيم تحت العناوين التالية :

التصدي لتحريف ومقارعة ظلم الطواغيت وجور الحكومات، وعزة الإنسان وكرامته، وترجيح الموت الأحمر على الحياة الذليلة، وأنتصار الدم على السيف، والشهادة على الفاجعة.

وحب الشهادة واستقبال الموت، وإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من السنن الإسلامية، والرجولة والمروءة حتى في التعامل مع العدو، ورفض المساومة مع الجور والرضوخ للظلم، وقصد إصلاح المجتمع، والعمل بالتكليف لنيل رضى الله، والعمل بالتكليف سواء أدى إلى النصر أم إلى الشهادة، والجهاد والفداء الشامل، والتضحية بالنفس في سبيل إحياء الدين، ومزج العرفان بالحماسة، والجهاد بالبكاء، والقيام المخلص لله، والصلاة في أول وقتها. . .

والشجاعة والثبات في مقابل العدو، والصبر والمقاومة في سبيل الهدف حتى الموت، والإيثار، والوفاء، وغلبة الفئة القليلة المحقة على الفئة الكثيرة من أهل الباطل، ومناصرة إمام الحق، والبراءة من حكام الجور، وصيانة كرامة الأمة الإسلامية، وتلبية نداء إستجابة المظلومين، وتضحية الناس في سبيل القيم وما إلى ذلك.

ويمكن الإتيان لكل واحد من المحاور المذكورة بوثيقة وسند من كلام الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه أو أسلوب سلوكهم ومواقفهم وجهادهم واستشهادهم لنجعل من هذا المسرد الثقافي ومسندا بشكل أدق وأوثق، وهذه الثقافة السامية والغنية التي تجسدت في صنّاع ملحمة عاشوراء يجب

أن تتواصل أيضاً لدى السائرين على خط الإمام الحسين عليه السلام، ولدى من يدّعون السير على خطاه.

وعلى ورثة هذه الثقافة أن يناصروا الحركات المستمدة من ثورة كربلاء، ويناهضوا السائرين على طريق أعداء سيد الشهداء عليه السلام، لأن الراضين بتلك الجريمة ملعونون، وقد جاء في زيارة عاشوراء: «**فلعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به..**».

حب الشهادة، الوفاء، التحرر، البصيرة، الفوز، دروس من عاشوراء... [1]



(١) كلمة المؤلف عباس حرب العاملي.




«جهاد النفس»

من المعطيات، والأهداف، والحوافز، والدروس، والرسالة الرئيسية لواقعة عاشوراء هي الجهاد، الذي هو مظهر قدرة وعزّة الأمّة الإسلامية، ومظهر الإيمان بالله وبالآخرة عند المسلمين، والأمّة التي تتقاعس عن الجهاد في سبيل أهدافها المقدّسة وتطلّعاتها النبيلة، تلبس ثوب الذلّ والمسكنة.

الجهاد من أركان الدين، وقادة الدين أولى الناس به، وبدعوة المسلمين إليه إذا إستلزم الأمر ذلك.

وقد يكون الجهاد تارة ضد الأجانب المعتدين والكفّار المهاجمين أو يكون ضد المنافقين والأعداء الداخليين الذين يتمردون على الحكومة الشرعية تارة أخرى، أو قد يكون ضد الظلمة، وأهل البدع، والمحرّفين، والمروّجين للباطل، والمعطّلين لحدود الله، والعابثين بأمن المجتمع الإسلامي، وغاصبي الحكم الإلهي المشروع من أصحابه الحقيقيين.

عاش الإمام الحسين عليه السلام في عهد تأهّب فيه الأمويون لهدم الإسلام ومحو الشريعة، والقضاء على دين الله، وكان جهاده سبباً في إحياء الدين وبعث روح جديدة في نفوس المسلمين فاستند عليه السلام إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من رأى سلطاناً جائراً مُستحّلاً لحرام الله، ناكثا عهده، مخالفاً لسنّة

رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قولٍ كان حقّاً على الله أن يُدخله مُدخله»[١].

فرأى عليه السلام أنّ هذه الشروط تنطبق على الأمويين فقال: **ألاّ إنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله. وأنا أحقّ ممّن غيّر..**

ورأى نفسه أولى منهم بالحكم، فأمر الناس بالإمتثال لأمر مندوبه مسلم بن عقيل، إلى أن ينتهي هو إلى الكوفة، وكانت من جملة الدوافع الأخرى التي جعلت الحسين يسارع إلى الجهاد، هو عدم السكوت أمام السلطة الجائرة، والتصدّي للأهواء والبدع، والسخط على قتل الأبرياء، وهتك الأعراض، ومنع الحقوق عن أصحابها.

وجاء في الكتب التي بعثها بعد دخوله مكة إلى أهالي البصرة والكوفة أنّ بني أميّة قد أماتوا السنّة وأحيوا البدعة.

ثم أنه دعاهم لطاعته ومحاربة الباطل، وهديهم إلى طريق الرشاد[٢] جاء في وصيته لمحمد بن الحنفيّة - وذلك عند خروجه من المدينة:

أنّ خروجه لأجل طلب الإصلاح في أمّة جدّه، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن كلمته المشهورة:

وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنّما...

ودعا في خطبته التي ألقاها في مكّة - بعد بيانه لحسن الشهادة وشوقه للقاء أسلافه من الشهداء - الناس إلى: **من كان باذلاً فينا مُهجته موطّناً**

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص ٢١٣.
(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢٨٠: ٣ - حياة الإمام الحسين ٣: ٨٠.

على لقاء الله نفسه فَلْيرحَل معن[١].

كان جهاد الحسين بن علي عليه السلام لأجل أحياء الدين، ومن يخرج لهذه الغاية لا يبالي سواء قَتَل أم قُتِل.

الجهاد والشهادة من شيم الأحرار الذين يبذلون ويضحّون، فتكون النتيجة توعية الناس وإحقاق الحقّ، وهذا هو منهج التجارة مع الله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، مبشّراً إيّاهم بأنَّ لهم الجنّة، سواء قَتَلوا أم قُتِلوا إشارة إلى الآية: ١١١ من سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ هذه هي ثقافة إحدى الحسنيين التي ألهمنا الله إيّاها القرآن.

فسيّد الشهداء كان مجاهداً في سبيل الله، وكذلك أنصاره أيضاً يعتبر عملهم أداءً للواجب الإسلامي والتكليف الإلهي ضد البدع، والانحرافات، ومحو حقائق الدين، بالرغم من جميع محاولات الأعداء لوصف جهادهم بصفة التمرّد، واتهام المجاهدين في سبيل الله بصفة الخوارج.

لهذا السبب أكدت زيارات الإمام الحسين والأنصار على تكرار كلمة «الجهاد» ووصفت أبا عبد الله عليه السلام بأمثال التعابير التالية: الزاهد، الذائد، المجاهد، جاهد فيك المنافقين والكفّار، وجاهدت في سبيل الله، وجاهدت الملحدين، وجاهدت عدوّك، وجاهدت في الله حق جهاده (مفاتيح الجنان).

ووردت بحقّ شهداء كربلاء الكلمات والتعابير التالية: **نصحتم لله وجاهدتم في سبيله، أشهد أنّكم جاهدتم في سبيل الله، والذّابّون عن توحيد الله**، وجاءت في الزيارات كلّ هذه الأعمال والصفات المنسوبة إلى سيّد الشهداء مسبوقة بعبارة» أشهد أنّكبخ لأجل إفشال دعايات الأعداء،

---

(١) اللهوف: ٣

وشهادة من الزائر على أنّهم كانوا مجاهدين في سبيل الله، وأنّ موقفهم كان جهاداً مقدّساً ضد الباطل.

لقد أصبحت عاشوراء مدرسة يستلهم منها المجاهدون معاني الجهاد على مدى التاريخ، وأضحت دماء الحسين بن علي وشهداء كربلاء سبباً لحماس أصحاب الملاحم المقارعين للظلم[1].



(١) كلمة المؤلف عباس حرب العاملي.

المبحث السابع

مواقف الإمام موسى الصدر

١ – موقفه من الإحتلال الإسرائيلي.

٢ – موقفه من القضية الفلسطينية.

٣ – موقفه من الحرب الأهلية.

٤ – ملف اخفاء الإمام الصدر.




«موقفه من الاحتلال الإسرائيلي»

موقف سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه من قضية الإحتلال الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة وما يشكله من خطر داهم على لبنان ومستقبله وإستقراره السياسي وإزدهاره الإقتصادي وعلى إستقلاله وحدوده كان من أهم القضايا التي استأثرت بإهتمام الإمام الصدر لأنه كان يدرك أهداف الدولة الصهيونية التوسعية في الأرض والإنسان والإقتصاد العربي والإسلامي والمياه العربية فإسرائيل برأيه هي رأس الحربة الأمريكية في منطقتنا وهي الكيان والعدو الغاصب في المنطقة وجرثومة سرطانية يجب أن تقتلع من الوجود.

وهذا العدو الغاشم يشكل خطراً كبيراً على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا وخصوصاً أنه يحمل فكرة إستيطانية توسعية بدأ تطبيقها في فلسطين المحتلة ويحاول التمدد والتوسع ليبني دولة إسرائيل الكبرى من الفرآت إلى النيل ومن هذا المنطلق شرح سماحة الإمام رضوان الله عليه قضية الجنوب اللبناني أمام الرأي العام المحلي والعربي والعالمي بأبعادها ومخاطرها توخياً لإنقاذ الجنوب من براثن العدو الصهيوني ودعا إلى المقاومة مطالباً السلطات اللبنانية بالتصدي لإسرائيل ومجابهتها مع ما يترتب على ذلك من استعدادات على مستوى المؤسسة العسكرية وعلى مستوى مستلزمات صمود الأهالي وما يتطلبه ذلك من مؤسسات إجتماعية وإقتصادية وصحية ولما لم تستجب الدولة اللبنانية لمطالبه أصر على موقفه معتمداً على جماهيره

المؤمنة موضحاً أنه يريد أن يكون الجنوب قطعة منيعة وصخرة تتحطم عليها أحلام إسرائيل وتكون نواة لتحرير فلسطين العربية وطليعة المحاربين ضد الشر المطلق إسرائيل.

أهداف المواجهة

وبقي سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه على موقفه وكثيراً ما كان يردد قائلاً:

هناك مسلمتان في مواجهتنا لإسرائيل:

إن شرف القدس يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين الشرفاء.

ولا نقبل أن يبتسم لبنان ويبقى جنوبه متألماً...

وليس من المبالغة القول إن المقاومة في جنوب لبنان التي حققت أول انتصار عربي حقيقي على إسرائيل وآلتها العسكرية، هذه النبته التي زرعها أبو المقاومة وسيدها الإمام موسى الصدر وأرسى أسسها الأولى فنمت لتقدم للتاريخ العربي المعاصر واحدة من الصفحات التي ستقوم دون شك مسيرته ونهجه.

أما البرامج الذي وضعها سماحته لمواجهة مخططات إسرائيل فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ - فضح الكيان الصهيوني حاضراً وتاريخاً ونفي الفكرة الصهيونية من أساسها وإماطة اللثام عن كل أهدافها وأطماعها التوسعية والعدوانية في لبنان والوطن العربي عموماً.

٢ - الدعوة الجادة إلى تشكيل جبهة عربية إسلامية لمواجهة الكيان

الصهيوني ودعم المقاومة الفلسطينية وتوفر لها أسباب الإنتصار.

٣ - التحذير من مغبة التسلل الإسرائيلي إلى الداخل اللبناني، والعبث به معتبراً أن سلام لبنان أفضل وجوه الحرب مع إسرائيل.

أطماع إسرائيل

وكان سماحة الإمام الصدر رضوان الله عليه قد حدد المطامع الإسرائيلية في الجنوب اللبناني بالتالي:

١ - إحتلال جنوب لبنان بحدود منطقة الليطاني لإقامة حزام أمني.

٢ - السيطرة على منابع المياه الغزيرة في الجنوب اللبناني.

٣ - تفتيت المجتمع اللبناني عبر ضرب صيغة التعايش المشترك بين المسيحيين والمسلمين.

وقال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: **التعايش الإسلامي المسيحي ثروة يجب التمسك بها..**

وقال أيضاً: **لبنان لا يعيش إلا بجناحيه المسلم والمسيحي..**

وفي إحدى المناسبات[(١)] عرف الإمام بمعاني أحتلال لبنان بقوله: إن سقوط الجنوب بيد العدو الصهيوني يعني سقوط لبنان وتقسيمه والتحول إلى عهد الدويلات الطائفية كما أن سقوط الجنوب يعطي إسرائيل إمكانات استقدام ربع مليون مستوطن صهيوني جديد وتجهيز مائة ألف عسكري صهيوني وإقامة وإضافة ٢٠٪ إلى قوة إسرائيل العسكرية والإقتصادية.

هكذا بقي الإمام الصدر رضوان الله عليه حاملاً هم الجنوب.. وعندما

---

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في حسينية الشياح بمناسبة عاشوراء ١٩٧٨.

اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان سنة ١٩٧٨ واستولت على المنطقة الواقعة جنوبي نهر الليطاني بما فيها من قرى جبل عامل وهجرت الآلاف من سكانها وصارت تلوح بأنها تلعب دور حامية للأقليات في لبنان والعالم العربي.

على أثر هذه المعطيات ناشد الإمام موسى الصدر الملوك والرؤساء العرب بأن يتحملوا مسؤلياتهم أمام الله والتاريخ ولكن الكثيرين تخلوا عن المسؤوليات التاريخية في أحلك الأيام وأصعبها تاركين لبنان وحيداً في مواجهة العدو المشترك، فقال الإمام الصدر: **مصيبتنا أننا تحملنا وحدنا عبء لبنان ومسؤولية المواجة في لبنان وواجبات لبنان تجاه أشقائه وتجاه القضية العربية والمواجهة مع العدو المشترك.**

كل هذه الضغوط والهموم لم تنل من عزيمة الإمام رضوان الله عليه وتصميمه على مقاومة العدو ومقاومته بكل الوسائل، حيث قال: الإسرائيلية أعداءنا، أعداء أرضنا وأمتنا ومجدنا وتاريخنا لا يمكن أن نقبل بأن يشوه تاريخنا المشرق مهما تعاظمت المصائب بل سنبقى واقفين نحمل المشعل ونحمي جنوبنا ولبناننا.

فكان الداعي إلى الوفاق الوطني دوماً قائلاً: **أيها الأخوة إلى التضحيات، إلى السلام، إلى الوفاق الوطني، إلى القيامة اللبنانية والتصدي لكل ما يحول دونها أو يشوهها أو يخنقها وإلى دخول الجيش اللبناني إلى الجنوب للقيام بدوره الوطني بالدفاع عن أرض الوطن وحماية المواطنين**[١].

ولما تفاقمت الأخطار في الجنوب قام بجولة على الدول العربية

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في حسينية الشياح بمناسبة عاشوراء ١٩٧٨.

لكشف حقيقة ما يجري في الجنوب ساعياً لعقد قمة عربية مصغرة لمعالجة الخطر الإسرائيلي الذي بات يهدد لبنان والبلاد العربية بأكملها، فبعد لقائه رئيس الجمهورية اللبنانية قصد سوريا والاردن والسعودية والكويت ثم الجزائر وكانت آخر محطة في جولته هذه ليبيا التي دخل أراضيها ولم يخرج منها بسبب جريمة الإختطاف النكراء.






«موقفه من القضية الفلسطينية»

كان سماحة الإمام موسى الصدر من أول المؤمنين بقدسية القضية الفلسطينية لأنها برأية قضية حق وعدالة وليست ملكاً لأحد، إنها مسؤولية هذه الأمة بكل فئاتها وأشخاصها ودولها وقد وضع تحرير فلسطين في قلب ميثاق حركة أمل وعقلها.

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: **إن الشعب الفلسطيني طرد من وطنه بالقوة وسلبت منه أمواله وحقوقه في الحياة ثم انتظر عشرين عاماً لكي يأخذ حقه من الذين جاؤوا من أقطار الأرض ومن أوطان مختلفة بالطرق الدولية وعندما خاب ظنه أجبر على حمل السلاح من أجل الدفاع عن كرامته وحياته والعودة لوطنه.**

واعتبر سماحة الإمام أن المشكلة الفلسطينية لا تعالج إلا من خلال العمل الفدائي لذلك فعلى كل فرد أو شعب أو حكومة تقديم ما يمكن من المساعدة لهؤلاء الذين هم طلائع هذه الأمة وقد التزموا مع الموت فلا يبقى تجاههم أي تحفظ.

وفي أكثر من مناسبة كان يرشد قادة الثورة الفلسطينية ويحذر الشعب الفلسطيني من أي حركة سياسية تلهي الجماهير المقاومة عن تحرير فلسطين وتتنافى من روح المقاومة وتضحياتها.. ودعا الثورة الفلسطينية إلى تجميد خلافاتها لأن المخطط الصهيوني يهدف للقضاء على جسم الفلسطينيين

ولإذابة الوطن الفلسطيني في الجسم الإسرائيلي وإلى تنظيم علاقاتها بالشعب اللبناني.

الداعية والمرشد

فكان الداعية والمرشد وقام بواجب الإرشاد القادة الفلسطينيين وحثهم على مواجهة الأخطاء والتجاوزات ومشاريع حل القضية الفلسطينية على حساب دولة لبنان وحاول مع المدركين لشعارات المقاومة والتحرير معالجة مشاكلهم وتداركها قائلاً: **إن أخطاء المقاومة لا تستوجب عقوبة الإعدام بحقها والقضاء عليها.**

كما نبه سماحته من إيجاد الفتن بين حركة أمل والفصائل الفلسطينية حيث أن خلافات كانت تحصل بين الحين والأخر غير أنها كانت تخمد فوراً بسبب تدخل الإمام السريع والفاعل لدى مختلف الأطراف رغم تطرف العديد من الجهات الفلسطينية المناوئة للحركة كجبهة التحرير العربية التابعة للنظام العراقي السابق وغيرها.

في مناسبة تشييع أحد كوادر حركة أمل قال الإمام موسى الصدر: **نحن نقول بعد ألف سنة سيقال كانت هناك ثورة فلسطينية والشيعة والمحرومون والجنوبيون والبقاعيون وقفوا معهم.. لأن المواقف بعد ذلك ستكون مجردة عن كل الحساسيات.. نحن نعتبر الثورة الفلسطينية شقيقة متلاحمة وتوأم لنا نحميه حتى لو لم يرد ذلك وندافع عنها حتى لو هاجمتنا.. اقبلوا مني هذا يا أخوان... هذا الأمر صعب عليكم، ولكن هذا هو الموقف ليس إلا**[١].

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في مدينة صور عام ١٩٧٨.

صراع الأخوة

وقد بين الإمام الصدر أن المحاور التي تصارعت ضمن الصف الوطني أخذت تعمل على إجتذاب المقاومة الفلسطينية إليها مما كان يجعلها في موقف حرج وأخذت تتطور بصورة متزايدة في الرمال اللبنانية المتحركة لا سيما وأن الخلاف بلغ في بعض الأوقات إلى حد الصدامات الدامية وإلى درجة اجتياح بعض القرى والأحياء السكنية والتصفية الجسدية في جبهة واحدة وبين رفاق السلاح الواحد وتعرض - شباب حركة أمل - في تلك المرحلة إلى هجوم عنيف وقاسي من قبل الأحزاب اليسارية والقيادات المتطرفة، وكان من أخطر مواقع التصدي في الجبهة الوطنية أفتعال الخلاف المأساوي بين المقاومة الأساسية لذلك قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه:

نعتبر الثورة الفلسطينية صوتاً لحركتنا، وليس دولة، ونعطف عليها ونلتف حولها ونحمل رايتها ونتمنى الخير لها... ومن صميم هذا الشيء فإننا نرفض التمحور للثورة الفلسطينية داخلياً وعربياً ولقد بذلنا جهداً كبيراً في عدم وقوع الثورة الفلسطينية في محاور لبنانية وعربية.. إننا حماة الثورة فلا تجعلوها تقع في أحضان اليمين أو اليسار ونرفض للثورة الفلسطينية التمحور كما نرفض الإنحراف لأنفسنا.. بجبتي وعمامتي سأحمي الثورة الفلسطينية[١].

على أن تأييد الإمام الصدر للقضية الفلسطينية لم يمنعه من توجيه الإنتقاد ولبعض المسؤولين الفلسطينيين على شعاراتهم التي جعلت طريق فلسطين تمر في قلب بيروت أو جونية؟!

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في مهرجان لشهداء حركة أمل في البقاع اللبناني عام ١٩٧٨.

كما وقف سماحة الإمام ضد مؤامرة توطين الفلسطينيين في لبنان لأن التوطين يعني الوطن البديل وإنهاء وجودهم كشعب وأن توطين الفلسطينية في لبنان سيكون على حساب لبنان وشعبه.






«موقفه من الحرب اللبنانية»

كان سماحة الإمام الصدر رضوان الله عليه يراقب ويتابع الأمور عن كثب وحذر مراراً وتكراراً منذ خمس سنوات من وقوع الفتن بين أبناء الوطن الواحد.

مع إندلاع الحرب الأهلية في لبنان أو حرب الآخرين على أرضنا في ١٣ نيسان ١٩٧٥ كرر سماحة الإمام تحذيره من مخاطر الفتنة الطائفية التي تؤدي إلى سقوط لبنان وتحجيم المقاومة الفلسطينية موضحاً أن إسرائيل التي تدعي حماية المسيحيين تشكل الخطر الأكبر عليهم.

وفي مواجهة هذا الوضع نشط الإمام الصدر بالتعاون مع رؤساء الطوائف الروحيين في لبنان لوأد هذه الفتنة وتهدئة الحالة بيد أنه لم يوفق في مسعاه لأن الفتنة كانت أكبر من الأشخاص والوطن فأعلن قرار الإعتصام والصيام في مسجد الصفا في العاملية في المنطقة الفاصلة بين بيروت الشرقية والغربية مصمماً معتصماً حتى الشهادة أو حتى تعود البلاد إلى حالتها الطبيعية مبيناً أن اعتصامه كما قال:

الاعتصام هو ثورة ضد العنف والظلم والحرمان والتمييز الطائفي والتمزق الوطني[١].

غير أن نار الحرب استعرت وتطور الصراع واتسعت أبعاده وتدفقت

---

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في مسجد الصفا في العاملية بيروت عام ١٩٧٥.

المساعدات العسكرية العربية والغربية والإسرائيلية على لبنان حتى كادت الحرب بين الحرب على أرض لبنان الذي غدا ساحة الحروب العربية بكل ما للكلمة من معنى.. أي حرب الآخرين على أرضنا...

مخاطر التقسيم

بعد مرور سنة على الأقتتال على الأراضي اللبنانية بين أبناء الوطن الواحد بدعم عربي وغربي.. رأى الإمام الصدر رضوان الله عليه أن بدات تظهر في الأفق مخاطر تقسيم لبنان إلى دويلات عنصرية تصبح قاعدة للغرب وعلى دويلة أخرى تسيطر على بعضها الأحزاب اليسارية ويبقى قسم منه كقطاع أمن وتصريف إنتاج لإسرائيل يخلق مركزاً للنشاطات التجسسية الإسرائيلية ويقضي على مساعي المقاطعة العربية وبالنتيجة فإنه يساهم في استقرار إسرائيل.

وقد رفض سماحته الإمام التقسيم وتصدى له حيث قال: **إني ملتزم بمقتضى إيماني بوطني وإيماني بديني ومذهبي أن أمنع التقسيم بقوة السلاح وأن لا أسكت على ذلك حتى لو استدعى حياتي وحياة غيري**[1].

وأكد الإمام الصدر أن الأخطار المنتظرة لا تقف عند حد التقسيم بل كان من جملتها ضرب صيغة التعايش الإسلامي المسيحي في العالم العربي وتحويل المقاومة الفلسطينية عن خط التحرير.

وكرر الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه قوله: **التعايش الإسلامي المسيحي ثروة يجب التمسك بها..**

وقال أيضاً: **لبنان لا يعيش إلا بجناحيه المسلم والمسيحي..**

---

(١) كلمة الإمام الصدر في لقاء عقد في الاونسكو عام ١٩٧٧ بعد انتهاء حرب السنتين.

دعوته للعيش المشترك

دعا الإمام الصدر اللبنانيين لتأجيل خلافاتهم لأن العدو لا يرحم أحداً منهم ولا يفرق بين مسلم ومسيحي وكرر دعوته ونادى بصيغة العيش المشترك بين الطوائف اللبنانية بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية والمذهبية مخاطباً إسرائيل قائلاً: **يا إسرائيل أعلمي أننا قبلنا أمانة الله وأمانة الإنسان التي هي وحدتنا الوطنية الشاملة للمسيحيين والمسلمين.. وسوف نبقى متمسكين بتعايشنا.. ولا نسمح للفكر الصهيوني والنازي أو الفاشي أو العنصري أن ينمو في وطننا.**

ومن أجل الحفاظ على الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد من المسلمين والمسيحيين أعلن سماحته قائلاً:

أن أي طلقة تطلق على القرى المسيحية إنما تطلق على بيتي وعلى قلبي وعلى أولادي.

وجال سماحته الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه ودخل الكنائس والأديرة واعظاً وحاور رجال الدين والفكر المسيحي طارحاً أفكاره وردد شعاراته المشهورة قائلاً: **التعايش الإسلامي المسيحي ثروة يجب الحفاظ عليها، وأن المحرومين هم طائفة واحدة.. المسيحي المحروم والمسلم المحروم وكل إنسان محروم هو هدفنا.**

✍ ✍

الانفتاح على الطوائف

كما أرسى سماحة الإمام عدة مبادرات بهدف الإنفتاح على الطوائف المسيحية فكرياً واجتماعياً وسياسياً معتبراً أن الأديان سلسلة من الشرائع المترابطة المتممة لبعضها البعض، حيث قال:

كانت الأديان واحدة، لأن المبدأ الذي هو الله واحد، والهدف الذي هو الإنسان واحد، والمصير الذي هو الكون واحد، وعندما نسينا الهدف وأبتعدنا عن خدمة الإنسان نبذنا الله وابتعد عنا فأصبحنا فرقاً وطرائق قدداً.

هدف سماحته من وراء ذلك توليد أرضية صالحة ومشتركة للعمل على كيد إسرائيل وعملائها ونصرة المعذبين والمحرومين من كل الطوائف اللبنانية لأن الحرمان لا يعرف طائفة معينة أو فئة بل هو داء كل الطوائف.

وقد بذل سماحته جهداً مضنياً لإيضاح أبعاد المؤامرات للقيادات الفلسطينية ودعت إلى وقف النار وإلى جمع الأطراف حول مائدة المفاوضات، وطيلة أيام المحنة وقف أبناء الإمام الصدر من شباب حركة أمل إلى جانب المقاومة الفلسطينية وفي جميع الجبهات. .

على الرغم من استفزازات الأحزاب القاسية التي بلغت كما قال سماحة الإمام الصدر: **بعض الأحيان درجة القتل والجرح والحملات الإعلامية الشرسة وقفوا إنسجاماً مع مبادئهم وتنظيمهم وتطميناً للمقاومة في ساعات المحنة.**

ومن جهة ثانية كان الإمام الصدر رضوان الله عليه يرى أن الإصلاحات السياسية والإجتماعية لا يمكن أن تنفذ بالسلاح وأن السلاح يجب أن يتوفر لقضايا المصير وقد لعب سماحته دوراً بارزاً في عقد مؤتمري الرياض والقاهرة عام ١٩٧٦ اللذين وضعا حداً للغياب العربي في المحنة اللبنانية.

وصاياه للبنانيين

وأكد الإمام الصدر على ضرورة بقاء الوطن قائلاً: **فالوطن يجب أن يبقى ولا يحل محل الوطن شيء وأن الإنسان لا معنى لوجوده في هذا العصر دون وطن، ولا سلام في لبنان من دون جنوبه.**

وهدد سماحته باستخدام مختلف الوسائل لتحقيق مطالب الجنوب في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية.

وكان يقول: إن الطريق للمستقبل يمر عبر الوفاق السياسي والمصلحة الوطنية والحوار المباشر بعيداً عن أسلوب الوفاق السياسي المتبادل الذي كان مدرسة السياسة اللبنانية مع الأطراف والفئات والشخصيات ومن ثم تلخيص هذه النقاط التي تشكل تطويراً للوطن وصيانة له أمام الأخطار التي مرت أو تلك التي لم تمر ثم يطرح من خلال إستفتاء وطني شامل فتصبح القرارات بمنزلة الدستور وأكثر منه قوة.

وقال سماحته أيضاً: أما الحل في لبنان رغم تناقضاته فهو موجود في طموح أبنائه والذي يفوق التصور أحياناً وإذا وجد الحل ووضع في خطة واضحة وصريحة فوعي هذا الشعب العظيم لمصلحته وطموحه وإستقراراه يحَمل الجميع على تخطي الصعاب والتعايش بأمان وسلام وإطمئنان.. ونحن نعلم أن المشكلة التي تواجهنا كبيرة وتمتد جذورها التاريخية والإجتماعية والسياسية إلى ربع قرن أو أكثر.. ندرك حجمها لكن نؤمن بأن الله كريم وسوف يساعد المخلصين في هذا الوطن ولن نيأس.. وسنبقى نعمل.

وبصورة عامة من قراءة سريعة لسيرة الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر أن منهجه اتسم بالواقعية والعملية دون أن يفرق في أهدافه خيالية تكون بعيدة عن أمال وأعراف وتقاليد الناس.

مواقف الإمام الصدر

تختص مواقف الإمام موسى الصدر وسلوكه بإنقاذ الوطن ووضع حد لمآسيه وذلك منذ بدء الحرب اللبنانية في العام ١٩٧٥ وحتى المبادرة اللبنانية السورية المقترنة بإعلان الإتفاق الوطني المسمى (الوثيقة الدستورية) بعد القمة المنعقدة بين الرئيسين اللبناني والسوري بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩٧٦، والمتضمنة الإصلاحات الدستورية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

اتسمت مواقف الإمام بالمبادىء الآتية:

١ - المحافظة على تعايش الطوائف اللبنانية والعمل على منع تقسيم الوطن، ومهما كان شكل التقسيم أو نوعه.

٢ - المحافظة على التعايش اللبناني اللبناني واللبناني الفلسطيني وصيانة الثورة الفلسطينية.

٣ - إعتماد الحوار سبيلاً لحل النزاعات ولتحقيق الإصلاحات السياسية والإجتماعية، ورفض القتال والعنف بكل أشكاله.

٤ - رفض القهر الطائفي ورفض القتال بهدف تحقيق أنتصار طائفة لبنانية على أخرى.

٥ - إجازة ممارسة حق الدفاع المشروع عن النفس.

٦ - محاربة خطر تقسيم الوطن، وخطر الإعتداء عليه، وخاصة الإعتداءات الإسرائيلية على جنوبه والإستشهاد في سبيل هذا السبيل.

٧ - مطالبة السلطة بالإقلاع عن سياسة الإهمال واللامبالاة بشأن الجنوب والمناطق المحرومة.

٨ - محاربة العدو الإسرائيلي والتصدي له، بإعتبار أن إسرائيل المغتصبة والقائمة على العنصرية هي شر مطلق والتعامل معها حرام،

ووجودها في بعض مناطق الجنوب يشكل استمراراً للعدوان وتهديداً دائماً للبنان ووحدته.

٩ - مطالبة الدولة بإلغاء الطائفية السياسية وطائفية الوظيفة.

١٠ - تفعيل المطالب الدفاعية والإنمائية.

١١ - الدعوة لإنشاء مقاومة في الجنوب دفاعاً عنه.

١٢ - تبيان حقيقة نوايا بعض قادة الأحزاب من طرحهم الجنوب وطناً بديلاً للفلسطينيين، وذلك بدعم من بعض الأنظمة العربية.






«ملف إخفاء الإمام الصدر»

كان الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه يمثل ضمير كل محروم عانى ما عاناه من تهجير ودمار وانزواء في الظل. . إن القراءة في سيرة وفكر الإمام الصدر يحكمها حدثان هامان كبيران هما حدث ظهوره في لبنان وحدث إخفائه في ليبيا.

أما ظهورة فكان حدثاً كبيراً، فقد ظهر وجهاً جديداً بفكره وتعامله وسلوكه ومشاريعه وأهدافه وكل مواقفه التي أحدثت ثورة في صفوف رجال الدين التقليديين، فكان رجل الدين الناطق بقول الحق متفقداً الرعية يسمع أنين المحرومين والمعذبين على طريقة جده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان المجدد الذي ربط شعبه ومواطنيه بآمال التغيير وعلى المستويات كافة.

وأما إخفاؤه فلا يقل أهمية عن ظهوره فلقد أرادوا بإخفائه اجتثاث البرعم والقضاء على الخط الذي أنتجه فمورس بذلك الإخفاء أكبر عملية قهر لشخصه كما لطموحاته وأمانيه، والقهر الأكبر لمؤيديه وأتباعه سيما وأن الفترة الزمنية بين عودته إلى موطنه لبنان وغيابه عنه هي فترة زمنية قصيرة في عمر الأوطان ورجالها الأكفاء.

فلقد جاء الإمام موسى الصدر إلى لبنان وأستقر فيه كما أسلفنا في الفصل الأول بعد وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين في أواخر العام

١٩٥٩م، وغيب عنه أثناء زيارة رسمية إلى ليبيا في ٣١/٨/١٩٧٨ حين وجهة له دعوة رسمية للمشاركة في أحتفالات الفاتح من أيلول فغادر لبنان برفقة رفيق دربه سماحة العلامة الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين، وانقطعت أخبارهم حيث تأكد بعد فترة وجيزة وعبر جميع المصادر الأمنية في الحكومة الإيطالية أن الإمام الصدر ورفيقيه لم يصلوا إلى روما على عكس ما ادعت الحكومة الليبية التي نفت إختطاف الإمام ورفيقيه[١].



(١) نقلاً عن جريدة العواصف الناطقة باسم حركة أمل الصادرة في ذكرى إخفاء الإمام ١٩٨٦.

المبحث الثامن

الفقيه العاملي الإمام موسى الصدر حياته في لبنان وإنجازاته

١ – حياته في لبنان.

٢ – فقيهاً ومرشداً للناس.

٣ – الإمام والعمل المؤسساتي.

٤ – الإمام والمجلس الشيعي.

٥ – مطالب المحرومين وتج أهل السلطة.

٦ – ولادة حركة المحرومين.

٧ – الإمام يرد على المشككين.

٨ – تركيبة لبنان الخاصة.

٩ – العلاقة بين العروبة ولبنان.




«حياته في لبنان»

زار» الفقيه العاملي «الإمام السيد موسى الصدر أقرباءه في لبنان الجنوبي (في مدينة صور وشحور ومعركة) أول مرة سنة ١٩٥٥ حيث حلَ ضيفاً على نسيبه المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين الذي تعرَف إلى شخصية الإمام موسى الصدر الحافلة بالمواهب والمناقب وصار يتحدث في مجالسه عن مزايا الإمام الصدر وعصاميته بما يوحي بجدارته لأن يخلقه في مركزه بعد وفاته.

وعقب وفاة المغفور له الإمام شرف الدين في عام ١٩٥٨م كتب أهالي مدينة صور رسالة إلى الإمام موسى الصدر في قم المقدسة يدعوه فيها للعودة إلى لبنان ويومها كان السيد البروجوردي(قده) «من كبار مراجع الشيعة آنذاك» أستاذ الإمام الصدر في قم فلفت نظر الإمام إلى ضرورة تلبية الدعوة وكذلك المراجع الدينية الكبرى «لا سيما الإمام السيد محسن الحكيم (قده) أستاذ السيد موسى الصدر وزعيم الحوزة العلمية في النجف» وقتذاك التي نصحته بالسفر إلى لبنان تلبية لنداء الجماهير المؤمنة».

فعاد «الفقيه العاملي» الإمام موسى الصدر إلى لبنان في أواخر سنة ١٩٥٩ وأقام في مدينة صور الساحلية وتم أختياره خلفاً لنسيبه الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قده) الذي أنتقل إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالنضال والتوجيه والتدريس والكتابة.

وهكذا فإن الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه الذي ولد في كنف عائلة علمية عاملية من جنوب لبنان في قم المقدسة قدم إلى لبنان بعد أن تبوأت هذه العائلة الكريمة مكانة دينية وفكرية وجهادية وإجتماعية مميزة في العالمين العربي والإسلامي.






«فقيهاً ومرشداً للناس»

ما أن وطأت قدماه أرض الجمهورية اللبنانية حتى بدأ الإمام موسى الصدر بالتوجيه الديني مرشداً الناس إلى المفاهيم الصحيحة التي ينطوي عليها الدين الإسلامي رافعاً عنه محاولات التشويه والتحريف والخرافات والسخرية مشدداً على إخراجه من صومعة الإنعزال وجعله كما هو ديناً للحياة والكفاح الإجتماعي مزواجاً مزواجة رائعة بين العمل الديني والعمل الإجتماعي المرتكز على قواعد الدين والشريعة فريلاً الحاجز المفتعل بين عمل رجل الدين بوصفه عالماً دينياً وبين المجتمع الذي له متطلبات كثيرة معتبراً أن العمل السياسي الإجتماعي جزء من الوظيفة الإلهية فخرج برجل الدين إلى عالم الحياة والحركة ورفع عنه غبار السنين ليسير مع الحياة في تطورها وقضيها منسجماً بذلك مع الفكر الديني الأصيل.

وهكذا اجتمعت بالإمام موسى الصدر رضوان الله عليه صفات القيادة الدينية والسياسية والإجتماعية لم يمارس الدين من موقع السياسة وإنما مارس السياسة والعمل الإجتماعي من خلال الموقع الديني فكانت سياسته صدقاً وإخلاصاً ووعياً وذواباً بالمبادىء وقولاً لكلمة الحق مهما كان الثمن. . فكان لا يعرف المهادنة حتى في حركية الحركة.

فاستشعر لدى الجميع حاجة روحية تمثلت في الإقبال المنقطع النظير عليه لسماع آرائه ودعوته المخلصة لله، وإضافة إلى العمل الديني قام الإمام الصدر بزيارة معظم المناطق الللبنانية لاسيما المناطق الحدودية الأكثر

حرماناً مطلعاً على أوضاعها محاوراً سكانها مستمعاً إلى أحوالهم مقيماً علاقات مع مختلف فئات الشعب اللبناني وطوائفه.

عاش سماحته معاناة الناس ومشكالهم ومتاعبهم وتألم لما كان يعتمد من قبل السياسيين في هذا الوطن من تمييز إجتماعي وإقتصادي وإنساني فاقتحم الميدان السياسي الإجتماعي متوقفاً عند الإنسان الذي جعله الله خليفته على الأرض لعمارة الكون ونشر الفضائل فنادى بوجوب الحفاظ على إنسانيته وتأمين حقوقه وتوفير عيش كريم له، ورأى أن الحرمان الذي يعاني منه إنسان لبنان عائد إلى طبيعة النظام اللبناني الذي يكرس الإمتيازات الطائفية التي تحصر السلطة في أيدي فئة قليلة لا على أساس الكفاءات وإنما على أساس طائفي.

فانطلق سماحته في عملية إصلاح هذا النظام من خلال نظرة الدين الموضوعية إلى الحياة والإنسان من دون نظرة إلى اللون والمعتقد رافعاً شعار إلغاء الطائفية السياسية مطالباً بإجراء الإصلاحات السياسية والإقتصادية والإجتماعية مؤكداً على إنصاف المناطق اللبنانية المحرومة وعلى المساواة بين كل المواطنين في الحقوق والواجبات داعياً إلى القضاء على الظلم والطبقية وإلى بناء لبنان على أساس الحرية والكرامة والعدالة والكفاءة فهو يريد لبنان العدالة والحرية وتكافؤ الفرص، كان يطمح ليكون لبنان العربي المتطور لبنان الإنسان والحضارة والقيم فتخطى بذلك خصوصيته الشيعية ليصبح رجل الوطن فتطلعت إليه مختلف فئات الشعب المسحوقة لإنقاذها من نير التميز والحرمان وتجمع حوله اللبنانيون وعقدوا عليه الآمال العريضة لمحاربة التخلف والبؤس ولبناء الوطن المنشود وسرعان ما لمع كشهاب في سماء لبنان وغدا بركاناً هادراً في وجه الظلم والطغيان ورائداً للفداء من أجل خلاص المعذبين كيف لا وهو القائل:

(أموت من أجلكم من أجل كل اللبنانيين).




«الإمام والعمل المؤسساتي»

وإزاء إهمال الدولة للإنسان في لبنان بدأ سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه نشاطاً مكثفاً في الميادين الدينية والإجتماعية والتربوية محاولاً الإستجابة لهموم هذا الإنسان وطموحاته وحاجاته من خلال إنشاء المؤسسات العلمية والثقافية والمهنية لإستيعاب قدرات الطائفة مع الحرص على التفاعل البناء مع الطوائف الأخرى لتكون هذه المؤسسات وطنية لخدمة الجميع وأبراز إنجازاته في هذا المجال:

١ - لجنة لمنع التسول.

٢ - جمعية بيت الفتاة لتعليم الخياطة والأعمال الحرفية واليدوية.

٣ - معهد الدراسات الإسلامية في صور لتعليم الدراسات الدينية.

٤ - جمعية التعليم الديني لتدريس مادة التعليم الديني.

٥ - مؤسسة جبل عامل المهنية لإستقبال أبناء الشهداء والفقراء.

٦ - مدرسة التمريض للفتيات لتأهيلهن للعمل في المستشفيات.

٧ - دار الحضانة الإجتماعية لحضانة الأطفال.

٨ - مدرسة اللغات لتخريج فتيات وأمهات يتقن إحدى اللغتين الإنكليزية أو الفرنسية.

٩ - جمعية كشافة الرسالة الإسلامية.

١٠ - مستشفى الزهراء في بيروت.

١١ - مستوصف الإمام الصدر في الضاحية الجنوبية.

ثم توجه إلى إنشاء مدارس للأيتام تساهم في إستيعاب وحل المشاكل التي أحدثتها الحرب اللبنانية منها:

مدينة الزهراء الثقافية والمهنية في خلدة المؤلفة من ست طبقات وتضم مدرسة للتمريض ومبرة للأيتام ومعهد خياطة وطور جمعية البر والإحسان ودفعها نحو خدمات أشمل وأعمق إضافة لتأسيس الجمعية الإسلامية الشيعية للتخصص والتوجيه لتقديم المنح للمتفوقين المحتاجين، ومبرة المغفور له الإمام السيد الخوئي رضوان الله عليه في بيروت لإنقاذ أبناء ضحايا الحرب بتغطية مالية من المرجع الأعلى الإمام الخوئي (قده) وقد تفرع عن هذه المبرة مبرة الإمام الخوئي في الهرمل ومبرة أخرى في منطقة الدوحة بعد مركزها المؤقت في محلة الصفير (أصبحت الآن بعهدة السيد فضل الله).

كما عمل على نشر المعرفة وبث الوعي عبر المهرجانات والمناسبات وعبر مئات الندوات والمحاضرات والأحاديث واللقاءات وكان يلقي محاضراته المعمقة في الأوساط المثقفة كالجامعات والنوادي المختلفة.

واكتشف الإمام الصدر وضعية الإنسان المسلم في البقاع والجنوب وإمتداده البشري في ضواحي بيروت البائسة وتنامى وعيه لمشكلة هذا الإنسان على ضوء تجارب الطوائف اللبنانية الأخرى فظهرت له الحاجة إلى مستوى من التنظيم - أسوة بالطوائف الأخرى - في مؤسسة تكون ضمير هذا الإنسان ولسانه وسعيه نحو الكرامة والمساواة فكانت ذروة إنجازات الإمام الصدر بإنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى عام ١٩٦٧ ليتولى شؤون الطائفة ويدافع عن حقوقها ويحافظ على مصالحها ويسهر على مؤسساتها ويعمل على رفع مستواها نحو الأفضل.




«الإمام والمجلس الشيعي»

أنتخب سماحة الإمام موسى الصدر أول رئيس للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٩٦٩ وكانت ولاية الرئيس محددة في قانون إنشاء المجلس بست سنوات وجدد له بعد موافقة الهيئة العامة بالإجماع بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٧٥ . .

حدد الإمام الصدر أهداف المجلس بالخطوط الرئيسية التالية:

أ - تنظيم شؤون الطائفة وتحسين أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية.

ب - القيام بدور إسلامي كامل فكراً وعملاً وجهاداً.

ج - عدم التفرقة بين المسلمين والسعي للتوحيد الكامل.

د - التعاون مع الطوائف اللبنانية كافة والحفاظ على وحدة لبنان.

هـ - ممارسة المسؤوليات الوطنية والقومية والحفاظ على استقلال لبنان وحريته وسلامة أراضيه.

و - محاربة الجهل والفقر والتخلف والظلم الإجتماعي والرشوة والفساد الأخلاقي.

ز - دعم المقاومة الفلسطينية والمشاركة الفعلية مع الدول العربية الشقيقة لتحرير الأراضي المغتصبة.

وهكذا ظهرت الطائفة الشيعية في لبنان من خلال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه وشعرت بأن قبساً من السماء طلع عليها في ليلها الطويل،

فتطلعت بأجفانها إلى العلاء وانتصبت قامتها في شموخ بعد أن كان عفرها الإلتصاق بالتراب، ونجح المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بقيادة رئيسه في تنظيم علاقات الطائفة مع الطوائف اللبنانية الأخرى وفي رفع مستوى أبنائه في ميادين الثقافة والتربية وتعليم المهن وفي إبراز وجه الطائفة الحقيقي ودورها في المشاركات الوطنية والقومية كما خاض المجلس معركة لتثبيت حقوق الطائفة في وظائف الدولة وحقوق مناطقه في الإنعاش والتنمية وقدم لذلك الدراسات والإحصاءات التي تؤكد عدالة المطالب.

ومع بداية ولاية الإمام الصدر كثفت إسرائيل اعتداءاتها على منطقة الحدود الجنوبية اللبنانية فقاد الإمام حملة مطالبة السلطات اللبنانية بتحصين قرى الجنوب وتحسين أوضاعها وتسليح أبنائها وتدريبهم للدفاع عنها ووضع قانون خدمة العلم كما قاد حملة توعية حول الأخطار التي تهدد الجنوب والوطن مع دعوة السكان الجنوبيين إلى الصمود في قراهم فاضطرت الحكومة اللبنانية إلى اتخاذ قرار بوضع خطة عامة لتعزيز أوضاع منطقة الحدود الجنوبية.

وبعد العدوان الوحشي الإسرائيلي على جنوب لبنان عام ١٩٧٠ الذي ألحق خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات وأدى إلى تهجير حوالي ١٥٠ ألف مواطن من ثلاثين قرية حدودية، بادر الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه في اليوم التالي إلى دعوة الرؤساء الدينيين من مختلف الطوائف في الجنوب ليؤسس معهم (هيئة نصرة الجنوب) التي أولته رئاستها وأولت نيابة الرئاسة للمطران أنطونيوس بطرس خريش الذي أصبح فيما بعد بطريرك الطائفة المارونية وتبنت هذه الهيئة مطالب الإمام الصدر من أجل الدفاع عن الجنوب وتنميته.

ثم دعا الإمام الصدر إلى إضراب وطني عام سلمي للإحتجاج على

الإهمال وعدم الإكتراث بالمشاكل التي يتعرض لها جنوب لبنان وبالمخاطر التي تتهدده وبالكارثة التي يعاني منها وللتعبير عن الوضع الذي يعاني منه السكان في الجنوب في مواجهة التهديد العسكري الإسرائيلي وندد بموقف الحكومة المتمثل باكتفائها بلعب دور الجمعية الخيرية ووكالة الغوث التي لا تمد يد المساعدة لمواطنيها إلا بعد وقوع الواقعة، فتأتي مصحوبة بخيم الصليب الأحمر بدلاً من السهر على تأمين الأمن داخل حدود البلاد.

واستجابة للضغوط التي مارسها سماحته وأقر مجلس النواب مشروع قانون وضع مبادءه الإمام الصدر يقضي بإنشاء مجلس خاص بالجنوب يسمى (مجلس الجنوب عام ١٩٧٠) مهمته تلبية حاجات الجنوب وتوفير أسباب السلامة والطمأنينة له لأنه كان يؤكد دائماً أن إنهيار منطقة الجنوب يعني إنهيار لبنان وأن السكوت عن الإعتداءات الإسرائيلية على الجنوب هو رضى بالذل وخيانة لبنان.

ومع أستمرار إعتداءات العدو الصهيوني وإتساعها في الجنوب اللبناني ضد السكان الآمنين العزل المحرومين من وسائل الحماية والدفاع عن النفس، تنامى وعي الإمام رضوان الله عليه إلى مستوى أعمق في اتجاه إيجاد مستوى أخر من التنظيم فأسس حركة المحرومين وجناحها العسكري - أفواج المقاومة اللبنانية أمل -.






«مطالب المحرومين وتجاهل السلطة»

إلى جانب الحرمان المجحف الذي كان يفتك بسكان قرى الجنوب فقد توالت ضدهم كما أشرنا الإعتداءات الإسرائيلية التي كانت تمعن في قتلهم وتدمير مساكنهم وممتلكاتهم فيما الدولة اللبنانية لا تمد هؤلاء المواطنين بمقومات الصمود والدفاع عن النفس في وجه هذه الإعتداءات الوحشية المتكررة متجاهلة حقوقهم الإنسانية والحياتية والإنمائية مما دفع الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه إلى القول: **نحن حفظة لبنان كما نحن مستعدون للدفاع وحمل السلاح، وأنا الشيخ المريض مستعد أن أحمل البندقية وأقف معكم على الحدود لماذا لا تعطي الدولة السلاح للجنوبي من أجل الدفاع عن بلده وتعطيه لغيره ليقيم العصابات وللإعتداء على الناس... إن الأساس لبقاء الأوطان العدالة وكرامة المواطن وإن المسؤولين بسلوكهم يهددون أمن الوطن وكيانه واستقراره وتعايش أبنائه**(١).

كما دفعه إلى إعلان هجومه على المسؤولين قائلاً: **كلما حاولت أن أجد مبرراً لموقف السلطات المتخاذلة، لا أجد جواباً، إن التاريخ سيدينهم ويتهمهم والوطن والمواطنون سيحاسبونهم**(٢).

إضافة إلى مطالبته السلطة اللبنانية بحماية جنوب لبنان وتأمين وسائل الدفاع الحديثة عن أبنائه قاد الإمام الصدر حملة مطالبة السلطة بتنمية

---

(١) مهرجان صور عام ١٩٧٨.

(٢) نفس المصدر.

المناطق المحرومة وإلغاء التمييز الطائفي وإنصاف الطائفة الإسلامية الشيعية في المناصب الحكومية والوظائف العامة وموازنات المشاريع الإنمائية.

وإلى جانب تخاذل النظام، عن توفير الحماية ومستلزمات الحماية ومستلزمات الصمود الأساسية في منطقة الجنوب اللبناني، فقد واصل تجاهله لحقوق المحرومين المحقة في الوظائف والمناطق.

حيث قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: على الرغم من جهد سنوات أربع في الدراسة والمطالبة والإصرار والمقابلات والوعود والإعترافات والمحاضرات وتشكيل لجان المتابعة وغيرها، على الرغم من كل ذلك لم يتمكن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بهذه الوسائل من أن يخطو خطوة واحدة في سبيل تحسين الوضع رغم أن هذه المهمة هي أولى مهماته وأنها الغاية الأصيلة من وجوده[١].

وازاء استمرار الحكومة في عدم الإستجابة لهذه المطالب، وبعد إقتناع أعضاء المجلس ورئيسه وإقتناع الطائفة - كما يقول الإمام الصدر - بعدم نجاح المطالبة والإلحاح والمقابلات والإحصاءات ومناشدة الضمائر وتحت ضغط من الإمام والضمير ونداء من الوطن ومطالبة من جماهير المعذبين والمحرومين... ولدت حركة المطالبة بأسلوبها الجديد.. حركة المطالبة بحقوق أبناء الطائفة في الوظائف وبعمران المناطق التي يقطنها أكثرية أبنائها ثم تحولت إلى حركة المطالبة بحقوق المحرومين.

وهذه الحركة بدأت في الجلسة التاريخية التي انعقدت للهيئتين الشرعية والتنفيذية في ٢٢ حزيران ١٩٧٣ ووضعت فيها الوثيقة المشهورة التي بموجبها التزمت الأكثرية الساحقة من نواب الطائفة بالتخلي عن الحكومة

(١) الإمام الصدر: مقابلة مع جريدة السفير عام ١٩٧٨.

إذا لم تتحقق مطالب الطائفة خلال أربعة أشهر من تاريخ نيل الثقة[(١)].

وكان من الواضح أن هذا التحرك الكبير سيضع حداً للمشكلة حيث أن الحكم في لبنان مشاركة بين الطوائف ولا حكومة دون اشتراك الشيعة فيها وإن كل حكومة تسقط إذا سحب الشيعة ثقتهم منها.

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: ولكن الخطة السياسية هذه أجلت أو تعثرت لأسباب معروفة ولم يبق أمامنا إلا أسلوب المطالبة الضاغط ولو استدعى ذلك بعض العنف فعدنا إلى عاشوراء وقد كان شباط عام ١٩٧٤ يصادف عاشوراء ١٣٩٣هـ وفي جلسة أخرى يوم ٨ شباط ١٩٧٤ حيث وضعت تفاصيل المطالب وهي:

١ - **في حقل الوظائف العامة:** على أساس العدالة التي يؤكدها الدستور نجد أن الطائفة الشيعية تشغل في ذلك الوقت وفي الفئة الأولى على سبيل المثال تسعة عشر مركزاً من أصل إستحقاقها البالغ ثلاثين مركزاً.

هذا مع العلم أن الطائفة محرومة من أي مركز في الوظائف العليا الإدارية والقضائية بالإضافة إلى الحيف اللاحق بها في مراكز الجيش وقوى الأمن الداخلي فضلاً عن كل رؤساء مجالس إدارات الدولة.

إن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يطالب بإنصاف الطائفة الشيعية الكريمة بشكل سريع عن طريق تعيين أصحاب الكفاءات من أبناء هذه الطائفة في أحد عشر مركزاً من مراكز الفئة الأولى.

٢ - **بالنسبة إلى نوعية المراكز:** يرفض المجلس تصنيف المواطنين طائفياً ويؤكد بقوة مطالب القائلين برفض طائفية الوظيفة وضرورة تبادلها بين مختلف الطوائف حسب كفاءاتهم.

---

(١) نفس المصدر.

٣ - إن مسألة الدفاع عن حدود الوطن وعن سلامة المواطنين في أرجاء البلاد هي المسؤلية الأولى للسلطات وفي هذا الحق يحتج المجلس على إهمال قضية الدفاع عن جنوب لبنان ولا يمكنه القبول بأعذار ومبررات غير صحيحة أو غير كافية.

٤ - إن الألوف من المواطنين في مناطق بعلبك والهرمل وفي الشمال وعكار ومن مناطق أخرى لا يملكون بطاقة هوية لبنانية وبالتالي يحرمون من كافة حقوق المواطنية، إن هؤلاء لا يمكن التشكيك في لبنانيتهم ولا في ولائهم الوطني ولكن ظروفهم الحياتية وسكنهم في مناطق نائية جعلتهم من المكتومين أو المعلقين.

٥ - **في حقل الإنماء**: أكد المجلس على ضرورة تنفيذ مشاريع إنمائية في المناطق المحرومة والمتخلفة وذلك عن طريق قوانين وبرامج ولحظ اعتمادات في الموازنة العامة لكي تصبح المناطق اللبنانية متقاربة المستوى وطالب انصاف المناطق بالتساوي.

٦ - إنشاء المستشفيات والمراكز الصحية في المناطق المحرومة وتحسين أوضاع المستشفيات المهملة الموجودة في مناطق نائية.

٧ - إعطاء الأولوية في انشاء المدارس الرسمية والمهنية ودور المعلمين والمعلمات في المناطق اللبنانية كافة[١].



(١) الإمام الصدر: مقابلة مع جريدة السفير عام ١٩٧٥.




«ولادة حركة المحرومين»

ونظراً لعدم إهتمام السلطة اللبنانية الحاكمة بحماية مواطنيها من العدو الصهيوني ولإستمراها في إهمال تحقيق مطالب العدالة الإجتماعية تابع الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه حملته ضدها باسلوب حضاري منها المهرجانات الشعبية الكبيرة كان أبرزها:

١ - مهرجان بعلبك بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٧٤ الذي ضم أكثر من خمس وسبعين ألف شخص وأنتقد فيه الإمام موسى الصدر مواقف الدولة اللامبالي من الجنوب مطالباً بإنصاف المعذبين في القرى النائية والمحرومين من الجنسية اللبنانية في الجنوب والشمال مهاجماً الحكومة لعدم صرف الإعتمادات المخصصة للتنمية منددأً بالقيمين على الجيش لعدم اعطاء الأوامر للجيش للدفاع عن الجنوب. . .

حيث قال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه في هذا المهرجان معلناً: (السلاح زينة الرجال)، أمام ألاف المسلحين في المهرجان قاسماً اليمين معهم بالسعي للمطالبة بحقوقهم وتحقيقها أو الاستشهاد دون ذلك. . ثم طالب الجماهير بإنشاء مخيمات للتدريب العسكري في الجنوب والبقاع للدفاع عن كرامة الجنوب ومواطنية.

حيث قال سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: **(نحن مضطرين إلى تدريب أولادنا وتسليحهم كي نحفظ كرامة بيتنا ونحفظ**

أعراضنا ونؤدي دورنا في صيانة الوطن)[١].

٢ - مهرجان بلدة ياطر الحدودية بتاريخ ٢ شباط ١٩٧٤ الذي حشد جمعاً كبيراً من المواطنين ودعا فيه الإمام الصدر إلى حمل السلاح حيث قال سماحته: (إن حمل السلاح في هذه الأيام واجب شرعي كاقتناء القرآن الكريم، لم يبق لنا غير الثورة والسلام)[٢].

٣ - مهرجان مدينة صيدا بوابة الجنوب المقاوم بتاريخ ٤ نيسان ١٩٧٤ أمام حشد هائل من الجماهير الذي أعلن سماحته قائلاً: (نريد الجنوب متمسكاً بلبنان. . الجنوب اليوم يدفع ضريبة الدم والدمار والخوف، أرفضوا عبادة آلهة الأرض والحكام والطغاة والمستبدين. .

وأضاف سماحته: خذوا زينتكم عند كل مسجد. . .

السلاح زينة الرجال. . .

والجنوب اليوم رأس حربة ضد إسرائيل وقاعدة لتحرير الأرض المقدسة)[٣].

٤ - مهرجان مدينة صور الساحلية بتاريخ ٥ أيار ١٩٧٤ الذي حذر خلاله من الأخطار التي تهدد المنطقة والجنوب حيث قال سماحته: (العدو يتربص بنا والمنطقة على أبواب الإنفجار ونحن لا ندري ماذ يجري وراء الكواليس الدولية في شأن الجنوب، هناك أخطار على الجنوب في المستويات الدولية أنا لا أقبل أن أكون عزيزاً ويكون وطني ذليلاً، وأنا لا أقبل أن تهتك الطائرات الإسرائيلية أجواء بيروت وكل المناطق اللبنانية)[٤].

---

(١) مهرجان بعلبك بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٩٧٤.

(٢) مهرجان بلدة ياطر الحدودية بتاريخ ٢ شباط ١٩٧٤.

(٣) مهرجان مدينة صيدا ٤ نيسان عام ١٩٧٤.

(٤) مهرجان مدينة صور الساحلية بتاريخ ٥ أيار ١٩٧٤.

وخلال هذه المهرجانات أقسمت الجماهير المؤمنة بالله والوطن مع الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه على متابعة المطالبة بحقوق جميع المحرومين وقرع أبواب الحكام والمسؤولين حتى لا يبقى محروم في لبنان ولا تبقى منطقة محرومة.

وعقب المهرجانات اهتمت قيادة الجيش اللبناني بالمطالب فشكلت لجاناً مشتركة من اختصاصيين في الجيش، واختصاصيين إنتدبهم سماحة الإمام موسى الصدر لدراسة المطالب وتحديد وسائل تنفيذها، ووضعت هذه اللجان تقارير عن بعض هذه المطالب بقيت دون نتيجة فتابع الإمام رضوان الله عليه حملته بنداء وجهه علماء من المسلمين الشيعة إلى السلطة بتاريخ ٤/ ٨/ ١٩٧٤ بتأييد حركة المطالبة والتحذير من مغبة الإستمرار في إهمال المطالب أو تمييعها وباجتماعات عقدها مع شخصيات البلاد ورؤساء الطوائف والأحزاب وبإجراء حوار مع قادة الرأي والمفكرين اللبنانيين توصل في نهايته إلى وثيقة وقعها ١٩٠ مفكراً بإقرار هذه المطالب.

ثم دعا سماحة الإمام الصدر إلى اجتماع عقدته الهيئة العامة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وهذه الهيئة تضم أشخاصاً من علماء دين الطائفة الشيعية ونوابها وكبار موظفيها والفعاليات السياسية والإجتماعية والمهنية والإقتصادية والفكرية فأقرت هذه الهيئة بالإجماع التأييد المطلق للإمام موسى الصدر في جهاده الوطني من أجل المطالب وإستنكار موقف الحكومة اللامبالي منها والإصرار على إتخاذ الخطوات كافة في سبيل تحقيق هذه المطالب.

وواصل سماحته حركة المطالبة بهذه الحقوق العادلة منبهاً المسؤولين إلى خطورة عدم تنفيذها مردداً: **ليعلموا إنني سائر في هذه الحركة حتى الموت.**

وهكذا وبكل أصالة ومنطقية ومن خلال الواقع الموضوعي للطائفة في لبنان ولدت حركة المحرومين...

وبدأت الإرهاصات الأولى للحركة كما يقول الإمام الصدر تتجسد في الإضراب العام الذي دعينا له عام ١٩٧٠ من أجل الجنوب ثم في المهرجانات إلا أن الحرمان لم يعالج فوجدنا أنفسنا أمام التنظيم والهدف منه حماية المقاومة والدفاع عن أرض الجنوب المستباح أمام الإعتداءات الإسرائيلية..

ولدت الحركة وكانت جماهيرها من كل طائفة..

وبدأت حركة المحرومين حركة فكرية سياسية، إجتماعية، واحدة في لبنان.

يقول سماحة الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: أن هذه الحركة لم تؤسس لظرف سياسي عابر وإنما هي:

إمتداد لحركة الإنسان منذ أن كان.. إنها حلقة من حركة الإنسان العامة في التاريخ قادها الأنبياء والأولياء والمناضلون الصلحاء ودفعها بقوة نحو الأمام وأغناها الشهداء الخالدون[١].

وأعاد سماحة الإمام الصدر دوافع تأسيسها إلى ثلاث أبعاد: الإيمان بالله والسعي لصيانة الوطن والإهتمام بكرامة الإنسان.. وهكذا أنطلقت حركة المحرومين من الإيمان الحقيقي بالله وبالإنسان وحريته الكاملة لرفض الظلم الإجتماعي ونظام الطائفية السياسية ومحاربة الإستبداد والإقطاع والتسلط وتصنيف المواطنين وهي حركة وطنية تتمسك بالسيادة وبسلامة أراضي الوطن.

(١) كلمة الإمام الصدر في إعلان ولادة حركة المحرومين.

وهذه الحركة هي حركة عربية تحارب الإحتلال للأراضي العربية والإعتداءات والمطامع التي تهدد لبنان، وحركة إنسانية فهي حركة الإنسان على مر العصور(١).

وفي اجتماع الهيئة العامة للمجلس الشيعي الأعلى أعلن الإمام الصدر ميثاق حركة المحرومين - أمل - الذي نص على:

إنها حركة جماهيرية، غير طائفية ولا فئوية تنطلق من الإيمان الحقيقي بالله، وتؤمن بالحرية الكاملة وترفض الظلم والتصنيف وتتمسك بالسيادة الوطنية وبسلامة أرض الوطن كما تتمسك بالمصالح القومية وتعتبر أن تحرير الأرض كما هو من صميم التزاماتها الوطنية، وإن صيانة لبنان الجنوبي وتنميته هما جوهر الوطنية.

وأضاف سماحته قائلاً: أن فلسطين - الأرض المقدسة - التي تعرضت ولم تزل لكل أنواع الظلم، هي في قلب الحركة وعقلها، وإن السعي لتحريرها هو أول واجباتها وإن الوقوف إلى جانب شعبها وصون مقاومته والتلاحم معها شرف الحركة وإيمانها خصوصاً أن الصهيونية تشكل الخطر الفعلي والمستقبلي على لبنان وعلى القيم التي نؤمن بها وعلى الإنسانية جمعاء وترى بتعايش الطوائف في لبنان تحدياً دائماً لها ولكيانها(٢).

وحسماً لأي التباس فقد بين سماحته المقصود بالإيمان بالله بالمعنى الحقيقي، قال الإمام الصدر رضوان الله عليه: **(لقد فسرنا الإيمان بالله بالمعنى الحقيقي أنه هو الإسلام القرآني، ووضعنا حداً لبعض الأبحاث المتطرفة أو المسرفة.. وأن التشويش على حركة - أمل - لم يكن لأن فكر**

---

(١) نفس المصدر.

(٢) أعلن الإمام الصدر مقررات الاجتماع المجلس الشيعي بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٧٥.

الحركة هو الإسلام، فمن الواضح أنه كان دائماً الإسلام.. ولنا عتب على بعض شبابنا من الذين يشعرون بشيء من الضعف تجاه كلمة الإسلام، تلك الكلمة التي نفتخر بها إذ أنه ليس هناك أجمل من هذه الكلمة)(١).

ولتوضيح المقصود بالإسلام القرآني يقول الإمام الصدر: **(الاسلام بالمعنى القرآني حضارة، والمسيحية في الشرق يجب أن تسلم إسلاماً حضارياً، وعندما نرجع للفكر الإسلامي نجد أن الإسلام هو المثال لحل مشاكلنا الإقتصادية والثقافية والإجتماعية، وأنه لمن الخطأ الفادح القول إن الإسلام نظام رأسمالي أو اشتراكي، إنما الإسلام إسلام ليس إلا... والإسلام بالمفهوم القرآني هو دين الله وهو عبارة عن الحد الأدنى لشرط المواطنية الكونية، إنه إنتماء الإنسان لحاكم الكون ومدبر شؤونه الخالق الهادي)**(٢).

ولادة حركة أمل

في بداية عام ١٩٧٥ دعا الإمام موسى الصدر المواطنين اللبنانيين إلى تكوين مقاومة لبنانية تتصدى لأطماع العدو الصهيوني وللمؤامرات التي تحيكها إسرائيل لإبعاد اللبنانيين عن أراضيها قائلاً:

إن الدفاع عن الوطن ليس واجب السلطة وحدها وإذا تخاذلت السلطة فهذا لا يلغي واجب الشعب في الدفاع... إن الحكام في لبنان حاولوا إذلالنا وتركوا إسرائيل تضربنا كل يوم دون دفاع.

وحفاظاً على الجنوب من الضياع وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين أعلن

(١) محاضرة الإمام الصدر - بعنوان الايمان بالله بمعناه الحقيقي لا التجريدي ١٩٧٥.
(٢) المصدر السابق.

الإمام ولادة أفواج المقاومة اللبنانية - أمل - حيث قال سماحته: **أخذت على عاتقها تقديم كل ما يملك أعضاؤها في سبيل صون كرامة الوطن ومنع إسرائيل من تنفيذ الإعتداءات السهلة**[١].

يروي بعض رفاق درب الإمام أن كان في نيته تأخير أعلان هذه المقاومة إلى أن تنمو وتكتمل وتعبر عن ذاتها في العمل لكن الحادث المفاجيء بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٥ في معسكر التدريب في (عين البنية قضاء بعلبك) الذي أودى بحياة ٢٧ شاباً من مجاهدي المقاومة، إثر انفجار لغم ضد الأليات كانوا يتدربون عليه، دفع الإمام إلى الإعلان عن تشكيل هذه المنظمة في اليوم التالي ٦/ ٧/ ١٩٧٥) موضحاً أن الشباب الذين استشهدوا في الإنفجار كانوا يتدربون لينتقلوا إلى الجنوب لمقاومة إسرائيل وأن الحركة التي انتموا إليها ستكون أنصار الجيش اللبناني في الجنوب.

معنى كلمة أمل

وجاءت كلمة أمل من الأحرف الأولى لعبارة - أفواج المقاومة اللبنانية - التي تشكل الدرع العسكري لحركة المحرومين، وأمل وأفواج المقاومة اللبنانية هما بناء واحد مما يعني أنهما ليسا تشكيلين سياسيين بل تشكيل واحد وبالتدريج ذابت «حركة المحرومين» كتسمية وكصيغة في إطار «الأفواج المقاومة» ثم حلت «حركة أمل» مكان الصيغ والتسميات لتتصدر كفاح المحرومين في المعركة المستمرة.

وقال الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: **إن المقاومة اللبنانية ناديت**

(١) كلمة الإمام الصدر في اعلان ولادة حركة أمل بتاريخ ٦ تموز ١٩٧٥.

بها منذ عشر سنوات.. وأعلنت عنها منذ سنة وسبعة أشهر في يوم عاشوراء يوم الفداء العظيم، وطلبت إلى سكان الجنوب أن يتسلحوا ويتدربوا وبعدها بأربعين يوماً ناشدت أهالي بعلبك أن يفعلوا ذلك أيضاً وأن يقفوا إلى جانب أهل الجنوب ليساعدوهم في هذا وذاك، ولما أمتنع المسؤولون عن سماع الشكوى رغم كل النداءات والتوجهات والضغوط وتركوا الجنوب سائباً - وابن الجنوب مرتعشاً - أمام الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والمتزايدة ورأيت فعلاً أن المواطن الجنوبي مهدد بالموت أو النزوح أو المهانة التي لا تقل ذلاً عن الخيانة، شجعت شباناً مؤمنين بالله والوطن على التدريب(١).



(١) كلمة الإمام موسى الصدر في مؤتمر صحافي بتاريخ ١١/٩/١٩٧٥.




«الإمام يرد على المشككين»

وقد رد الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه على الذين يشككون بدوره والذين انتقدوا تشكيل - أفواج المقاومة اللبنانية أمل - قائلاً: **ماذا يضير بعضهم أن يكون للبنان فدائيوه أيضاً ممن يموتون في سبيل الدفاع عنه؟ أليس الدفاع عن شتلة التبغ في تلال عاملة هو الدفاع عن الدالية والتفاحة في أعالي المتن والشوف وحول سيدة لبنان؟.**

وحرص سماحته على تأكيد عدم فئوية أو تبعية هذه المقاومة لأي جهة من الجهات وإنما هي أفواج مقاومة لبنانية أبوابها مشرعة أمام مختلف فئات المواطنين اللبنانيين وقد أشار إلى ذلك بقوله: **لم نغلق باب هذه المقاومة اللبنانية أمام أحد من المسيحيين الشرفاء بل أعتبرهم - إن دخلوا - سيكونون كغيرهم صلابة في الدفاع عن أرض الوطن إن لم يكونوا أشد...**

كما أعلن سماحته رفضه لاستخدام السلاح في وجه المواطنين وحثهم على إستعماله ضد العدو الإسرائيلي، حيث قال: **كونوا فدائيين إذا التقيتم العدو الإسرائيلي، استعملوا أظافركم وسلاحكم مهما كانت وضيعة.**

وبهذا الكلام قدم سماحة الإمام حلاً لمشكلة فوضى السلاح وتكاثر السلاح غير المنظم في أيدي أفراد الشعب يقضي بضم المليشيات إلى مؤسسة حكومية تحتفظ بالأسلحة في مخازنها وتقدمها للأفراد في ساعة

الحاجة، حيث يشكلون جيشاً شعبياً ووطنياً رديفاً للجيش النظامي، يكون قادراً على صد الإعتداءات الإسرائيلية.

حملات الافتراء

لقد تعرضت مسيرة الحركة لمحاولات الطمس والتشويه بشكل منظم من قبل البعض أصحاب النفوس المريضة، حيث يقول سماحته:

ولا بد لنا من الإنطلاق إلى وطننا وأمتنا، لا بل إلى العالم كله، ونحن لا نشعر بضعف وبقلق ما دمنا مرتبطين بالأبدية التي هي أقوى من الناس والأفكار والأموال والأسلحة، لذلك نرى في أفقنا بناء المستقبل لا للمحرومين الذي نحاول أن نمثلهم التمثيل الصادق فحسب بل بناء المجتمع الأفضل للعالم كله..

وخصوصاً أن القيام لله، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1].

هذا القيام هو الأساس لتطوير العالم وأن لا قيمة لأي شيء أمام الله، إلا إذا كان يخدم الله إذ أن جبروت أمريكا وسعة الإتحاد السوفياتي وعظمة السوق الأوربية المشتركة وأموال العرب وتكنولوجيا إسرائيل وجميع أنواع البغي والطغيان، تنهار أمام الإرادة الإلهية وإن المنتصر هو الحق الكامل والكوني، بهذا التواضع وهذا الشموخ نعمل ونتحرك.

وأضاف سماحته قائلاً: إن حركتنا ذات رسالة عالمية فهي تحاول أن

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

تفجر الطاقات الإنسانية، تلك الطاقات التي كانت مجمدة في المساجد والكنائس والمعابد ونحن نحاول أن نوظف تلك الطاقات ونجعلها في خدمة الإنسان والمجتمع والتغيير[١]...

وأضاف سماحته قائلاً: إن هدفنا الكبير يبدأ من الإنسان وينتهي بالكون لله وبالله، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: **(لو كان بيد أحدكم فسيلة - نبتة - وأراد أن يغرسها ثم قامت القيامة فليغرسها)**[٣].

ويقول سماحته: **إن حركتنا حركة دائمة وسعي وطموح لا متناه، وإرادة مستمدة من إرادة الله العزيز، وعقل يستوحي من عقل الكون..**

وباب الإجتهاد لم يسد في وجهنا والإجتهاد هو محاولة تطبيق الأحكام العامة على الواقع الموضوعي المعاش أو إستنباط الحكم للموضوع وللعمل لذا فإن النظرة إلى الأحداث نظرة واقعية إجتماعية وتطورية وليست ديماغوجية إذ أن الإجتهاد هو رؤيتنا للحقيقة...

ويأتي الجهاد الذي هو سند الإسلام وسند الحق ليشكل الدافع إلى التحرك والإستشهاد وتاريخنا حافل بالشهادات والشهداء والتضحيات.

ولقد إبتلينا بمحاولات إجهاضية، فقد كان الإستغلال الدولي يعمل على إجهاض تحرك المحرومين لإبعادهم عن الإطار الصحيح فيوحون إلى شبابنا القيام باحتجاجات على قضايا عالمية لا علاقة لنا بها مع العلم أننا غير منفصلين عن العالم، وهذا الإرتباط هو جزء من ميثاقنا ومن برنامج

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في الكلية العاملية عام ١٩٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٢٢.

عملنا السياسي والحركة الصحيحة هي أن نعطي للبلد وللوطن وللعالم بمقدار حجم كل واحد منها، إذ لا يمكن تج أهل الأحداث الكبرى في العالم وكذلك يجب أن لا ننسى حرماننا[١].

توضيحات ومهمات إضافية

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: إن نشوء حركتنا ونموها في هذا الجزء بالذات من المنطقة يحتم علينا مهمات إضافية سواء لجهة توضيح العلاقة بين أبناء الطوائف والمذاهب أو بين العروبة والإسلام.

هناك حالتان: الحالة الأولى: مهمة توضيح العلاقة بين أبناء الطوائف والمذاهب.

تجابه في لبنان وضعاً طائفياً معقداً يحتاج منا لبذل جهود إستثنائية لتجاوزه وترسيخ وحدة البلد على أساس الحرية والكرامة والعدالة والكفاءة والمساواة.

وأضاف سماحته قائلاً: إن المحرومين هم طائفة واحدة.. المسيحي المحروم والمسلم المحروم وكل إنسان محروم هو هدفنا.. فمبادىء الحركة ملك للجميع، وجهادها لخير الجميع، وهي تفرق بين الإلتزام الديني والتعصب الطائفي الذي يعرقل عملية تقدم الوطن.

إن الطرح الديني الأصيل للحركة هو الكفيل بنزع الصبغة التعصبية الطائفية والفئوية المقيتة.

ومن هنا، فالحركة لم تحدد في ميثاقها للعضو المنتسب مذهباً أو طائفة

(١) كلمة الإمام موسى الصدر في الكلية العاملية عام ١٩٧٧

معينة، بل اشترطت عليه الإيمان بميثاقها الحركي غير الطائفي أو المذهبي، والعمل على تنفيذ مبادئها، والتحلي بالإنضباط لجهة احترام القيادة وتنفيذ قراراتها[١].



(١) كلمة الإمام الصدر في المؤتمر التأسيسي الأول لحركة أمل.




«تركيبة لبنان الخاصة»

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: ان الحياة في لبنان وتركيبته المميزة والخاصة، فمن أفدح الأضرار عليه الطروحات الطائفية، والحركة من هذا المنطلق هي لجميع المحرومين دون، وبذلك وحده تعطي البعد اللبناني الحقيقي والعربي والحضاري وتتأمن أهدافها لمصلحة المحرومين والمستضعفين في الأرض، وأي ممارسات تعاكس هذا التوجه، تؤدي بالحركة للإنعزال والإنفلات وتصبح معضلة من جملة معضلات الوطن، وتنتفي الغاية التي من أجلها كانت الحركة، والتي تشكل الرد الطبيعي والثوري على ما كان معمولاً به، ومن هذا المنطلق يمكن الإستفادة من جميع الطاقات الموجودة لدى اللبنانيين من جميع الطوائف.

وأضاف سماحته قائلاً: أما على صعيد الحياة الإجتماعية، فإن مبادىء الحركة وظروف نشأتها تجعلها تواجه مهاماً على الصعيد الإقتصادي والإنمائي لمعالجة الظلم والحرمان لإلغاء التميز المتبع بين الحق والباطل، والممارسات النفعية والذاتية لممثلي البلاد والشعب ولمحاربة الإحتكار وإنعدام التخطيط وسيطرة الروح الفردية الأنانية[١].

---

(١) كلمة الإمام الصدر في المؤتمر التأسيسي الأول لحركة أمل.





«العلاقة بين العروبة والإسلام»

الحالة الثاني: مهمة توضيح العلاقة بين العروبة والإسلام

يقول الإمام موسى الصدر رضوان الله عليه: نحن نهتم جداً بعروبة لبنان وسبب المشاكل في لبنان هي أنه قد أخذ من لبنان بعده العربي والمطلوب أن يكون العالم العربي بلد واحد وساحة واحدة كما كان في سابق الزمن، وللعروبة بعدها الجغرافي والبشري والتاريخي، كما إنها مجال لخلق الساحة الأوسع للعمل ولتكوين مجال التحرك وهي ليست ذات ايديولوجية ونحن كعرب عائلة واحدة، ولكن القومية العربية ليست ذات محتوى فكري واجتماعي واقتصادي وإن حاول بعض رجالاتها أن يعطوها محتوى ودورنا هو مكافحة الحرمان الفردي والجماعي والسياسي والإجتماعي والإقتصادي في حقل عملنا الواسع، وتبنينا للإسلام يعني أن مجال عملنا في التحرك هو الإيمان بالله إذ ليس تبنينا للعروبة متنافياً مع الإسلام أو مع ميثاق الحركة، حتى نقع في حرج والذي يؤكد ضرورة هذا الأمر هو وجود إسرائيل، وعدم إمكان التخلي عن مسؤولياتنا في محاربتها لأننا إذا أهملناها فإنها ستبتلعنا ولا يتنافى ما ذكرناه آنفاً مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

فنحن نعتبر أن المسلم أخ المسلم أينما كان ومن أية قومية كان[١].

وأضاف سماحته قائلاً: أما مفهومنا عن عروبة لبنان لم يكن بأي حال من الأحوال مجرد شعار للإستهلاك المحلي، فهو يعني تحمل الجميع لأعباء المواجهة مع العدو الإسرائيلي وتحقيق الإستراتيجية العربية الموحدة للدفاع عن الجنوب وفلسطين.

وقال أيضاً: نحن نرى أن لبنان هو الضلع الأساسي في الجسد العربي الواحد، وقد أثبتت التجارب صحة تعاطينا مع هذه القضية، فالعروبة هي مشاركة في الألم واقتسام للإنتصار والهزيمة وأولوية فلسطين والجنوب ووحدة لبنان، إضافة إلى كونها رؤية إجتماعية للمستقبل الواحد.

ونحن نمارس في الواقع سياسة محددة تجاه عروبة لبنان، فلم نجعل من التكتيك شيئاً ومن الإستراتيجية شيئاً آخراً فالشعارات التي نرفعها نعمل في نفس الوقت لتحقيقها[٢].



---

(١) كلمة الإمام الصدر في المؤتمر التأسيسي الأول لحركة أمل.

(٢) كلمة الإمام الصدر في المؤتمر التأسيسي الأول لحركة أمل.

مصادر الكتاب

بغية الراغبين - السيد عبد الحسين شرف الدين

تاريخ جبل عامل - محمد جابر آل صفا

التأسيس لتاريخ الشيعة في سوريا ولبنان - الشيخ جعفر المهاجر

أحسن التقاسيم - الأستاذ المقدسي

نقباء البشر

الوافي

شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني

بحار الأنوار - العلامة المجلسي

الكامل في الأثير

صحيح الشيخين

الدرر المنثور

الملل والنحل

اللهوف

ميزان الحكمة

جريدة العواصف - لبنان

جريدة النهار - لبنان

جريدة السفير - لبنان

جريدة العرفان - لبنان

مجلة سيروش - إيران

موسوعة العلم الطبيعة والحياة - روبير جوكس

الفهرس